

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية التلاذذ

في

فنون الأدب

معين التارخ
لأهل التارخ

شبهها الذليل المحزن على النور

السفر السابع عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدلالات وفهارس جامعة

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

١٠٣

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

م. ش. م. م.

١٩٥٠

١٩٥٠

١٩٥٠

فهرست

السفر السابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري

صفحة

غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بذلك من الوقائع	
التي لم تذكر في حوادث الستين لتعلقها بالغزوات ١	١
أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم ٢	٢
سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابع ٢	٢
سرية مسعد بن أبي وقاص إلى الخرار ٣	٣
غزوة الأبواء ٤	٤
غزوة بواط ٤	٤
غزوة بدر الأولى ٥	٥
غزوة ذي العشيرة ٥	٥
سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة ٦	٦
غزوة بدر الكبرى ١٠	١٠
رؤيا عائكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر ١١	١١
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين إلى بدر ١٥	١٥
قتال الملائكة مع المسلمين ٢٦	٢٦

صفحة

- ورود الخبر بمصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش ، وهلاك
 ٣١ أبي لهب بن عبد المطلب
 تسمية من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله صلى الله
 ٣٣ عليه وسلم
 ٤٤ تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة بدر
 ٤٤ تسمية من قتل من المشركين في غزوة بدر
 ٥١ تسمية من أمر من المشركين في غزوة بدر
 خبر أسارى بدر ، وما كان من فدائهم ، ومن من عليه رسول الله
 ٥٤ صلى الله عليه وسلم وأطلقه منهم ، ومن أسلم بسبب ذلك
 ٥٦ خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو وإطلاقه
 خبر أبي العاص بن الربيع في فداؤه ، وإرساله زينب بنت رسول الله
 ٥٧ صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك
 ٦١ خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة
 من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر وأطلقه
 ٦١ بتفسير فداء
 ٦٢ خبر عمير بن وهب وإسلامه ، وإطلاق ولده وهب بن عمير
 سرية عمير بن عدى بن خرشة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من
 ٦٥ بني أمية بن زيد
 ٦٦ سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي علفك اليهودي
 ٦٧ غزوة بني قينقاع
 ٧٠ غزوة السويق
 ٧١ غزوة بقرقرة الكدر

صفحة

- ٧٢ مقتل كعب بن الأشرف اليهودى
- ٧٧ غزوة غطفان إلى نجد
- ٧٩ غزوة بنى سليم ببحران
- ٨٠ سرية زيد بن حارثة إلى القردة
- ٨١ غزوة أحد
- ١٠٠ خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
- ١٠٤ تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد
- ١٠٨ تسمية من قتل من المشركين يوم أحد
- ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى غزوة أحد،
وما ورد فى تفسير ذلك
- ١١١ غزوة حمراء الأسد
- ١٢٦ سرية أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى
- ١٢٧ سرية عبد الله بن أنيس إلى سفیان بن خالد الهذلى
- ١٢٨ سرية المنذر بن عمرو الساعدى إلى بئر معونة
- ١٣٠ سرية مرثد بن أبى مرثد الغنوى إلى الرجيع
- ١٣٣ غزوة بنى النضير
- ١٣٧ ما أنزل الله عز وجل فى بنى النضير
- ١٤٠ قصة برصيصا
- ١٤٨ غزوة بدر الموعد
- ١٥٤ غزوة ذات الرقاع، وخبر صلاة الخوف
- ١٥٨ خبر غورث بن الحارث المخزومى لما أراد أن يفتك برسول الله
صلى الله عليه وسلم
- ١٥٩

صفحة	
١٦٠	خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه
١٦٢	غزوة دومة الجندل
١٦٤	غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع
١٦٦	غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ، ومن قتل من
١٧٨	المشركين
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق ،
١٧٩	وما ورد في تفسير ذلك
١٨٦	غزوة بني قريظة
	نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤال
	الأوس فيهم وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى
١٩٠	وقتلهم
١٩٧	سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخير
٢٠٠	سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء
٢٠٠	غزوة بني لحسان
٢٠١	غزوة النسابة وهي غزوة ذي قرد
٢٠٣	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى النعمر
٢٠٤	سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذي القصة
٢٠٤	سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة
٢٠٥	سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى العيص

صفحة	
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
٢٠٧	سرية زيد بن حارثة إلى حسمى
٢٠٨	سرية زيد بن حارثة إلى وادي القري
٢٠٩	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
٢٠٩	سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بحدك
٢١٠	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة
٢١١	سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخير
٢١٣	سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين
	سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن
٢١٤	حرب بمكة
٢١٧	غزوة الحديبية
٢١٨	تجمع قريش للحرب
	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش
٢٢٦	بمكة
٢٢٧	بيعة الرضوان
٢٢٩	ذكر هدنة قريش ، وما وقع فيها من الشروط
٢٣٤	رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ونزول سورة الفتح
٢٤٥	خبر أبي بصير بن أسيد بن جارية
٢٤٨	غزوة خيبر
٢٥٥	خبر بني مهم حين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٧	فتح الوطيط والسلام من حصون خيبر

صفحة	
٢٥٩	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر
٢٦١	قسم غنائم خيبر
	تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة التي
٢٦٣	خرجت للحمس ، وما أعطاهم منها
	خبر الجحاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله
٢٦٦	صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله
	انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى ،
٢٦٨	ونومهم عن صلاة الصبح
٢٧٠	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة
٢٧١	سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد
٢٧٢	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فلك
٢٧٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة
٢٧٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمين وجبار
٢٧٤	سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم
٢٧٤	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوحة بالكبد
٢٧٦	سريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفلك
٢٧٦	سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسمي
٢٧٧	سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح
٢٧٧	سرية مؤتة
٢٨٣	تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة
٢٨٣	سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

صفحة

- ٢٨٤ سرية أبي عبيدة بن الجراح ، وهى سرية الخطب
- ٢٨٥ سرية أبي قتادة بن ربعى الأنصارى إلى خضرة
- ٢٨٦ سرية إلى بطن إضم
- ٢٨٧ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
- خبر حاطب بن أبى بلعة فى كتابه إلى أهل مكة ، وإعلام الله تعالى
- نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك وأخذه الكتاب ، وما أنزل الله
- ٢٩١ عز وجل فى ذلك من القرآن
- ٢٩٦ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة
- خبر أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة مع
- ٢٩٧ رسول الله صلى الله عليه وسلم
- مجئ العباس بأبى سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه
- ٢٩٩ وسلم ، وإسلام أبى سفيان ، وخبر الفتح
- دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة صلحا ، ودخول
- ٣٠٢ خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عنوة
- ٣٠٤ شعر ضرار بن الخطاب يوم الفتح
- من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكة وسبب
- ٣٠٧ ذلك ، ومن قتل منهم ، ومن نجا بإسلامه
- لإسلام أبى حنيفة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
- ٣١٠ ابن مرة بن كعب
- ٣١١ إسلام عبد الله بن الزبير وشعره فى ذلك
- دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطوافه بالبيت ، ودخوله
- ٣١٢ الكعبة ، وما فعل بالأصنام

صفحة	
٣١٤	سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها
٣١٥	سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكسره
٣١٥	سرية سعد بن زيد الأشملى إلى مناة
	سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة،
٣١٦	وهو يوم الغميصاء
٣١٧	خبر عبد الله بن علقمة مع حيشة ومقتله
٣٢٣	غزوة حنين إلى هوازن وتقيف
٣٣٥	سرية الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكففين
٣٣٥	غزوة الطائف
	مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمرانة، وقسم مقاتم حنين،
٣٣٩	وما أعطاه المؤلفة
	قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم
٣٤١	ورّد السبابة إليهم
	تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها عند
٣٤٥	قسم مقاتم حنين
	مقالة الأنصار فى أمر قسم الفىء، وما أجابهم به رسول الله صلى الله
٣٤٦	عليه وسلم
	استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة،
٣٤٨	ورجوعه إلى المدينة
٣٤٨	سرية عينة بن حصن الفزارى إلى بنى تميم
٣٤٩	خبر الوليد بن عقبة بن أبى معيط مع بنى المصطلق
٣٥٠	سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

صفحة	
٣٥٠	سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب
٣٥١	سرية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة
٣٥٢	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفليس
٣٥٢	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجتاب
٣٥٢	غزوة تبوك
٣٥٦	سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك
٣٥٨	خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر وما قاله لأصحابه ...
	أخبار المنافقين ، وما تكلموا به في غزوة تبوك ، وما أنزل الله
٣٥٩	عز وجل فيهم من القرآن
٣٦١	خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل فيهم وفي المعذرين من الأعراب
٣٦٨	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن
٣٧٠	سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشراة
٣٧١	حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره
٣٧٣	خطبته في حجة الوداع
٣٧٥	عمرة القضاء

٢٥٠ تمة للفن الخامس عن التاريخ (١)

٢٥١ تمة القسم الخامس من
الفن الخامس من اجزاء
الملة الاسلامية

٢٥٢ تمة الباب الاول من القسم الخامس
من سورة برزخه صلى الله عليه وآله

الجزء الثاني من سماره حاشية للرمس
مختصر في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

{ ذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم }

وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات
كانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي حضرها بنفسه سبعة
وعشرين غزاة، كلها بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهي :

غزوة الأبواء ، وهي غزوة ودان ، ثم غزوة بواط ، ثم غزوة بدر الأولى ،
ثم غزوة ذي العشيرة ، ثم غزوة بدر الكبرى ، ثم غزوة بني قينقاع ، ثم غزوة السويق ،
ثم غزوة قرقرة الكدر ، وهي غزوة بني سليم ، ثم غزوة عطفان إلى نجد ،
وهي غزوة ذي أمر ^(١) ، ثم غزوة بني سليم بجران ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء ،
الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة بدر الموعدة ، ثم غزوة ذات الرقاع ، ثم غزوة
دومة الجندل ، ثم غزوة بني المصطلق بالمريسع ، ثم غزوة الخندق ، وهي
غزوة الأحزاب ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحنظلة ، ثم غزوة الغابة ،
وهي غزوة ذي قرد ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة الفتح ، ثم
غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك ، ومنهم من عد عمرة القضاء
مع الغزوات ، وكانت بعد خيبر وقبل الفتح .

(١) ذو أمر : موضع بناحية التخييل نجد من ديار عطفان .

(٢) غزوة بدر الموعدة : هي بدر الآخرة ، وصحبت بذلك للواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد .

هذا هو الجزء الثاني من
الجزء الأول وهو
الجزء الثاني من
الجزء الأول وهو

قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوات في تسع ، وهى : بدر
 الكُبرى ، وأُحُد ، والخندق ، وقُرَيْظَة ، والمُصْطَلِق ، وخَيْبَر ، والفَتْح ، وحُنَيْن ،
 والطائف ، وقيل : إنه قاتل في بنى النضير . والغابة .
 وسراياه صلى الله عليه وسلم نحو من ستين سرية ^(١) .

ذكر أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم
 كان أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة بن عبد المطلب
 في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مُهاجره لواءً أبيض ، حملة أبو مرثد
 كُتَّابُ الحُصَيْنِ الْغَنَوَى ، حليف حمزة ، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترضُ لغير قريش ^(٢) قد جاءت من الشام تريد مكة ،
 وفيها أبو جهل بن هشام في ثلثمائة رجل ، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ^(٣) ،
 فالتقوا ، وصَفَوْا للقتال ، فشى مجسدى بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقين
 جميعاً ، إلى هؤلاء مرة ، وإلى هؤلاء مرة ، حتى حُجِّزَ بينهم .

ذكر سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ
 بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شَوال على رأس ثمانية أشهر من مُهاجره
 في ستين رجلاً من المهاجرين لئلا يسفهم من الأنصار أحد ، وعقد له لواء أبيض ،

٢٣ (١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسووا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة ،
 وما لم يحضره ، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو ، مرة وبمنا . راجع كتاب المنازى من كتاب المواهب
 اللدنية ، ج ١ صفحة ٤٦٧

٢٤ (٢) العبرنا : الإبل التى تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من نسلها .
 (٣) سيف البحر : ساحلهم .
 (٤) العيص : موضع بناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق
 قريش التى كانوا يأخذون إلى الشام

حملة يسطح بن أئانة بن المطلب بن عبد مناف . حكاه محمد بن سعد .
قال ابن إسحاق : أو ثمانين رجلا من المهاجرين ، فصار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل نية
المرّة ، فلقى به جمعا عظيما من قريش .

قال الشيخ شرف الدين الديماطي رحمه الله : فلقى أبا سفيان بن حرب ، وهو
في مائتين ، على ماء يقال له أحياء ، من بطن رابع على عشرة أميال من الجحفة ، فكان
بينهم الزمى ولم يسلوا السيوف ولم يقطعوا للقتال ، وكان سعد بن أبي وقاص أول
من رمى بسهم في سبيل الله ، ثم أنصرف الفريقان على حاميتهم^(١) ، وكان على القوم
عكرمة بن أبي جهل . وقال أبو محمد بن هشام : كان عليهم مكرز بن حفص
ابن الأخيف .

قال ابن إسحاق : وقر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراي
حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن
عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصلا بهم^(٢) .
وقدم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة .

ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من
مهاجرة في عشرين رجلا من المهاجرين ، وعقد له لواء أبيض حمل المقداد بن عمرو
البهراي ، وساروا يعترضون لغير قريش ، وعهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا يجاوز الخرار .

قال سعد : فخرجنا على أقدامنا ، فكان نكن النهار ونسير الليل ، حتى صبحناها
صبح خمس ، فنجد العير قد مرت بالأمس .

(١) حاميتهم : وجوهم . (٢) الضمير في بهم يعود على الكفار . يريد : أنهما جمعا
نروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين . (٣) الخرار : موضع بالحجاز .

ذكر غزوة الأَبواء ^(١) وهي غزوة وَدَّان ^(٢)

وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت في صفر على رأس آتني عشر شهرا من مُهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيص ، واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة ، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأَبواء يعترض لمير قريش ، فلم يلق كيذا .

وفي هذه الغزاة وادع نخي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ، على ألا يفتروا بني خُزيمة ولا يفتروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينهم كتابا .

وكانت غيخته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة بَوَاط

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مُهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ^(٣) ، وكان أبيص ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ^(٤) . [وقال ابن هشام : استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون .

الصفحة

(١) الأَبواء : قرية من أعمال القرع من المدينة بينها وبين الجحفل ما على المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .

(٢) ودان : قرية جامعة من نواحي القرع على طريق الحاج .

(٣) زيد في أ : « لطلب كز بن جابر القهري » .

(٤) كذا في ح . وفي أ : « على بن أبي طالب رضي الله عنه » .

(٥) في أ : « زيد بن حارثة » .

ونخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش، فيها أُمّية بن خلف الجُمحى ومائة رجل من قريش وألف وخمسمائة بعير، فبلغ بواطًا، وهي من جبال جُهينة من ناحية وضوى، وهي قريب من ذى خُشب مما على طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة بُرد، فلم يلق كيدا، فرجع صلى الله عليه وسلم.

ذكر غزوة بدر الأولى^(١)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره، لطلب كُزّ بن جابر البهري، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان أبيص، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على مَرَح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

ذكر غزوة ذى العُشيرة

الْعُشيرة، بالشين المعجمة، وقيل بالسين المهملة، وقيل: العُشيرة بالالف. غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة، على رأس ستة عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيص، واستخلف على المدينة أبا سامة بن عبد الأسد المخزومي.

(١) اضطرب النص هنا في نسخة ١.

(٢) هذه الغزوة ساقطة من ١. وقد سماها ابن هشام أيضًا بغزوة سفوان: وذكرها بعد غزوة

الْعُشيرة. راجع صفحة ٤٧٨ ح ١ من المواهب اللدنية.

(٣) السرح: الإبل والمراشي التي تسرح للرعى بالقطاد.

وخرج في خمسين ومائة ، ويقال في مائتين من المهاجرين من أنشدب ، ولم يكره أحدا على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها ، وخرج يعترض لعير قريش حين ابتدأت إلى الشام ، فبلغ ذا العشرة ، وهى لبنى مُذَلج بناحية يَبْع ، فوجد العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهى العير التى خرج أيضا يُريدُها حين رجعت من الشام ، فكانت فيها وقمة بدر الكبرى .

وفى هذه الغزاة وأدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مُذَلج وحلفاءهم من بنى خَمْرَة . وفيها كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أبا تراب ، وقيل فى غيرها .

ذكر سرية عبد الله بن جحش الأسدى إلى نخلة

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجرة فى اثني عشر رجلا من المهاجرين ، كل اثنين يعتقبان بعيرا . قال ابن إسحاق : وكتب [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ويغضى لما أمره به ، ولا يستكره أحدا من أصحابه .

(١) يعتقبونها : يتأهبون وركبها .

(٢) قال السهيلي : فى الروض ج ٣ ص ٨٠ « إن أصح الأقوال فى تسمية على بأبي تراب ما رواه البخارى فى جامعته وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد فى المسجد ناقما وقد ترب جنبه فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد مغاضيا لقاطمة » .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

قال : وكان معه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعكاشة بن محصن ، وعُتْبة ابن غَزْوان بن جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وعاصم بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله التيمي ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن لَيْث ، وسُهَيْل بن بَيْضاء . هؤلاء الذين علمهم آبن إسحاق ؛ وكان معهم المقداد بن عمرو ، حكاه محمد بن سعد .

قال آبن إسحاق : فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه :
 " إذا نظرت في كتابي هذا فأَمِضْ حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم " . فلما نظر عبد الله في الكتاب قال : سمع وطاعة . ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم : قد نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليطأني ، ومن كره ذلك فليرجع ، فإنا أنا فامض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضوا كلهم ، وسلك على الجواز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بغيرهما ، فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمزت به عير لقريش تحمل زيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش — قال آبن سعد : ونحرا — وفيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما راهم القوم هابوهم ؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم ؛ فأمنوا . وقال لهم عثمان : لا بأس عليكم منهم . قال : فمرحوا ركبهم ، وصنعوا طعاما . قال : فنشاور القوم فيهم ، وذلك آخر يوم من شهر رجب ، فقالوا : والله لئن

(١) الأدم : الجلد . (٢) انظر شرح المواهب : ١ : ٤٧٩ .

(٣) في طبقات آبن سعد ج ٢ ص ٥ : « وقالوا هم عمار » .

تركتهم في هذه الليلة ليدخُل الحَرَمَ فليمتنعنَّ منكم به ، وإن قتلتموهم لتفتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ؛ فخرج واقد بن عبد الله يقدم المسلمين ، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، وأستأمر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأقلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله وأصحابه بالعر والأسيارين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدموا عليه قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ووقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فأسقط في يد الثوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم المسلمون فيما صنعوا .

- وقالت قريش : قد استحلَّ عِد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا الرجال ؛ وأكثر الناس في ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ . أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ ؛ أي قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم ، فذلك أكبر عند الله من القتل .

(١) في سيرة ابن هشام : ٢ ص ٢٥٤ : « وأقلت القوم نوفل » .

(٢) أسقط في يد القوم : « زلوا وأخطروا وندموا وتحيروا » .

(٣) في ح : « وأخذوا الأموال » .

قال : فلما نزلت الآيات قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ،
وبعث إليه قريش في فدائهما ، فقال : لا . حتى يقدّم صاحبانا ، يعني سعد
ابن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، فلأنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما تقتل
صاحبكم . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، فافداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا ، وأما عثمان فليحق بمكة ، فكان بها حتى
مات كافرا .

قال : فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمعهوا في الأجر ،
فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله
تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، قال : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفئء بفعل
أربعة أخماس لمن أفاءه ، وخمسة إلى الله ورسوله .

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعمر بن الخطاب
أول من قتل المسلمون ، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون . وفى هذه السيرة
سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

وقال عبد الله بن جحش فى هذه الواقعة ، ويقال إنها لأبى بكر الصديق
رضى الله عنه ، والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش ، أباينا يخاطب
بها قريشا :

تعدون قتلاً فى الحرام عظيمةً وأعظم منه لو برى الرشد راشدٌ
صدودكم عما يقول محمدٌ وكُفّر به والله راءٌ وشاهدٌ

وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ لَسْلَأُ يَرَى اللَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ
فَإِنَّا وَإِنْ عَصَيْتُمُونَا بَقَتْلِهِ وَارْتَجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدٌ
مَقِينًا مِنْ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدُ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُمَانٌ بَيْنَنَا يُنَازَعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَيْدِ عَانِدٌ^(١)

(٢)

ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بإقبال
أبي سفيان بن حرب من الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها
في غزوة ذي العشيرة، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون
أو أربعون، منهم تحرمه بن نوفل، وعمرو بن العاص بن وائل، فندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فانخرجوا
إليها لعل الله ينفليكموها، فانتدب الناس، نخف بعضهم وثقل بعض.

(٣)

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يحسب الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان
عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تخوفنا على ما معه؛ فأخبره بعض الركبان: أن

(١) القيد: شرك بقطع من الجلد. وفي شرح المواهب ١: ٨١: «عائد».

(٢) ونسب هذه الغزوة أيضا غزوة بدر العظيمة، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر: قرية بين مكة
والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة؛ وقيل ماء مشهور أسفل وادي الصفراء، ويقال: إنه ينسب
إلى بدر بن نخلة وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. وراجع شرح المواهب
المدنية ج ١ ص ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

(٣) التحسيس: أن تسمع الأخبار بنفسك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه لقصدته، فحذر عند ذلك، واستأجر
ضمضم بن عمرو الغفاري؛ فبعثه إلى مكة، وأمره أن يستنفر قريشا إلى أموالهم،
ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة .

ذكر رؤيا عائكة بنت عبد المطلب

ونخروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير
رضي الله عنهم .

قالا : ورات عائكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا
أفزعها، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له : والله لقد رأيت رؤيا أفزعني
وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر أو مصيبة، فاكم عني ما أحدثك به، قال :
وما رأييت ؟ قالت : رأيت را بكا أقبل على يعبر حتى وقف بالأبطح^(١) ، ثم صرخ
بأعلى صوته : ألا أنفروا يا آل غدُر ! لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا،
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ،
ثم صرخ بمثلها : ألا أنفروا يا آل غدُر ! لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على

(١) الأبطح : سبيل واسع فيه دقاق الحصى .

(٢) في اللسان : غدر مدول عن غادر بالالفه ، ويقال للذكر : غدر ، والأنثى غدار ، وهما
مخضبان بالنسب . في الغالب ، وقد ضبطه السجلى بضم الفين والمال . (راجع ج ٢ صفحة ٦١ من
الروض الأنف) .

رأس أبي قيس فصرخ بمنزلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكة فلا دار منها إلا دخلتها منها فلقه ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنت فاكتمها .^(٢)

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقا له ؛ فذكرها له وأمسكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ؛ ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش .

قال العباس : ففسدت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش فعود يتحدثون برؤيا عائكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأت إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ؛ فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عائكة ، فقلت : وما رأت ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم ! فقد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنترقب بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقا ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب ؛ قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أتني بحدث ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئا ، قال : ثم تفزقنا .

فلما أسيئت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أفررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم تكن

(١) أبو قيس : جبل مشرف على مكة . (٢) في سيرة ابن هشام : « فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فأتني بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فلقه » . وفي ح : « ولا دار » . (٣) وفي رواية : « رأيت » .

عندك غير لشيء بما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وأيم الله لا تعرضن له ، فإن عاد لا كيفيتكته .

قل : فحدث في اليوم الثالث من رؤيا عائكة ، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أعرض له ليعود لبعض ما قال ، فأوقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد^(٢) ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرق مني أن أشأته ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضخم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي وافقا على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله ، وشق قيصره وهو يقول : يا معشر قریش ، اللطيمة^(٣) اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها عهد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الفوث الفوث ! قال العباس : فشفاني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

فنجّهز الناس سراعا وقالوا : أبطن عهد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي ؟ كلا ! والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث رجلا مكانه ، وأوعبت^(٤) قریش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، أستأجره بأربعة آلاف درهم كانت لأبي لهب عليه ، فخرج عنه .

وروى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسند يرفعه إلى مصعب بن عبد الله قال :

(١) في السيرة ج ٢ ص ٢٠٦ والطبري ج ٣ ص ٤١٢٩ : « غير » . (٢) يشتد : يمدو .

(٣) جدع بعيره : قطع أذنيه . (٤) اللطيمة : الإبل التي تحمل الطيب والبر .

(٥) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى النزور . (٦) راجع الأغاني (ج ٤ ص ١٧٤ طبع دار الكتب المصرية) ، والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا .

قَامَرَ أَبُو لَهَبٍ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامٍ فِي عَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَقَمَرَهُ ، ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ
 فَقَمَرَهُ ، [ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ فَقَمَرَهُ ^(٢١)] ، إِلَى أَنْ خَلَعَهُ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي أَرَى الْقِدَاحَ قَدْ حَالَفَتْكَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَهَلَمْ أَقَامَرَكَ يَا بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ،
 فَأَيْتُيَا غُلَبٌ كَانَ عَبْدًا لِمُصَاحِبِهِ . قَالَ : أَفْعَلْ ، فَقَعَلَ . فَقَمَرَهُ أَبُو لَهَبٍ ، فَكِرِهَ
 أَنْ يَسْتَرْقَهُ فَنَفَضَ بَنُو مَخْزُومٍ ، فَشَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ : اقْتَدَوْهُ مِنِّي بِعَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ .
 فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ وَلَا يَوْبَرَةٌ . فَاسْتَرْقَهُ ، فَكَانَ يَرَى لَهُ إِبِلَهُ إِلَى أَنْ خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ
 إِلَى بَدْرٍ . قَالَ : وَقَالَ غَيْرُ مُصْعَبٍ : فَاسْتَرْقَهُ وَأَحْتَبَسَهُ قَيْنًا يَعْمَلُ [الْحَدِيدَ] ^(٢٢) . فَلَمَّا
 خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَدْرٍ أُنْجِرَهُ أَبُو لَهَبٍ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيلاً ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَادَ
 أَعْتَقَهُ ، فَقَبِلَ الْعَاصِي .

١٠ قَالَ ابْنُ اسْمَاعِيلَ : وَكَانَ أَمِيَّةُ بْنُ خُلْفٍ قَدْ أَجْمَعَ الْقُعُودَ [وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا ^(٢٣)
 جَسِيمًا ثَقِيلًا] فَأَنَاهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ قَوْمِهِ بِمِجْمَرَةٍ ،
 فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، أَسْتَجِيرُ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ . فَقَالَ :
 قَبَّلَكَ اللَّهُ وَقَبِّحْ مَا جِئْتَ بِهِ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَخَرَجَ مَعَ النَّاسِ .

١٥ قَالَ : وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ ، وَأَجْمَعُوا الْمَسِيرَ ، ذَكَرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كُثَيْلَةَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَخْشَى أَنْ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا .
 فَكَادُوا يَنْتُونُ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةِ بْنِ مَالِكِ الْمُدَلِّجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ
 أَشْرَافِ كُثَيْلَةَ ، فَقَالَ : أَنَا جَارٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كُثَيْلَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بَشْيَءٍ مِمَّا
 تَكْرَهُونَهُ فَخَرَجُوا سَرْعًا .
 هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قُرَيْشٍ .

(١) قره : غلبه في المقامرة . (٢) زيادة عن ح . (٣) الفين : الحداد .
 (٤) زيادة عن ح . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام .
 (٦) في السيرة : « بحجرة مجملها ، فيها نار وبجر » .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن معه من المسلمين إلى بدر

قال محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان .

وقال محمد بن سعد : خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجره ، واستعمل على المدينة عمرو ابن أم مكتوم ، وأسمه عبد الله ، ليصلي بالناس ، ثم ردّ أبا لُبابة من الروحاء واستعمله على المدينة ، وخرج صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة رجل وخمسة عشر رجلا ، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون ، وسائرهم من الأنصار بعد أن ردّ من أصحابه من استصغروهم ، ولم يكن غزا بالأنصار قبلها .

قال محمد بن سعد : وتخلّف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية لعلّة ، ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيهاهم وأجورهم ؛ ثلاثة من المهاجرين : وهم عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرائه رُقبة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت ، وطلحة بن عبّيد الله ، وسعيد بن زيد ، بهنما يتحسّسان خبر العير ، وخمسة من الأنصار ، وهم : أبو لُبابة بن عبد المنذر ، خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى ، خلفه على أهل البادية ، والحارث بن حاطب ، رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصّمة ، وخوات بن جبير ، كُسرا بالروحاء .

(١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيرا يعتقبونها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومرثد ابن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال : «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة ، وعلى ، زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا كانت عَقْبَةُ النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك ، فيقول : " ما أنتم بأقوى على المشى منى ، وما أنا أغنى عن الأجر منكم " .

قال ابن إسحاق : وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ^{صهر لبنة} مولا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ، وكان أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، يعتقبون بعيرا .

قال ابن سعد : وكانت الخيل فرسين : فرس للقناد بن عمرو ، وفرس لمرثد ابن أبي مرثد الغنوى . قال ابن إسحاق : وفرس للزبير بن العوام .

قال : ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الآواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم ابن عبيد مناف بن عبد الذار ، وكان أبيض ، قال : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، والأخرى مع الأنصار .

قال ابن سعد : وكان لواء الخرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صعبصة أخا بني مازن بن النجار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريبا من الصفراء^(١) بعث بئيس بن عمرو ، وعدى بن أبي الزغباء الجهينين إلى بدر
يَحْسُنَانِ لَهُ الْأَخْبَارُ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ وَعِيْرِهِ .

ثم أرتحل صلى الله عليه وسلم إلى ذِقران — وادِيسَارَ الصَّفراء — وأناه الخبر
بمسير قريش ليمنعوا عيْرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم ، فقام أبو بكر الصديق
فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال :
يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ! فنجن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو
إسرائيل : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن نقول : اذهب
أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى
بَرْكِ النَّهَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيرا ، ودعا له .

ثم قال : أشيروا على أيها الناس — وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس —
فقال له سعد بن مُعَاذٍ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ؛ قال : فقد
آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا
وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضته لخصناه معك ، ما تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ
واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إِنَّا لَصُبْرُ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي الْلِقَاءِ ،

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع في طريق الحاج ، وبينه وبين بدر
مرحلة . وقيل : قرية فوق ينبع مما يلي المدينة .

(٢) برك النهاد (بكسر التين المعجمة) وقال ابن دريد : بالضم ، والكسر أشهر) : موضع في أقصى
أرض هجر ، وقيل : موضع في أقصى اليمن . وقال الحمداى : موضع بالحبيشة .

لعلَّ الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسرُّ بنا على بركة الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ” سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم “ .

- ثم آرتحل صلى الله عليه وسلم من ذُفْران^(١) حتى نزل قريبا من بدر ، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أو ذاك بذلك ؟ قال نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق^(٢) الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي ترك به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه — وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي به قريش — ثم قال : من أنتم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ويقال : إن الشيخ سُفْيَانُ الضَمَرِيُّ قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب ، والزُّبَيْر بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر ، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم ، غلام بنى^(٣) المجاج ، وعيرِض أبو يسار ، غلام بنى العاص ، فأتوا بهما ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ، فقالا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لها : كم القوم ؟ قالوا : كثير ؛ قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندرى .

(١) ذُفْران (فتح أوله وكسر ثانيه ثم را . هـ)مة وآخره نون) : واد قرب وادي الصفراء .

(٢) في أ : « فإنهم اليوم » .

(٣) الراوية : الإبل التي يستق عليها الماء .

قال : كم يَخْرُونَ كل يوم؟ قالوا : تسعا ، ويوما عشرا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لها : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِيِّ بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدى بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأميمة بن خلف ، ونبية ومثبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت أفلاذ كيدها .

قال : وبلغ أبا سفيان الخبر بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ماء بدر ، فرجع إلى أصحابه سريعا وصرف وجهه عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدرًا يساره ، وأنطلق . وأقبلت قريش ، فلما نزلا الجحفة^(١) ، رأى جهنم بن الصلت بن مخزومة ابن عبد المطلب رؤيا فقال : أتى فيما يرى النائم ، أو إلى لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدد رجالا يمين كان قُتِلَ يوم بدر من أشرف قريش ، ورأيتَه ضرب في لَبَّةٍ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خيباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل بن هشام فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بني عبد المطلب ! سيعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

(١) ساحل بها : أي أخذها جهة الساحل .

(٢) الجحفة : قرية على ثلاث أنوارٍ مراحيل من مكة .

(٣) في ١ : « راني » . (٤) النضح : الرثر .

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيـره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرّجتم لتنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاهما الله فأرجعوا ؛ فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نردّ بدرًا ؛ وكان بدرٌ موسِمًا من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام ، فنقيم عليه ثلاثًا ، فتنتحر الجَزَور ، ونُطعم الطعام ، ونُسقى الخمر ، وتعزّف علينا القيان ، وتسمع بنات العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالن يهابونا أبداً بعدها ، فامضوا .

ففضت قريش حتى نزلوا المدوّنة القصوى من الوادي ، والقلب بدر في العدوّة الدنيا ، قال : وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهبًا ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض ، ولم يمنعهم من المسير .

وقال ابن سعد : كان المسلمون يومئذ يمدّون من النعاس ونزلوا على كنيب^(٦) أهبل ، فطّرت السماء نصار مثل الصفا يسعون عليه سعيًا . وأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ النَّعَاسُ أَمْسَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وأصاب قريشًا منها ما لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء

(١) القيان : الجوارى .

(٢) المدوة القصوى : أى جانب الوادي القريب من مكة .

(٣) القلب : جمع قلب ، وهو البئر .

(٤) المدوة الدنيا ، أى بالجانب الأدنى من المدينة .

(٥) الدهس : كل مكان سهل ليس برمل ولا تراب .

(٦) كنيب أهبل : أى رمل صائل .

(٧) الصفا : الحجارة الصلدة .

(٨) في قراءة ابن كثير وأبي عمرو .

من ماء بدر نزل به ، فأتاه الحُبَابُ بن المنذر بن الجُحُوح فقال : يا رسول الله ، هذا المنزل منزل أتركه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بل الرأى والحرب والمكيدة ” . قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتزله ، ثم تَمُورُ ما وراءه من القُلب ، ثم نبتنى عليه حوضاً فتملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » ، فنهض بالناس وسار حتى [إذا] أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقُلب فمُورَتْ ، وبني حوضاً على القليب الذى نزل عليه ، فملى ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

فقال سعد بن معاذ : يا بنى الله ، نبتنى لك عريشاً تكون فيه ، وتكون عندك ركائبك ، ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جاست على ركائبك ، فليحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تختلف عنك أقوام مانحن بأشد لك حُباً منهم ، ولو ظنوا أن تلقى حرباً ما تملقوا عنك ، يمتنعك الله بهم يباحسونك ويجاهدون معك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه خيراً ، ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه . قال : وأرتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” اللهم هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها ونفَرها ، تُحاذِك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم ارحمهم الغداة ” .

(١) نمر القلب : نذنها . (٢) عن سيرة ابن هشام . (٣) العريش : شبه

الخيمة يستظل به - (٤) الخيلاء : الكبر والإعجاب . (٥) تحاذك : تعادبك .

(٦) ارحمهم : أى أهلكهم .

قال ابن سعد : كانت قريش تسعمائة وخمسين ، وخيلهم مائة فرس ، وكان لهم ثلاثة ألوية ؛ لواء مع أبي عَزْرِيز بن عُمَيْر ، ولواء مع النَضِير بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره ، عن أشياخ من الأنصار ، قال : لما أطمأنَّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحِي فقالوا : أحرر لنا أصحابَ عهد ،^(١) بغالٍ بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ، ألقوم كمينٌ أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيتُ شيئاً ، ولكني رأيتُ يا معشر قريش البلايا تحيل المنايا ،^(٢) نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ،^(٣) قوم ليس معهم [منعة]^(٤) ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترؤفهم نحرصاً لا يتكلمون ، يتلمظون^(٥) تلمظ الأفاعي ؛ والله ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلٌ منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرؤوا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى في الناس ؛ فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكِيم ؟ قال : ترجعُ بالناس وتعملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، على عقله ؛ فأتى ابنَ الحنظلية ، يعني أبا جهل بن هشام ، قال : فأينته فقلتُ : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عُتْبَةُ

(١) الحذر : التقدير بالحدس والظن . (٢) البلايا : جمع بليّة . وهي الناقصة تر بط على قبر الميت

فلا تعلق ولا نسق حتى تموت . وكان بعض العرب من يفر باليتم بقول : إن صاحبها يحشر عليها .

(٣) النواضح : الإبل التي يستق عليها الماء . (٤) الناقع : الثابت البالغ في الإفناء .

(٥) تلمظ من أ - (٦) عقله : دينه .

بكذا وكذا ، فقال : انتفخ والله سمحره حين رأى مجدا وأصحابه ، كلا والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين مجد ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فأنشد خفرتك ، ومقتل أخيك . فقام عامر فأكتشف ثم صرخ : ^(٣) وا عمراه ! وا عمراه ! لخميت الحرب ^(٤) وحقب ^(٥) أمر الناس ، وأستوسقوا على ما هم عليه من الشر . قال : فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلا شرما سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته ، أو أمتن دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما ألتفيا ضربه حمزة فأطعن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يربيمنه ، وأشبعه حمزة فضربه حتى قتله . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبه بن ربيعة ، وأبنيه الوليد بن عتبة ، حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ، وهم : عوف ومعوذ بن الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى متاديبهم : يا مجد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) يقال : « انتفخ سمحره » ليجان الذي ملا الخوف جوفه . والحر : الرية .

(٢) أنشد خفرتك : أي اطلب من فريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .

(٣) اكتشف : نرى من ثيابه . وفي الطبقات : « فكشف عامر رحت على استه الزاب » .

(٤) كذا في ج وفي معظم المراجع . وفي أ : « العرب » .

(٥) حقب : اشتد .

(٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) أطن : أطار .

عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما دنا منهم قالوا: من أنتم؟ فسمي كل رجل منهم نفسه، قالوا: نعم أكفاء كرام؛ فبارز عبيدة — وكان أسن القوم — عتبة، وبارز حمزة شيبه، وبارز على الوليد بن عتبة، فاما حمزة وعلى فلأنهما لم يمهلا مبارزتهما أن قتلاهما، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربين كلاهما أثبت صاحبه، وكرَّ حمزة وعلى بأسيا فلهما على عتبة قذفا (٢) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال محمد بن سعد: وفي عبيدة وعتبة نزل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ أَتَخْتَصِمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾. قال: ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض.

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة.

وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش، فدخله هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعدّه من النصر، ويقول فيقول: اللهم إني تهلك هذه العصابة اليوم لا أتعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله مُنجزك ما وعدك. وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم أنقبه، فقال: أنشُر يا أبا بكر، أنك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثيابه النقع.

(١) أثبت صاحبه: جرحه بجراحة لم يقم معها. (٢) دنا عليه: أسرع قتله.

(٣) حازاه: ساراه في رفق. وفي أ: «جازه».

(٤) يناشده: يسأله ويرغب إليه. (٥) خفق: قام نوما يسيرا.

(٦) النقع: الثياب.

قال ابن إسحاق : ورُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقيل ، وكان أول قتل قُتل من المسلمين ، ثم رُمي حارثة بن سراقة ، أحد بني عدي بن النجّار ، وهو يشرب في الخوض بسهم ، فأصاب نحره ، فُقيل .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يُخَوِّضُهُمْ ، وقال : «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محسبا مُقِيلاَ غير مُدبر ، إلا أدخله الله الجنة » ، فقال عُمر بن المُطام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهن : ^(١) يَخْ ! أفسا بني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتل .

وقال عوف بن الحارث — وهو ابن عَفراء — يا رسول الله : ما يُضحك الرب من عبده ؟ قال : تَمَسُّهُ يَدُهُ في العدو حاسرا . فترَعَ دِرْعًا كانت عليه ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتل .

قال : ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفَنَةً من الحَصْبَاء فاستقبل بها قريشا ، ثم قال : شأنت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة على قريش ، فقتل الله من صناديد قريش من قُتل ، وأسر من أسر .

قال محمد بن سعد : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما نزلت : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ، قلت : وأى جمع يُهْزَمُ وَمَنْ يَغْلِبُ ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَّبِعُ في الدرع وثبا وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ، فعلمت أن الله تعالى سيُهْزِمُهُمْ .

(١) يَخْ : (بكسر الخاء وإسكانها) : كلمة تقال في موضع الإيجاب .

(٢) يضحك الرب : أى يرضيه غاية الرضا . (٣) شأنت : فحيت .

قال : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 [في العريش] وسعد بن مُعَاذ قائم على باب العريش ، مُتَوَسِّحُ السَيْفِ ، في نفر من
 الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَوَّةَ العدو ، فرأى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس
 فقال له : لَكَأَنِّي بِكَ يَسْعَدُ نَكَرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ ، قال : أَجَلْ : والله يا رسول الله ،
 كانت أوَّلَ وَفْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِأَهْلِ الشَّرْكِ ، فَكَانَ الْإِنْفِخَاتُ فِي الْقَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ
 من استبقاء الرجال .

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين .

قال محمد بن سعد : لما صَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعَاجَمَ
 للرب ، جاءت ريح لم يَرِ مِثْلَهَا شَدَّةً ثم ذهب ، فجاءت ريح أخرى ثم ذهب ،
 فجاءت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة
 عن مِئْمَنَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسماعيل في ألف من الملائكة
 عن مِيسَرَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان سِمْيَا الملائكة يومئذ عمام
 قد أرخوها بين أكفانهم : خُضْرُ وَصُفْرُ وَحُمْرُ من نور ، والصُّوفُ في نواصي
 خيلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّتْ
 فسوّموا . فَأَعْلَمُوا بِالصُّوفِ فِي مَغَافِرِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ .

قال : وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلْقَى .

وقال ابن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّث عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال : حدّثني رجل من بني غِفَّار قال :

(١) زيادة عن الطبري وابن هشام . (٢) المنفرة: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

أقبلت أنا وأبن عمي حتى أصعدنا في جبل يُشرف^(١١) [بنا] على بدر [ونحن مشركان]^(١٢)
 ننظر الوقعة على من تكون الدائرة^(١٣)، نتهب مع من يتهب ، فيبنا نحن في الجبل
 إذ دنت منا سحابة ، فسمعت فيها حممة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم^(١٤)
 حيزوم . قال : فأنا ابن عمي فأنكشف قناع قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكنت
 أن أهلك ، ثم تماسكت .

وروى ابن إسحاق عن أبي أسيد مالك بن ربيعة — وكان شهد بدرًا —
 قال — بعد أن ذهب بصره — : لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأريكم^(١٥)
 الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارى^(١٦) .

وعن أبي داود المازني ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر
 لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قتله غيري .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : كانت سما الملائكة يوم بدر
 عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراء ، وفي حديث آخر عن
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، كانت سما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد
 أرخواها على ظهورهم . إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم
 بدر ، وكانوا فيها سواء من الأيام عدداً ومدة لا يضر بون .

(١) زيادة عن ج . (٢) زيادة عن الطبري ، وابن هشام .

(٣) في المواهب الدنية ، والروض الآف : « الدبرة » ، ومعناها : الخزعة .

(٤) أقدم . كما صرحه صاحب اللسان : كلمة ترجيح الخيل . وحيزوم : اسم فرس جبريل .

عليه السلام . ويقال فيه : « حيزون » .

(٥) الشعب : الطريق في الجبل . (٦) أتمارى : أشك .

قال : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ^١أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو [يقال و] يقول : ^(١)

ما تنقسم الحرب العوان متى * بازُل عامين حديث سني ^(٢)

* لنشل هذا ولدتي أمي *

- قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر أن يلتمس
- أبو جهل بن هشام في القتلى ، فمز به عبد الله بن مسعود ، قال : فوجدته بأخر رمق ففرقته ، فوضعت رجلى على عنقه ، فقال لى : لقد أرتقيت يا رؤيى الغنم مرقى صعبا ، ثم قال : أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ فقلت : لله ولرسوله ؛ ثم أحتزت رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبى جهل ؛ فقال : آله الذى لا إله غيره ؟ قلت : نعم والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل أن يطرحوا في القليب ، طرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه ففلاها فذهبوا ليحركوه فترأيل ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، قالت : ولما ألقوا في القليب ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإني قد وجدت ما وعدنى

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . (٢) الحرب العوان : هى التى توتل قبلها مرة . البازل :

أصله في العبر ، يقال : يعبر بأزل ، إذا استكمل السنة الثامنة ، ووطن في التاسعة ، والكلام هنا على التشبيه ،

يريد أن يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . (٣) « آله الذى لا إله إلا هو » : كانت

يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو باللفظ عند سيبويه لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده .

راجع الرض الأتق ج ٢ ص ٧٢ . (٤) ترأيل : تفرق له .

ربى حقا» قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتتكم قوما موقى ؟ فقال لهم : " لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق " . وعن أنس رضى الله عنه نحوه ، إلا أن فيه : فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادى قوما قد جيفوا ^(١) ؟ قال : " ما أتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوني " ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وكان الفتية الذين قُتلوا ببدر - فترل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ - الحارث بن زئمة بن الأسود ، وأبو قيس بن الناكه ابن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص ابن منبه .

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آبائهم وعشائريهم بمكة وفتنهم فأفنتوا ، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا كلهم .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر مما جمع الناس بجمع ، وأخلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : ما أتم بأحق منا ، لقد رأينا أن تقتل العدو إذ متحنا الله

(١) جيفوا : صاروا جيفا .

(٢) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى « وما أنت بمسمع من في القبور » ، تجده واضحا

في الروض الأنف ، ج ٢ ص ٧٤ ، وفي شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٢٢ .

أَكْثَاهُمْ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ الْمُتَاعَ حِينَ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ ، وَلَكِنْ خِفْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرَّةَ الْعَدُوِّ فَقَعْنَا دُونَهُ ، فَمَا أَتَمَّ أَحَقُّ بِهِ مِنَّا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقَوْا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۝ ﴾ ، نَزَلَتْ السُّورَةُ بِمَجْلَئِهَا فِي غَزْوَةِ بَدْرَ .

٥ قال : ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّفْلِ ^(١) ، وَجَعَلَ عَلَى النَّفْلِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ الْمَازَنِيُّ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ ، نَزَلَ عَلَى كَثِيبٍ بَيْنَ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ النَّازِيَةِ ^(٢) ، يُقَالُ لَهُ : سَيْرٌ ^(٣) ، إِلَى سَرْحَةٍ ^(٤) [بِهِ] وَهُوَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ ، فَقَسَمَ هُنَاكَ النَّفْلَ الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى السَّوَاءِ .

١٠ قال ابن سعد : وَتَنَفَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْقَهُ ذَا التَّقَارِ ، وَكَانَ لِمَنْبَتِهِ بْنِ الْحِجَّاجِ ، فَكَانَ صَفِيَّةُ يَوْمَئِذٍ ؛ وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِيهِ جَحْلُ أَبِي جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَكَانَ مَهْرَبًا ^(٥) ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ بَشِيرًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ .

١٥ قال ابن سعد يرفعه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلَاثِينَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، كَمَا خَرَجَ طَالُوتُ ،

١١
١٥

(١) النفل : الغنيمة . (٢) في الأصل : « المضيقي » وما آتينا عن ابن هشام .

(٣) النازية : عين على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة ، قرب الصفراء .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . (٥) تكلمة من ابن هشام .

٢٠ (٦) مهري : نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن .

فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا ، فقال : " اللهم إنيهم حُفَاةٌ فَاجْلِهِمْ ، اللهم إنيهم عُرَاةٌ فَأَكْسُمُهم ، اللهم إنيهم جِياعٌ فَاشْبِعِهِمْ " .

ففتح الله يوم بدر فَأَقْلَبُوا حين أَقْلَبُوا ، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين ، فَأَكْسَوْا وشبِعُوا .

وقال يرفعه إلى عِكْرَمَةَ قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أهل بدر : عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه العباس : إنه لا يصلح ذلك لك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأن الله تعالى وَعَدَكَ إحدى الطائفتين ، ففقد أعطاك ما وعده .

ذِكْرُ ورود الخبر بمصّاب أهل بدر على مَنْ بمكة من كفار قريش وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : كان أول من قدم مكة بمصّاب قريش الحُسيّمان بن عبد الله الخُزاعِيّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عُبَيْدَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأمِيَةُ بن خلف ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وتُبَيْيْه ومُنَبِّه ابنا الجُحّاج ، وأبو البَخَرِيّ ، وجعل يستد أشرف قريش ، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الجحجر : والله إن يَقتِلَ هذا فاسألوه عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس في الجحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قَتِلَا .

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه [وكان

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) ذا مال كثير متفرق في قومه]. وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص
 ابن هشام بن المغيرة [وكذلك كانوا صنعوا]، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً^(١)،
 فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كتبته الله وأنزاه^(٢)، ووجدنا في أنفسنا قوة
 وعزاً، وكنتُ وجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حُجرة زمزم، فوالله
 إنى لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أُمّ الفضل جالسة^(٣)، وقد سرتنا ما جاءنا من
 الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر، حتى جلس على طُنب الحجرة^(٤)، وكان ظهري
 إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس^(٥) : هذا أبو سفيان بن الحارث بن
 عبد المطلب . فقال أبو لهب : هلم إليّ، فينكدك لعمري الخبر . قال : بفلس
 إليه والناس قيام عليه، فقال : يابن أُنحى، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال :
 والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا
 كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما ملئت الناس، لقينا رجالاً يبضاً، على خيل بلق
 بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء^(٥) .

(٦) قال أبو وافع : فرفعت طُنب الحجرة [بيدي] ثم قلت : تلك والله الملائكة .
 قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة^(٧)، فتأورته فأحتملني،
 فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنتُ وجلاً ضعيفاً، ققامت أم الفضل
 إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت رأسه شجرة منكزة^(٨)، وقالت :

(١) زيادة من سيرة ابن هشام . (٢) كنه : أذله .

(٣) طنب الحجرة : طرفها . والطنب أيضاً : حبل طويل يشد به سراق البيت .

(٤) كذا في ج . وفي أ : « الناس » . (٥) ما تليق : ما يليق .

(٦) سافطة من أ . (٧) تأورته : واثته .

(٨) كذا في أ . وفي ج : « فلقت في رأسه » . وفي السيرة : « فلقت في رأسه » .

أستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .^(١)

وقالت قريش في قتلى بدر مرأى كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره ، تركنا إيرادها رغبة في الاختصار ، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدده ، إلا أنها تشهد بقتل من قُتل من نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بِدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت جميع من شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ومن ضرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ثلاثة وعشرون ، ومن الأنصار أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون .

فأما من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ، فشهدها من بنى هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً ، وهم : سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وأنسة الحبشي ، وأبو كبشة الفارسي ، موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو مرثد كنان بن حصين ، وأبنة مرثد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه : الطقيط ، والحصين ، ومسطح ، وأسمه عوف بن أمانة بن عباد بن المطلب .^(٢)

(١) العدسة : فرجة قائمة كالطاعون . وكان العرب يشاءون بها ، ويرون أنها شديدة العدوى .

(٢) في ١ : « ثلثمائة وعشرون » وهو خطأ .

(٣) كذا في ج ، وهو براقع ما في السيرة وأسد القايه . وفي ١ : « ابن عبد المطلب » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلا،
 وهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولاة . ومن حلفائهم من بنى أسد
 ابن خزيمة عبد الله بن جشم بن رثاب ، وعكاشة بن محصن ، وشجاع بن وهب
 ابن ربيعة ، وأخوه عتبة ، ويزيد بن رقيش بن رثاب ، وأبو سنان بن محصن
 ابن حُرثان^(٢) أخو عكاشة ، وأبنة سنان ، ومُحَرِّز بن فضلة بن عبد الله وربيعة بن
 أكتم بن تخبيرة بن عمرو . ومن حلفائهم بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد :
 ثقف بن عمرو ، وأخوه مالك ، ومذلاج ، وهم من بنى تَجْر آل بنى سليم ،
 وأبو تَحْنِي ، حليف لهم .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف وجلان، وهما : عتبة بن غزوان، وخَبَّاب
 مولاة .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر، وهم : الزبير بن العوام
 وحاطب بن أبي بلتعة ، وسعد مولاة .

ومن بنى عبد الدار وجلان، وهما : مُضْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
 ابن عبد الدار، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمِلَة ، ويقال : ابن حرملة بن مالك بن
 عُمَيْلَة بن السَّبَّاق بن عبد الدار .

(١) هذه رواية ابن هشام . وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة : « رقيش بن رباب » .
 وفي الأصول : « قيس بن رثاب » .

(٢) في أ : « محصن وحرثان » .

(٣) كذا في السيرة ، وفي أ « كثير » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول : وفي رواية أخرى لابن هشام ، وفي الاستيعاب : « مذلاج » .

ومن بنى زُهْرَةَ بنِ كِلَابٍ وحلفائهم تسعة نفر، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب ، وأخوه عمير بن أبي وقاص . ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن مسعود ابن الحارث ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو ، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة ، وخباب بن الارت .

ومن بنى تيم بن مرة ومواليهم أربعة نفر ، وهم : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومواليه ، بلال بن رباح ، وعامر بن فهيرة ، وصهيب بن سنان .

ومن بنى مخزوم خمسة نفر ، وهم : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وثمّاس بن عثمان بن الشريد ، وأسم شماس عثمان ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أسد ، وعمار بن ياسر ، ومعتب بن عوف بن عامر حليف لهم .

ومن بنى عدى بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلا ، وهم : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأخوه زيد ، ومهجع مولى عمر ، وعمرون سرافة بن المعتمر وأخوه عبد الله ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُمَرَيْن ، حليف لهم ، [وعامر ابن البكير ، وأخواه خالد ، وإياس ، حلفاء بنى عدى ، وخولي بن أبي خولي ، وأخوه مالك ، حليفان لهم — ومنهم من عد هلال بن أبي خولي — وعامر بن أبي ربيعة ، حليف لهم] .

(١) في أسد الغابة : « وهيب » .

(٢) قال ابن هشام : إنما قيل له : « ذو الشمالين » لأنه كان أعسر .

(٣) ما بين المربعين ساقط من أ .

ومن بنى بجمع خمسة نفر، وهم : عثمان بن مظعون ، وأبنة السائب
وأخواه قدامة، وعبد الله، أبنا مظعون ، ومعمّر بن الحارث بن معمر .

ومن بنى منهم بن عمرو : خنيس بن حذافة بن قيس .

ومن بنى عامر بن لؤي خمسة نفر ، وهم : [أبو سبرة بن أبي رهم بن
عبد العزى ، وعبد الله بن محرمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن مهيل بن عمرو
— وكان قد خرج مع أبيه مهيل ، فلما نزل الناس بدرا فر إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتشهدا معه — وعُمير بن عوف ، مولى مهيل بن عمرو ، وسعد
ابن خولة ، حليف لهم .

ومن بنى الحارث بن فهر خمسة نفر ، وهم : أبو عبيدة عامر بن عبد الله
ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، ومهيل بن ربيعة بن هلال ، وأخوه
صفوان بن وهب ، وهما أبنا بيضاء ، وعمرو بن أبي صريح بن ربيعة .
هؤلاء الذين شهدوا بدرا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره ، فثلاثة نفر ، وهم : عثمان بن عفان — وقد
تقدم خبره — وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانا قد بعثهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يحضّسان له خبر العير ، قدما بعد غزوة
بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهميهما ، قالوا : يا رسول الله ،
وأجرنا ؟ قال : وأجركما .

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) في الأصل : « وهيب » . وما ذكرناه رواية أحد الناجية والإمامة والاحتياط والسيرة .

(٣) ساقطة من أ .

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وضُرب له فيها بسهمه وأجره ،
 فهم أحد وستون رجلا ، شهدها منهم ستة ونجسون رجلا ، وهم : سعد بن معاذ
 ابن النعمان ، وأخوه عمرو بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع ^(١) ، وسعد بن زيد
 ابن مالك ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر بن وقش ، وسلمة بن
 ثابت بن وقش ، ورافع بن يزيد بن كرز ^(٢) ، والحارث بن خزيمة بن عدى ، حليف لهم ،
 ومحمد بن مسلمة بن خالد ، حليف لهم ، [وسلمة بن أسلم بن حريش ، حليف لهم] ،
 وأبو الهيثم بن التيهان ، وأخوه عبيد بن التيهان — قال ابن هشام : ويقال :
 عتيك بن التيهان — وعبد الله بن سهيل ^(٣) ، وقنادة بن النعمان بن زيد ، وعبيد
 ابن أوس بن مالك — وعبيد هو الذي يقال له : مُقرن ، لأنه قرن أربعة أسرى
 في يوم بدر ، وهو الذي أمر عقيل بن أبي طالب يومئذ ، [ونصر بن ^(٤)
 الحارث بن عبيد بن رزاح بن كعب] ، ومُعتب بن عبيد ، وعبد الله بن طارق
 حليف لهما من بلية ، ومسعود بن سعد بن عامر ، ويقال فيه : مسعود بن عبد
 سعد ، وأبو عيسى بن جبر بن عمرو ، وأبو بردة بن نيار ، وأسمه هاني ، حليف
 لهم من بلية ، وعاصم بن ثابت بن قيس ، ومُعتب بن قيسير ، وأبو مئيل بن
 الأزعر بن زيد ، وعمرو بن مقبل بن الأزعر ، وقيل فيه : عمير بن
 مقبل ، وسهيل بن حنيف بن واهب ^(٥) ، ومُبشر بن عبد المنذر بن زهير ، وأخوه

(١) في أ : « رافع » ، تصحيف . (٢) كذا في السيرة والاحتجاب والإصابة . وفي الأصول :
 « كرز » ، وفي رواية أخرى للاحتجاب : « رافع بن زيد » . (٣) ما بين المربعين ساقط من أ .
 (٤) في ج : « سهيل » ، والنصب ما أتيناه . وانظر أسد الغابة . (٥) ما ذكرناه رواية
 الإصابة . وفي سيرة ابن هشام : « ومن بن عبيد بن رزاح بن الحارث » وفي الأصول : « ورزاح
 ابن كعب بن نصر بن الحارث » ولا يعرف هذا الاسم فمن شهد بدرا . (٦) في أ : « عتيك » ،
 تصحيف . (٧) كذا في الإصابة والسيرة . وفي الأصول : « زهير » ، تصحيف .

- رفاعة ، وسعد بن عبيد بن النعمان ، وعويم بن ساعدة ، ورافع بن عنبدة ، وعبيد
ابن أبي عبيد ، وتعلبة بن حاطب ، وأئیس بن قتادة بن ربيعة . ومعن بن عدی
ابن الجذ من حلفائهم ، وثابت بن ثعلبة ، وعبد الله بن سلمة ، وزید بن أسلم بن
ثعلبة ، وربیع بن رافع بن زید ، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بلي ، وعبد الله
ابن جبير بن النعمان [وعاصم بن قيس بن ثابت ، وأبو ضيأح ثابت بن النعمان
وأخوه أبو حنثة - ويقال : أبو حبة - وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ، والحارث
ابن النعمان] بن أمية ، ومُنذر بن محمد بن عتبة ، وأبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة
من حلفائهم ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ومُنذر بن قدامة ، ومالك بن قدامة
ابن عربة ، والحارث بن عربة ، وتميم مولى بني غنم ، وجبر بن عتيك بن الحارث
ومالك بن ثعلبة ، حليف لبني معاوية من مُزينة ، والنعمان بن عَصْر ، حليف
لبني معاوية من بلي . هؤلاء الذين شهدوها من الأوس .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره منهم خمسة نفر ، وهم : أبو لبابة
وأسمه بشير بن عبد الله ، والحارث بن حاطب ، وحاطب بن عمرو بن عبيد
وعاصم بن عدی بن الجذ بن العجلان ، وخوات بن جبير بن النعمان .

- وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلا :
خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير
وعبد الله بن رواحة بن أمريئ القيس ، وبلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو

(١) ما بين المربعين ساقط من أ .

(٢) كذا في ب وهو يوافق ما في السيرة ، وفي أ : « جبير » .

(٣) في الأصول : « بصير » وهو تحريف .

وبشير بن سعد بن ثعلبة ، وأخوه سمالك بن سعد ، وسبيع بن قيس بن عيشة ^(٢٢) بن أمية ، وأخوه عباد بن قيس ، وعبد الله بن عبس ، وزيد بن الحارث بن قيس وخبيب بن إساف بن عتبة ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة ، وأخوه حرث بن زيد ، وسفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث ، ونعيم بن يعار بن قيس ^(٤) ، وعبد الله ابن عمير بن عدى ، وزيد بن المنز ^(٥) بن قيس ، وعبد الله بن عرفة بن عدى ، وعبد الله بن ربيع بن قيس ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ^(٦) مالك ، وأوس ابن خولى بن عبد الله بن الحارث ، وزيد بن وداعة بن عمرو بن قيس بن جزة وعقبة بن وهب بن كلفة ، حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان ، ورفاعة بن عمرو بن ثعلبة ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من اليمن ، وأبو حميضة عباد بن قشير بن المقدّم ، وعامر بن البكير ، حليف لهم ، وتوفل بن عبد الله بن نضلة ، وعباد بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، وهو الذى يقال له : قوقل ^(٨) ، وثابت بن هزال ابن عمرو بن قريوش ، ويقال : قريوس ، ومالك بن الدخشم بن مالك ، وربيع

(١) فى ١ : « مال » .

(٢) قال ابن الأثير : « ويقال عائشة » .

(٣) فى الأصول : « بشر » ، تصحيف .

(٤) فى الأصل : « معاذ » وهو نصحيح .

(٥) كذا ضبطه الدارقطنى بضم الميم وفتح الزاى وتبكيين الباء . راجع أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ .

(٦) زيادة عن جميع المراجع . (٧) وفى رواية عن ابن إسحاق : « أبو حميضة » .

(٨) قال فى الاستيعاب : « إن النعمان هذا كان ذا عز وسمعة ، فكان يقال للنخاف إذا جاءه :

« قوقل حيث شئت فأنت آمن » . فقيل لى غم وبني سالم لذلك : قوافلة . وفى القاموس : القوقل :

اسم أبي بطن من الأنصار ، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو يستتر باله : « قوقل فى هذا

الجليل وقد أمنت » ، أى اوتق .

ابن إياس، حليف لبني لؤذان من اليمن، والمُجَدَّر بن زياد بن عمرو، وأسم المجذر، عبد الله حليف لهم من بني^(١)، وعباد بن الحَشَّاش بن عمرو، حليف، وتجاب بن ثعلبة بن نَخْزَمَة ويقال: بَحَّاث، وعبد الله بن ثعلبة بن نَخْزَمَة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سليم، وأبو دُجَانَة مِمَّاك بن نَحْشَة.

- ٥ قال ابن هشام: سَمَّاك بن أُمِّس بن نَحْشَة، والمنذر بن عمرو بن خُبَيْس بن حارثة، وأبو أُسَيْد مَالِك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البَدِيّ، وعبد ربه بن حَقِّ ابن أُمِّس بن وَقْش بن ثعلبة بن طَرِيف.

ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن جَهَّاز بن ثعلبة—ويقال: حِمَار، وهو من غُبَّاشان — وَحْمَرَة، وَبَسْبَس، وزباد، بنو عمرو.

- ١٠ وعبد الله بن عامر من بني^(٢). ونِراش بن الصَّمَّة بن عمرو بن الجُمُوح، وتَمِيم مولى نِراش بن الصَّمَّة، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجُمُوح، ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجُمُوح، وَخَلَاد بن عمرو بن الجُمُوح، وَعُقْبَة بن عامر بن ثَابِي، وَحَبِيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث، وثعلبة الذي يقال له: الحَذْع، وعُمَيْر بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث، وَيُثَيْر بن البراء ابن مَعْرُور بن صَخْر، وَالطَّقِيل بن مالك بن النعمان، وَسِنَان بن صَيْفِي بن صَخْر ١٥ وعبد الله بن الجَدِّ بن فَيْس بن صَخْر، وَخَاوِجَة بن حُمَيْر، وعبد الله بن حمير، حليفان

(١) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «عبادة».

وفي رواية: «الحساس». (٢) في الأصول: «نخمة»، وهو تصحيف، صوابه من

القاموس والإصابة. (٣) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «البدن».

(٤) في أ: «ومن جهينة».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

لهم من أئجع من بني دُهمان، وجَبَّار بن صخر بن أمية بن خُتَّاس، ويزيد بن المنذر
 ابن سرح، وأخوه مَعْقِل بن المنذر، وعبد الله بن النعمان بن بُلْدَمَة، و يقال :
 بُلْدَمَة ويُلْدَمَة، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة، وسواد بن زُرَيْق بن ثعلبة،
 ومُعبد بن قيس بن صخر، وأخوه عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن
 النعمان، والنعمان بن يسار مولى لبني النعمان، وأبو المنذر بن يزيد بن عامر بن
 حديد، وسليم بن عمرو بن حديد، وقُطْبَة بن عامر بن حديد، وعَنْتَرَة مولى سليم
 ابن عمرو، وعيس بن عامر بن عدى، وثعلبة بن غنمة بن عدى، وأبو اليسر،
 وهو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو، ومهل بن قيس [بن أبي كعب، وعمرو بن
 طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غَضَب
 ابن جشم، وقيس بن مَحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس] بن حِصْن، وأبو خالد،
 وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد، وأخوه
 عُقبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، وَذَكْوَان بن [عبد] قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، ومسعود
 ابن خَلْدَة بن عامر بن مُخَلَّد، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسعد بن مزيد
 ابن الفاكه بن زيد بن خَلْدَة، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد، ومُعَاذ بن
 ماعص بن قيس بن خَلْدَة، وأخوه عَائِذ بن ماعص، ومسعود بن سعد بن قيس
 ابن خَلْدَة، ورِفاعَة بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وأخوه خَلَاد بن رافع، وعُبَيْد
 ابن زيد بن عامر، وزِيَاد بن لَيْد بن ثعلبة بن سنان، وفروة بن عمرو بن ودَة

(١) في الأصول: « عنزة » . وما ذكره هو الصواب .

(٢) في الأصول: « سهيل » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) زيادة عن الإصابة وأسد الغابة والاحتجاب .

(٥) قال ابن هشام: « ويقال: « وَكَلَّوْهُ » . وفي الاحتجاب، وأسد الغابة: « ودة » .

ابن عُبيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان، ورُجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة،
وعطية بن ثوربة بن عامر بن عطية، ورافع بن المعلّى بن لؤذان، وأبو أيوب خالد
ابن زيد بن كليب بن ثعلبة^(١)، وثابت بن خالد بن النعمان، وعمارة بن حزم بن زيد
ابن لؤذان بن عمرو، وسُراقَة بن كعب بن عبد المزي بن غزيرة، وحارثة بن النعمان
ابن زيد بن عُبيد، وسُلَيم بن قيس بن فهد^(٢)، وسُهَيل بن رافع بن أبي عمرو بن
عائذ، وعدى بن أبي الزغباء، حليف لبني عائذ من جُهينة، ومسعود بن أوس
ابن زيد، وأبو نُخزيمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد،
وعوف، ومُعَوذ، ومُعَاذ، بنو الحارث بن رفاعَة، وهم بنو عَفراء بنت عُبيد بن ثعلبة،
والنعمان بن عمرو بن رفاعَة بن سواد، ويقال: نُعمان؛ وعامر بن مُخلد بن الحارث
ابن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خَلدة بن الحارث بن سواد، وعُصيمة،
حليف لبني سواد من أَشجع، ووديعَة بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن
عمرو بن زيد بن عدى بن سواد — قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى
الحارث بن عَفراء شهد بدرا — وثعلبة بن عمرو بن مُحَصَّن بن عمرو بن عتيك،
والحارث بن الصّمة بن عمرو بن عتيك، كُيمر بالروحاء، فضرِب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسمه، وأبى بن كعب بن قيس، وأنس بن مُعَاذ بن أنس بن قيس،
وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو شَيْخ [أبى بن ثابت بن المنذر بن حرام].
قال ابن هشام: أبو شَيْخ [أبى بن ثابت] أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارثة بن سُراقَة بن الحارث بن عدى،

(١) في ١: «كلب». (٢) كذا في الأصول، وأسد الغابة والإصابة. وفي سيرة
ابن هشام: «فهد». (٣) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن
أبي ثابت»، راجع الاستيعاب ص ٧١٥. (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام.
(٥) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أجر».

وعمر بن ثعلبة بن وهب بن عدي، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك، وأبو سليط — وهو أسيرة بن عمرو — وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدي^(١)، وسواد بن غزيرة بن أهيب، حليف لبني عدي بن النجار.

وأبو زيد قيس بن سكين بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس ابن حرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسليم بن ملحان، وأخوه حرام — وأسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد — وقيس بن أبي صعصعة — وأسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف — وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أسد بن خزيمه، وأبو داود محمد ابن عامر بن مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء، وقيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وأخواه لأمه الضحاك، والثعان، أبنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك، ومجبر بن أبي مجبر، حليف لبني قيس بن مالك.

هؤلاء الذين عدّهم محمد بن إسحاق.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون في الخنزرج من شهد بدرا عتيان ابن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، وهلال بن المعلّى بن لؤذان بن حارثة.

(١) في أ: «محرز بن مالك».

(٢) في أ: «أبو زيد بن قيس».

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ أَسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ

كَانَ مَنْ أَسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةَ نَفَرٍ، وَهُمْ : عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، قَتَلَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، قَطَعَ رِجْلَهُ نَمَاتَ بِالْصَّفْرَاءِ فِي قُقُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ أَخُو سَعِيدٍ، وَذُو الشَّيَالَيْنِ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ الْخَزَاعِيِّ، حَلِيفُ لِبْنِي زُهْرَةَ، وَعَاقِلُ بْنُ الْبُكَيْرِ، حَلِيفُ لِبْنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، وَمِهْجَعٌ، مَوْلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَصَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ .
وَمِنَ الْأَنْصَارِ ثَمَانِيَةٌ وَهُمْ : سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَمُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زَنْبَرٍ، وَيزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُمَيْرُ بْنُ الْجُمَّامِ، وَرَافِعُ بْنُ الْمُعَلَّى، وَحَارِثَةُ بْنُ سُرَّاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَعُوفٌ، وَمُعَوَّذُ بْنُ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرَ

كَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَمَوَالِيهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَهُمْ : عُقْبَةُ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، قُتِلَ صَبْرًا بِعَرْقِ الظُّبْيَةِ^(٢) عِنْدَ قُقُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ — حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ — : فَمَنْ

(١) ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَدَّ عَمِيرًا هَذَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ اسْتَصْفَرَهُ، فَبَكَى عَمِيرٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَاءَهُ أَذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَقَتَلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً (رَاجِعِ الْمَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ وَالرُّوْضِ الْأَنْفَ) .

(٢) يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا حَبَسَ عَلَى الْقَتْلِ حَتَّى يَمُوتَ : قَتَلَ صَبْرًا .

(٣) عَرَقُ الظُّبْيَةِ : بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَرِيبَ الرُّوحَا .

لِلصَّبِيَّةِ يَاحْمَدُ ؟ قَالَ : النَّارُ ! قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْأَقْلَحِ ، وَحَنَظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، قَتَلَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُقَالُ : اشْتَرَكَ فِيهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَعَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، حَلِيفَانِ لَهُمْ . قَتَلَ عَامِرًا عَمَّارُ ابْنِ يَاسِرٍ ، وَقَتَلَ الْحَارِثُ الثَّعْلَبِيُّ بْنُ عَمْرٍ ، حَلِيفُ الْأَوْسِ ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي عَمِيرٍ ، وَابْنُهُ ، مَوْلَانِ لَهُمْ . قَتَلَ عُمَيْرًا سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذَافَةَ ، وَعُيَيْدَةُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، قَتَلَهُ الزَّيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْعَاصِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ابْنِ أُمَيَّةَ ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْأَقْلَحِ ، صَبْرًا ، وَقِيلَ : قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، اشْتَرَكَ فِيهِ عُيَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؛ وَشَبِيهُهُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ ، قَتَلَهُ عَلِيُّ ، وَوَهَبُ بْنُ الْحَارِثِ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ ، وَعَامِرُ ابْنِ زَيْدٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ .

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلٍ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ رَجُلَانِ ، وَهُمَا : الْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ ابْنِ نَوْفَلٍ ، قَتَلَهُ خُبَيْبُ بْنُ إِسَافٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ ، قَتَلَهُ عَلِيُّ ، وَيُقَالُ : حَمْزَةُ ؛ وَرَوَى أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ صَبْرًا هُوَ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَالتَّضَرُّ بْنُ الْحَارِثِ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ ابْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قُصَيٍّ سَبْعَةُ نَفَرٍ : زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ابْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ أَسَدٍ ، قَتَلَهُ ثَابِتُ بْنُ الْحَدَّادِ ، وَقِيلَ اشْتَرَكَ فِيهِ حَمْزَةُ وَعَلِيُّ ، مَعَ

ثابت، والحارث بن زَمعة، قتله عمار بن ياسر، وعُقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة، وعليّ، وأبو البَخْتَرِيّ — وهو العاص بن هشام — قال ابن هشام : العاص ابن هشام بن الحارث بن أَسَد، قتله المُجَذَّرُ الْبَلَوِيّ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله، لأنه كان أَكْفَ النَّاسِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كان بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة كما تقدّم، فلما لقيه المُجَذَّرُ قال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلِكَ، وكان مع أبي البَخْتَرِيّ زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنادة بن مُلَيْحة — رجل من بني ليث — فقال أبو البَخْتَرِيّ . وزميلي، فقال المُجَذَّرُ : لا والله مانحن بئارك زميلك، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . فقال : لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعا ! لا نتحدّث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة، وقال يرتجز .

لَنْ يُسَلَّمَ أَبْنُ حُرَّةٍ زَمِيلُهُ ^(١) حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

ثم أفتنلا، فقتل المُجَذَّرُ أبا البَخْتَرِيّ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق، لقد جهّدت ^(٢) عليه أن يستأمر فأتيتك به، فأبى إلا أن يقاظني، فقاتلته فقتلته . ونوفل بن خويلد بن أَسَد، قتله عليّ بن أبي طالب، وعقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير، مولى لهم .

ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر وهم : النضر بن الحارث

(١) في الأغاني، والطبري : « أَيْكَلَه » .

(٢) كذا في « ، » وق السيرة . وفي « : » عهدت عليه أن يستأمر .

ابن علقمة بن كَلْدَة، قتله على صبرا بالصَّفراء^(١)، ولما بلغ أبنته قُتيلة بنت النضر خبر مقتلته كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا .

يا راجا إن الأثيل مِظَنَّةٌ من صبح خامسة وأنت موفى^(٣)
 بلغ به ميتا بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تحق^(٤)
 بنى إليه وعبرة مسفوحة جادت لماتها وأخرى تحق^(٥)
 هل يسمعن النضر إن ناديه بل كيف يسمع ميت لا ينطق^(٦)
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحامٌ هناك تشق^(٧)
 قسرا يقاد إلى الميتة متعبا رسف المقيد وهو عان موفى^(٨)
 أحمد أو لست ضنة نجيبة في قومها والفحل فحل معرق^(٩)
 ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحق^(١٠)
 النضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان عتق يُعق^(١١)
 أو كنت قابل فدية قليفتق بأعر ما يفلو به ما يُنفق^(١٢)

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع، وهو على مرحلة من بدر .

(٢) وفي الأغاني : « أخته » . (٣) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر وروادي

الصفراء . ومظنة الشيء . موضعه ومأله الذي يظن كونه فيه .

(٤) في أ : « به » . والنجائب : الإبل الكريمة التي يسابن عليها .

(٥) جادت لماتها : نعتى أباه لأنه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها .

(٦) تنوشه : تتاوله . (٧) في الأغاني ، وابن هشام : « صبرا يقاد » .

رسف المقيد : مشبه . والمانى : الأسير . (٨) الضنن : الأصل . المرق : الكريم .

(٩) كذا في الأصول . وفي الأغاني ، ومعجم البلدان الرواية الآتية :

أو كنت قابل فدية فلأتين بأعر ما يفسلوك ويغفر

وفقد وردت هذه الأبيات في الأغاني (١٩٦١) ، طبعة الدار ، وديوان الحماسة ٣٧ طبع أورما ،

وسيرة ابن هشام ، ومعجم البلدان « مادة الأثيل » مع اختلاف يسير في الترتيب والألفاظ .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى أخضت لحينه وقال :
 " لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه " حكاه أبو عمر عن عبد الله
 ابن إدريس ، وحكاه الزبير بن بكار ، وقال : فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى دمت عيناه ، وقال لأبي بكر : " يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت
 أباه " وزيد بن مليس ، مولى عمير بن هاشم ، قتله بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ،
 ويقال : قتله المقداد بن عمرو . ونسيه بن زيد بن مليس ، وعبيد بن سليط
 حليف لهم من قيس .

ومن بنى تيم بن مرة أربعة نفر وهم : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب
 ابن سعد بن تيم ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عبد الرحمن بن عوف .
 وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب بن سنان .
 ومالك بن عبيد الله بن عثمان ، أسرفات في الإسار ، فعد في القتل . وعمرو بن
 عبد الله بن جذعان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أربعة وعشرون رجلا : أبو جهل
 — وأسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — ضربه معاذ
 ابن عمرو بن الجسوح فقطع رجله ، وضرب أبنته ^(١) [عكرمة] يد معاذ فطرحها ، ثم
 ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق ، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود
 واحتر رأسه كما تقدم ، والعاص بن هشام بن المغيرة ، قتله عمر بن الخطاب ، وكان
 خال عمرو . ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تميم ، قتله عمار بن ياسر .

(١) التكملة من سيرة ابن هشام .

(٢) في : « دذف » .

وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتله أبو دُجانة الساعدي . وحرمله بن عمرو
حليف لهم ، قتله خارجة بن زيد ، ويقال : بل عليّ [بن أبي طالب ^(١)] . ومسعود
ابن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب . وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ،
قتله حمزة [بن عبد المطالب ^(٢)] ويقال : عليّ ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله
عليّ ، ويقال : عمار بن ياسر ، ورفاعة بن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر
ابن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع ، والمنذر بن أبي رفاعه بن عابد ، قتله معن بن
عدى ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه ، قتله عليّ بن أبي طالب ، والسائب
ابن أبي السائب بن هاشم بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على ما حكاه ابن إسحاق .

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما : إن السائب هذا ممن
بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجعرانة ^(٣) من غنائم حنين ،
فقد وقع فيه الخلاف . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم ، قتله حمزة ، وحاجب ، ويقال : حاجز بن السائب بن عويمر بن عمرو بن
عائذ ، قتله علي بن أبي طالب . وعويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان
ابن مالك القوقلي مبارزة . وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم
من طي ، قتل عمرا يزيد بن رقيش ، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار . وحذيفة
ابن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) الزيادة من مرة ابن هشام .

(٢) كذا في السيرة والاستيعاب . وفي الأصل : « عمرو » .

(٣) الجعرانة : ما بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما

قسم غنائم هوازن وهو رابع من غزوة حنين . (معجم البلدان) .

(٤) كذا في ج ، وفي الطبري . وفي أ : « عبد الأسود » .

(٥) كذا في ابن هشام . وفي الأصول : « حاجز » .

ابن المغيرة ، قتله صُهَيْب بن سنان . وزُهَيْر بن أَبِي رِفاعَة ، قتله أَبُو أُسَيْد مَالِك
ابن أَبِي ربيعة . والسَّائِب بن أَبِي رِفاعَة ، قتله عبد الرحمن بن عَوْف . وعائِذ بن
السَّائِب بن عُويم ، أُسِرَ ثم اقتدى فأتى في الطريق من حِراجة جرحه إياها حمزة
ابن عبد المطلب ، وعُمَيْر ، حليف لهم من طَيْئ ، وخِيار ، حليف لهم من القارة .

ومن بني مِهم بن عَمْرٍو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي سبعة نفر وهم :
مُنْبَه بن الحجاج بن عامر بن حَذِيفَة بن سعد بن مِهم ، قتله أَبُو اليَاسِر ، أخو بني سلمة
وأبْنُه العاص بن مُنْبَه ، قتله علي . ونُئِيس بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ،
وسعد بن أَبِي وقاص ، اشتركا فيه ، وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن
مِهم ، قتله علي ، ويقال : النعمان القوقلي ، ويقال : أبو دُجَّانَة ، وعاصم بن
أبي عَوْف بن صُبَيْرَة بن سَعِيد بن سعد بن مِهم ، قتله أَبُو اليَاسِر أخو بني سلمة .
والحارث بن مُنْبَه بن الحجاج ، قتله صُهَيْب بن سنان ، وعامر بن أَبِي عَوْف بن
صُبَيْرَة أخو عاصم ، قتله عبد الله بن سلمة ، ويقال : أبو دُجَّانَة .

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي أربعة نفر ، وهم : أمية
ابن خلف بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح ، قتله رجل من الأنصار من بني مازن
ويقال : قتله معاذ بن عَفراء ، وخارجة بن زيد ، وخُصَيْب بن إِسَاف ، اشتركوا فيه .
وابنه علي بن أمية بن خلف ، قتله عَمَّار بن يَاسِر . وأوس بن مَعْيَر بن لَوْذَان بن
سعد بن جُمَح ، قتله علي بن أَبِي طالب ، ويقال : قتله الحُصَيْن بن الحارث بن
المطلب وعثمان بن مَظْعُون ، اشتركا فيه ، وسَبْرَة بن مَالِك ، حليف لهم .

(١) كذا في ابن هشام . وفي أ : « جبار » ، وفي ح : « جبار » .

(٢) القارة : قبيلة تتألف من عضل والغنم واليهود بن خزيمه .

(٣) في الطبري والسيرة : « ضيرة » بالضاد المعجمة . وهما روايتان فيه . وفي الأصل : « صير » .

وفي الجهمرة : « عوف بن هيرة » . (٤) في رواية أخرى للطبري : « حبيب » .

ومن بنى عامر بن لؤى من حلفائهم رجلا ، وهما : معاوية بن عامر
حليف لهم من عبد القيس ، قتله علي ، ويقال : عكاشة بن محصن . ومثعب بن
وهب ، حليف لهم من بنى كلب ، قتله خالد وإياس أبنا البكير ، ويقال : أبو دجانة .
بجميع من أنضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية
وستون على الشك في السائب بن أبي السائب ، والذي ثبت في صحيح البخاري أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين
ومائة ، سبعين أسيرا ، وسبعين قتيلا .

ذكر تسمية من أسر من المشركين في غزوة بدر

كانت عدة من أسر من المشركين في يوم بدر سبعين رجلا ، ما ورد في الصحيح
ودلت عليه الآية [في] قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾
يعني يوم أحد ، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، والذي
أنضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلا .

من بنى عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر ، وهم : العباس بن عبد المطلب بن
هاشم ، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الخزرجي ، وكان رجلا
قصيرا ، والعباس رجلا طويلا ضخما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد
أعانتك عليه ملك كريم " . وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أسره عبيد بن
أوس بن مالك الأوسى ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعتبة ، حليف لهم
من بنى فهر ، قال : وكان العباس وعقيل خرجا مكرهين .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفر وهم : السائب بن عبيد بن عبد يزيد
ابن هاشم بن المطلب ، ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب ، وعقيل بن عمرو
حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه عمرو بن تميم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر وهم : عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبي وَبَرَةَ - ويقال : وَحْرة بن أبي عمرو - ابن أمية ، وأبو العاص بن نُوْفَل بن عبد شمس ، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص . ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبي عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي ، وأبو العريض يَسَار ، مولى العاص بن أمية .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم : عدي بن الحيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم ونُبْهان ، مولى لهم .

ومن بنى عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر وهم : أبو عزيز بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، وعَقِيل ، حليف لهم من اليمن .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر وهم : السائب بن أبي حبيش ابن المطلب بن أسد ، والحَوَيرِث بن عباد بن عثمان بن أسد . قال ابن هشام : هو الحارث بن عائد بن عثمان بن أسد ، وعبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث ، وسالم بن شُمَاخ ، حليف لهم .

ومن بنى تيم بن مرة رجلان وهما : مُسافع بن عياض بن صَخْر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن بَقْطَةَ بن مرة عشرة نفر وهم : خالد بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أسره منواد بن غَزِيَّة ، وأميرة بن أبي حُدَيْفَة

ابن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصبيح بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(١)، وأبو المنذر بن أبي رفاعة ابن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقيس بن السائب، والمطلب ابن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعم، حليف لهم من خزاعة، ويقال : عَقِيلٌ . وزعموا أنه أول من فز منهزما، وهو الذي يقول :

ولسنا على الأدبار تَدْمَى كُؤُومُنَا^(٢) ولكن على أعقابنا نَقْطُر الدِّمَا

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خمسة نفر وهم : أبو وداعة ابن صُبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير أُتِدِيَ من أسرى بدر، اقتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وفروة بن قيس بن عدى بن حُذافة بن سعيد ابن سهم، وحَنْظَلَةُ بن قَيْصَةَ بن حُذافة بن سعيد بن سهم، والمُحْجَّاج بن الحارث ابن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم، وأسلم، مولى نُبَيْه بن الحجاج .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب أحد عشر نفرا وهم : عبد الله بن أبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح [وأخوه عمرو بن أبي]، وأبو عزة عمرو ابن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جمح [والفاكه، مولى أمية بن خلف]، ووهب بن عُثْمَيْر بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح، وربيعة بن

(١) في ١ : « عمرو » . (٢) في ١ : « منن » . (٣) الكوم : الجراحات .

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف صفحة ١٠٧ ج ٢ : « وأحب ذكر الحجاج في هذا الموضع

وحما، فإنه من مهارة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر » .

(٥) كذا في ١ : « وفي الروض الأنف : « ولم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله :

« سعيد بن سهم » . وقالوا : إنما هو سعد » .

(٦) ما بين المربعين ساقط من ١ .

دَرَجَ بن العنيس بن أهبان بن وهب بن حُدَافَة بن جحج ، وأبو رُهم بن عبد الله حليف لهم ، وموليان لأمية بن خلف ، أحدهما : نِسْطاس ، وأبو رافع ، غلام أمة ابن خلف . قال ابن هشام : وحليف لهم ذهب عنى اسمه .

ومن بنى عامر بن لؤى خمسة نفر وهم : سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ ابن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر ، أسره مالك بن النخشم أخو بني سالم ابن عوف ، وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ ، وعبد الرحمن بن مشنوء ابن وقعدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ ، وحبيب بن جابر ، والسائب ابن مالك .

ومن بنى الحارث بن فهر أربعة نفر وهم : الطُفَيْل بن أبي قُتَيْب ، وعُتْبَة بن عمرو ابن بَجْدَم ، وشافع ، وشفيع ، حليفان لهم من التميم .

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم ، ومن منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأطلقه منهم) ، ومن أسلم بسبب ذلك

قال : لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر ومعه الأسارى سمع العباس وهو يثّ ويتأوه ، قد آلمه الؤثاق ، فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة لذلك ، فاستأذنه أصحابه رضى الله عنهم ، في أن ينقّسوا عن العباس وثاقه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن فعلتم ذلك بجميع الأسرى فنعم وإلا فلا » . أو كما قال : فنقّسوا عن جميع الأسرى .

ولما فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فزق الأسارى بين أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيرا » . ثم جاءه جبريل عليه السلام في أمر الأسارى

فقال : إن شئتم تقتلوه ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، (واستشهد قايلاً منكم سبعون . قال : فنأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فجاءوا — أو من جاء منهم) — فقال : ” هذا جبريل يخيّركم بين أن تقدموهم فتقتلوه ، وبين أن تُفادوهم ويستشهد قايلاً منكم بعليهم “ . فقالوا : بل نُفاديهم ويدخل قايلاً منا الجنة سبعون . ففادوهم . رواه محمد بن سعد .

وروى ابن قتيبة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ” أفد نفسك وابني أخوك : عقیل بن أبي طالب ، وتوفّل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحليفك ، فإنك ذو مال “ . فقال : يا رسول الله ، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقاً فانه يميزك به ، وأما ظاهر [أمرك] فقد كان علينا “ . قال : فإنه ليس لي مال . قال : ” فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معك أحد ؟ ثم قلت : إن أصبت في سفرى هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا “ . قال : والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله . فقصدى نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين أوقية ، وقال : « تركتني أسأل الناس في كفى » . قال : « وأسلم العباس ، وأمر عقیلاً فأسلم » .

وروى محمد بن سعد قال : لما أمر نوفل بن الحارث بيدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أفد نفسك “ . قال : ما لي شيء أفدى به . قال : ” أفد نفسك

(١) ما بين المربعين ساقط من أ

(٢) زياده من ج

برماحك التي يُحَدِّثُهَا . فقال : والله ما علم أحد أن لي بيجدة رماحا غيرى بعد الله ،
أشهد أنك رسول الله . فقدى نفسه بها ، وكانت ألف ربح . وقيل : كان إسلام
نوفل وهجرته أيام الخندق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر
نأحوا على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ مجدا وأصحابه فيشتتوا بكم ، ولا تبغثوا
في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يَأْرَبُ^(١) عليكم مجد وأصحابه في الفداء . فقال المطلب
ابن أبي وداعة : صدقتم ، لا تمجلوا ؛ وأنسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه
بأربعة آلاف درهم ، وانطلق به .

ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فكان أعلى ما فدى به أسير أربعة آلاف
درهم فما دونها إلى ألف درهم .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى
ما دون ذلك ، فمن لم يجد عنده شيئا أعطى عشرة من غلمان المدينة ، فعلمهم
الكتابة ، فإذا حذقوا فهو فداؤه . وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة
لا يكتبون . [قال] : فكان زيد بن ثابت ممن علم .

{ ذكر خبر أبي سفيان في أسره ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه }

قال محمد بن إسحاق : وكان عمرو بن أبي سفيان في الأسارى ، فقيل
لأبي سفيان : ائد ابنك عمرا ، فقال : أجمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلة ، وأندى
عمرا ! دعوه في أيديهم يُسكوه ما بدا لهم . فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان

(١) تستأنوا بهم : تنظروا بهم ، أى تترؤوا فداهم . (٢) لا يَأْرَبُ : لا يشد .

(٣) في الأصول : « شي » . (٤) زيادة عن ج .

ابن أكل، أخو بني عمرو بن عوف معترا، وكان شيخا مسلما، في غم له بالبيع^(١)،
وقد كانت قریش عهدوا أنهم لا يعرضون لحاج أو معتز إلا بخير، فعدا عليه^(٢)
أبو سفيان بمكة فحبسه بأبنة عمرو، ثم قال أبو سفيان :

أرھط ابن أكل أجیوا دُعاه تفاقدتم لا تُسلموا السيد الكهلا^(٣)
فلان بن عمرو لئام أذلة إذا لم یفکوا عن أسرهم الكلا^(٤)

قال : ففتى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
خبره ، وسأله أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفتكوا به صاحبهم ، ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فغلى سبيل سعد
ابن النعمان .

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه

وإرساله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة
وإسلامه بعد ذلك ، ورد زينب عليه بغير نكاح جديد

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى
ابن عبد شمس ، حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج أبنته زينب . أسره
نحراش بن الصمة ، أحد بني حرام .

(١) البيع : مكان مقبرة أهل المدينة .

(٢) في أ : « وكانت » .

(٣) تفاقدتم ؛ بدعولهم بأن يفقد بعضهم بعضا .

(٤) الكل : القيد .

(٥) في أ : « وإرساله إلى زينب » .

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب ، فزوجه بها ، وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معها وهو على شركه وهى مسامة .

٢١
١٥

- ٥ فلما بعث أهل مكة في فداء أمراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص [عالم] ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص] فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقعة شديدة وقال : « إن رأيت أن تُطلقوها أسيرها وتردوها عليها [مالها] فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوها عليها الذى بعثت به ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يخجل سبيل زينب ، ولم يظهر ذلك ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال : « كونا ببطن يابج حتى تمز بك زينب ، فتصحبها حتى تأتيا نى بها » . فخرجا وذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالخوق بأبيها ، فتجهزت لذلك ، وقدم لها حموها كانه بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه ويكاته ، ثم خرج بها نهارا يهود بها ، وهى فى هودج لها ، وتحدث بذلك رجال قريش ، فخرجوا فى طلبها ، حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري ، فزوجه بالرحم وهى فى هودجها ، وكانت حاملا فطرحت ، فنثر حوها كانه ثم قال : والله لا يدنو منى
- ١٠

(١) ما بين القوسين زيادة من ج .

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٣) يابج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٤) ذوطوى : واد عند مكة .

رجل إلا وضعتُ فيه سهماً، فتكرَّر^(١) الناس عنه . ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جَلَّةٍ [من] قريش فقال : أيها الرجل ، كُفَّ عنا نبلك حتى نكلمك . فكفَّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رموس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجتَ له ببتة علانية على رموس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على دُلِّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولمعمرى مالنا بحبسها عن أيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من تُؤرَّة^(٢) ، ولكن أرجع بالمرأة حتى إذا هذأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فصلها سرا وألحقها بأيها . قال : ففعل .

فأقامت ليالي حتى إذا هذأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقد ما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقامت عنده بالمدينة وفوق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام — وكان رجلاً مأموناً — بماله وأموال رجال من قريش ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا مامعه وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس معه خرجت زينب من صُفَّة النساء [وقالت] : أيها الناس . إني قد أجزت أبا العاص ابن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : ” أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ “ فقالوا : نعم ، قال : « أما والذي نفس محمد بيده

(١) تكرَّر : زادة ع .

(٢) تُؤرَّة : كذا في ١ - وى : « صرخت » .

(١) تكرَّر : رجع .

(٢) التُّورَة : ذلك .

ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجبر على المسلمين أديانهم » . ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أبنته وقال : « أي بُنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلص إليك فإنك لا تُحلين له » .

قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم : « إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبحتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو قيء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به » . قالوا : يا رسول الله ، بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتي بالذللو ، ويأتي الرجل بالشنة والإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٣) ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئا ، ثم احتدل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، بجزاك الله خيرا ، قصد وجدناك وفيأ كريما ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ما منعتني من الإسلام عنده إلا تخوف أن يظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول ، ولم يُحدث شيئا .

(١) الشنة : السقاء البالي . (٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشية عفاة تدخل في عروقي الجوالقين ، والجمع أشظة . (٤) قال في الروض الأنف ٢ : ٨٢ : « وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول ، لم يحدث شيئا بعد ست سنين . ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذي عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث ؛ ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : « لا هن حل لم ولا هم يحلون لهن » ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول أي على مثل النكاح الأول في الصداق والحياة ، لم يحدث زباجة على ذلك من شرط ولا غيره » .

نرجع إلى نعمة أخبار أسارى بدر :

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدم أنه كان من أسرى يوم بدر ، وكان الذى أسره عبد الله بن جحش ويقال : أسره سليط بن قيس المازنى الأنصارى ، فقدم فى فدائه أخواه : خالد وهشام ، فتمتع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم . فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك ، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أمك ، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت . ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش : لا تقبل فى فدائه إلا شكة أبيه الوليد — وكانت درعا قصفافضة وسيفاً وبئضة — فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه ، فأقيمت الشكة بمائة دينار ، فطاعها وسألمها إلى عبد الله ، فلما أقنذى أسلم ، فقبل له : هلاً أسلمت قبل أن تُقنذى وأنت مع المسلمين ؟ قال : كرهت أن تظنوا أنى جرعت من الإسار . فحبسوه بمكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن دعا له من مستضعفى المؤمنين ، ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عُمره القِضية . ^(١) حكاها ابن عبد البر .

ذكر من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق : وكان من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء : أبو العاص بن الربيع هذا الذى تقدم خبره . والمطلب بن حنطب بن الحارث

(١) هى عمرة القضا . ويقال ما عمرة القضا : سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم فاضى

فربما عليها . (انظر الروض الأصف : ٢ : ٢٥٤) . (٢) فى أ : « حطب » .

ابن عبيد الخزومي، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله، فلحق بقومه، وصيّن بن أبي رفاعة الخزومي، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليعتق إليهم بفدائه وخلّوا سبيله، فلم يَف لهم شيء، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن سُذانة بن جُمح كان محتاجا ذا بنات فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ مالى من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامتن عليّ، فمَن عليه وأخذ عليه ألا بظاهر عليه أحدا، فقال أبو عزة في ذلك:

مَن مَبْلَغُ عَنِّي الرُّسُولُ مُحَمَّدًا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِكُ حَمِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تُدْعَوُ إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُؤِثَ فِينَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودٌ^(١)
فَإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لِحَارِبٍ شَقٌّ وَمَنْ مَاتَ لَسَعِيدٌ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتَ بَدْرًا وَاهْلَةً تَأُؤَبِ مَا فِي حَسْرَةٍ وَقُعُودٌ^(٢)
ومنها وهب بن عمير الجمحي، ولإطلاقه سبب نذكره.

ذكر خبر عمير بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحق في سبب إطلاق وهب بن عمير: إن أباه عمير بن وهب بن خلف بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب جلس مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مُصاب أهل بدر بيسير — قال: وكان عمير بن وهب شيطانا من شياطين قريش، ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة — فذكر أصحاب القليب ومُصابيهم^(٣). فقال صفوان: والله إن

(١) بُؤِثَ فِينَا مَبَاءَةٌ: نزلت فينا منزلة.

(٢) تَأُؤَبِ: رجع. (٣) القليب: البئر القديمة التي لا يمد لها حافر.

في العيش بعدهم خير، فقال عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دَينَ عليّ - ليس له ^(١) [عندي] قضاء، وعيال أخشى عليهم الضَّيعة ^(٢) بعدي، لركبت إلى مجد حتى أقتله ، فإن لي قبلهم عيلة ؛ ابني أسير في أيديهم . فاغتنمها صفوان فقال : عليّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا لا يسعني شيء . ويعجز عنهم ؛ قال له عمير : فاكمم عليّ شأني وشأنك ؛ قال : أفعل .

ثم أمر عمير بسيفه فشجذ له ، ثم ستم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، إذ نظر إلى عمير حين أتاه على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال عمر : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرش بيننا وحررنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه ، قال : فادخله عليّ ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فليّ بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رآه قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير ؛ فدنا ثم قال : انعموا صباحاً - وكانت تحبة أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمتنا الله بنحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ؛ قال : أما والله إن كنت يا مجد بها لحديث عهد ؛ قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير

(١) زيادة من السيرة . (٢) الضيعة : الخلاك .

(٣) هكذا في هـ ، وفي السيرة . وفي أ : « لا يشيخ » .

(٤) حرش : أفسد . (٥) الخرز : تخدير المدد بخرش .

الذى فى أيديكم فَأَحْسِنُوا فِيهِ؛ قَالَ : فَمَا بِالْ سَيْفِ فى عُنُقِكَ؟ قَالَ : قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سَيْوِفٍ ! وَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا ! قَالَ : اصْدُقْنِي ، مَا الَّذِى جِئْتُ لَهُ ؟ قَالَ : مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ ؛ قَالَ : بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فى الْحِجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلْتَ : لَوْلَا دِينَ عَلِيٍّ وَعِيَالُ عُنْدِي لَخَرَجْتَ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا ، فَتَحْمِلَ لَكَ صَفْوَانُ بَدِينَكَ وَعِيَالُكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ ، وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ .
 قَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَدْ كَذَّبَ رَسُولُ اللَّهِ نَكَذَّبَكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ فَوَاللَّهِ إِنِّى لَأَعْلَمُ مَا أَنَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانِى لِلْإِسْلَامِ ، وَسَافَنِى هَذَا الْمَسَاقَ ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” فَتَقَهُوا أَخَاكُمْ فى دِينِهِ ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ ، وَأُطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ “ ، ففعلوا .

ثم قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّى كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نَوْرِ اللَّهِ ، شَدِيدَ الْأَذَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْدَمَ مَكَّةَ ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ ، وَإِلَّا أَذَيْتُهُمْ فى دِينِهِمْ كَمَا كُنْتُ أُوذِى أَصْحَابَكَ فى دِينِهِمْ . قَالَ : فَأْذَنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَحِقَ بِمَكَّةَ .
 وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ : أَبْشُرُوا بِوَقْعَةِ تَأْتِيِكُمْ الْآنَ فى أَيَّامٍ ، تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ ، وَكَانَ يُسْأَلُ عَنْهُ الرَّجُلَانِ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبًا فَأَخْبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ ، خَلْفَ الْأَيْكَلِ أَبَدًا ، وَلَا يَنْتَفِعُهُ بِنَفْعٍ .

فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرُ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُؤْذِى مَنْ خَالَفَهُ أَدَى شَدِيدًا ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ .

قال ابن إسحاق : وعُمير بن وهب أو الحارث بن هشام ، قد ذكر أن أحدهما (١) [الذي] رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله : ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِتْمَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وكان إبليس قد تشبه لقريش بسُرَاقَة بن مالك بن جُعشم وقال : أنا جارٌ لكم من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كما قدمنا ذكر ذلك ، قال : وكانوا يرونه في كل منزل في صورة مُرافقة لا يُنكرونه . فلما ألتقى الجمعان يوم بدر ورأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال لهم ما قال .

وقد أخذت هذه الغزوة حقها من البسط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل الاختصار ، فلنذكر غيرها من الغزوات والسرايا . والله المستعان .

ذكر سرية عُمير بن عدى بن نحرشة الخطمي

إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد (٢)

قال محمد بن سعد : كانت سرية عُمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي ، وكانت تعيب الإسلام وتؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه ، وتقول الشعر ، فقام عُمير بن عدى في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نقر من ولدها نيام ، منهم من رُضعه في صدرها ،

(١) زيادة عن ج . (٢) في أ : « يزيد » . نصبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري ؛

فيل لأنها حليفهم أو لكون زوجها منهم . وانظر الزرقاني ١ : ٥٤٦ .

(٣) كذا في المراهب اللدنية ، والطبقات ، وإمتاع الأصماع . وفي أ ، ج : « حصين » .

بِحَسْمِهَا بِيَدِهِ - وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ - وَنَحَى الصَّبِيَّ عَنْهَا ، وَوَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتَّى أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهَرِهَا ، ثُمَّ صَلَّى الصَّبِيحَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَتَلْتَ بِنْتَ مُرْوَانَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا يَنْتَظِعُ فِيهَا عِزَانٌ .

- قال محمد بن إسحاق : فرجع عمير بن عدى إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجههم^(٢) في شأن ابنة مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فقال : يا بني خطمة ، أنا قتلْتُ ابنة مروان ، فَيَكُونُ بَنِيَّ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ^(٣) . قال : فذلك اليوم أولُ ماعزَ الإسلامِ في دار بني خطمة ، وكانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ ، وَغَيْرُهُ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي خُطْمَةَ . قال : وَأَسْلَمَ يَوْمَ قَتْلِهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي خُطْمَةَ لِمَا رَأَوْا مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ .

ذكر سرية سالم بن عُمَيْرِ الْعَمَرِيِّ إِلَى أَبِي عَفْكَ الْيَهُودِيِّ

قال ابن سعد : كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ، وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر ، فقال سالم

- (١) هذا مثل مشهور ، أراد أن هذا القمل لا يكون له تغير ، ولأله تكبير ، أى لا يختلف فيه
اثنان . وانتظر جمع الأمثال ٢ : ١٤٨ .
(٢) موجههم : اضطرابهم وتحيرهم .
(٣) تنظرون : تؤخرون ، بعض آية من سورة هود ٥٥ .
(٤) في الأصول : « أبو قفل » . والتصويب من طبقات ابن سعد والمواهب اللدنية وسيرة ابن هشام .
(٥) في طبقات ابن سعد : « وكان يهوديا وكان يحرض » .

ابن عمير — وهو أحد البكّائين ^(١) وقد شهد يدرا — : على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه؛ بغاء وقد نام أبو عفك بالفتاء في ليلة صائفة، فوضع السيف على كبده، ثم أعتمد عليه حتى خَشَّ في الفراش، فصاح [عدو الله] ^(٢)، فثار إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه .

ذكر غزوة بني قينقاع

(وهي بضم النون وقيل بكسرهما) ^(٣)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجرة .

قال ابن سعد : وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة . فوادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبدوا العهد والمدة، فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : (وإما تخافن من قوم خيانة فأنذرهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) ^(٤) .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قينقاع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق ^(٥) بني قينقاع ثم قال : يا معشر يهود، احذروا من الله

(١) البكّاون : سبعة قرأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك لجهلهم، فلم يجد ما يحملهم عليه، فقولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا، فسموا البكّائين . راجع ج ٨ ص ٢٢٨ من القرطبي . (٢) زيادة عن طبقات ابن سعد - وق : « وصاح وصاح » . وفي ج : « وصاح، قار » .

(٣) زيد في المواهب اللدنية : « بالفتح أيضا ولكن الضم أشهر » .

(٤) سورة الأحقال ٥٨ - (٥) بنو قينقاع : اسم لشعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة . أضيفت إليهم سوق كانت بها، فيقال : سوق بني قينقاع .

مثل ما نزل بقريش من التهمة، وأسلموا، فإنكم قد عرقتم أنى نجي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا : يا محمد، لا يفتنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس . فانزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سُتُورٌ وَهُمْ يُسْتُورُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ آلِ نَحْلٍ فَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَآيَةٍ يُرَوِّنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ السَّيِّئُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَئِضَهُ مِّنْ بَشَاءٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٥٠﴾ . حكاية ابن إسحاق بسند يرفعه إلى ابن عباس .

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة : إن امرأة من العرب حلت يجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يربدونها على كشف وجهها ، فابت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت أنكشفت سوءتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

عُدنا إلى مساق حديث ابن سعد ؛ قال : فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، وحمل لوائه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصروهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذى القعدة، وكانوا أول من غدر من اليهود، وحاربوا وتحصنوا في حصنهم، فحاصروهم أشد الحصار، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم ، وأن لهم النساء والأزوية ، فأمر

(١) من سورة آل عمران آية ١٢ - ١٣ (٢) الجلب : ما جلب من خيل وإبل ومتاع .

بهم فُكْتَفُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كَتَانِهِمُ الْمُنْذِرُ بْنُ قُدَّامَةَ السَّلْمَى . فَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي-
فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: خَذْهُمْ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ؛ وَتَرَكَهُمْ مِنْ
الْقَتْلِ، وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ،
فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ، فَمَا كَانَ أَقَلَّ بَقَائِهِمْ فِيهَا .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ : إِنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، أَجِيسُ فِي مَوَالِي .
وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ،
أَحْسِنُ فِي مَوَالِي . قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ . قَالَ : فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرْسَلَنِي ، وَغَضِبَ حَتَّى
ظَهَرَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ ! أُرْسَلَنِي ؛ قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أُرْسَلُكَ حَتَّى
تَحْسِنَ فِي مَوَالِي ، أَرَبِمَائَةٍ حَاسِرٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ دَارِعٍ ، قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ،
تَحْصِدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ ، إِنِّي وَاللَّهِ أَمَرْتُ أَخْشَى الدَّوَابِّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُمْ لَكَ .

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ : كَانَ لِبَنِي قَيْنِقَاعَ مِنْ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ مِنَ الْخَلِيفِ مِثْلُ
الَّذِي لَمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ، فَشَى عِبَادَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَرَأَ
إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِنْ حِلْفِهِمْ ، وَقَالَ : أَنُوتِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْرَأُ مِنْ
حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوَلَايَتِهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي :

(١) كَذَا فِي أ ، وَفِي ج : « لَعْنَهُمْ ، وَتَرَكَهُمْ » .

(٢) أَذْرِعَاتٌ : بَلَدٌ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ يَجَارُ وَادِيَّ الْبَلْقَا .

(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « وَكَانَ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ الْفَضُولِ » .

(٤) الْحَاسِرُ : الَّذِي لَا دِرْعَ لَهُ . . . (٥) الدَّارِعُ : الَّذِي عَلَيْهِ الدِّرْعُ ، وَفِي أ : « دَرَاغ » .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ فَائِنٌ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَدَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أُمِرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٢) وَذَلِكَ لِعِبَادَةِ بَنِ الصَّامِتِ .

قال محمد بن سعد : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سلاحهم] (٣) ثلاث قسي، منها : الكَتُومُ ، كُسرَتْ بأحد ، والروحاء ، واليضاء ، وأخذ درعين : الصُّغْدِيَّةَ ، وأخرى فضة ؛ وأخذ ثلاثة أسياف : سيف قلبي (٤) ، وسيف يقال له : بئار ؛ وسيف آخر . وثلاثة أرماع ، ووجد في حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصياغة ، فأخذ صلى الله عليه وسلم صفيه والخميس (٥) ، وفض أربعة أحماس على أصحابه ، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة .

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجره ، واستخلف على المدينة أبا بابة بن عبد المنذر ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرم الدهن حتى يثار من عهد وأصحابه .

(١) من سورة المائدة آية ٥١ — ٥٥ . (٢) التكة من الطيقات لابن سعد .

(٣) سيف قلبي : منسوب إلى القلعة ، وهي موضع بالبادية تحب السيوف إليه .

(٤) الصفي من الغنمية : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القصة .

(٥) يقال : فض الشيء على القوم أى قسمه ووزعه بينهم .

قال ابن إسحاق : نذر ألا يمَس رأسه ماء من جنباته حتى يغزو مجدداً صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : فخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكباً ، فزبالعريض ، — بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال — قتل رجلاً من الأنصار ، وأجيراً له ، وحرَّق أبا تاتاً هناك وبناته ، ورأى أن يمينه قد حُلَّت ، ثم ولَّى هارباً ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم ، وجعل أبوسفیان [وأصحابه ^(٢)] يتخفون للهرب فيلقون جُرب السويق ^(٣) وهي عاقمة أزوادهم ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويق ، ولم يلحقهم وانصرف . وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : بلغ قرقرة الكدَر ثم انصرف راجعاً ، فقال المسلمون حين رجع بهم : يا رسول الله ، أنطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

ذكر غزوة قرقرة الكدَر ويقال قرارة الكدَر وهي غزوة بنى سليم

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحزم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجرة ، وهي ناحية معبد بنى سليم ، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرد ، وأستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، وكان

(١) قال السجستاني في أرض الألف : « إن السيل من الحنابلة كان معمولاً به في الحاطية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل . كما بنى معه الخبز والكتاح » . (٢) ساقطة من أ . (٣) كذا في ج . ر ١ : « يجمعون الحرب » . (٤) السويق فتح ثوبه يبقو ثم يطرح . (٥) قرقرة الكدَر . قال الواقدي : « ناحية المدون » . يجب وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : « بنى سليم » . راجع معجم اللغات مادة : « كدَر » .

قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع ^(١) جمعا من بني سليم وغطفان ، فسار إليهم فلم يجد في الحال أحدا ، ووجد رعاء منهم غلام يقال له : يسار ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فأخذ به إلى المدينة ، فاقسموا غنائمهم بصرار ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النعم خمسمائة بعير ، فأخرج خمسة وقسم أربعة أحماس على المسلمين ، فأصاب كل رجل منهم بعيران ، وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه حين رآه يصلي . وكانت غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة .

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر سرية

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو محمد عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعيد — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — : كانت سرية قتل كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان رجلا شاعرا يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم ، وكان لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بخبر بدر ، فقال كعب بن الأشرف — وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بني ثعلبة ، وكانت أمه من بني النضير — : ^(٢) أحق هذا ؟ أترون محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب

(١) رعا : جمع راع .

(٢) قال صاحب الألفاظ (ج ١٩ ص ١٠٦ ص بولاق) : « كعب بن الأشرف مختلف في نسبة ؛ فزعم ابن حبيب أنه من طيء ، وأمّه من بني النضير ، وأن أبه توفي وهو صغير ، فحمله أمّه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره . » وقيل : بل هو من بني النضير . وكان شاعرا فارسا ... الخ . »

وملوك الناس ، والله تبارك وتعالى كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤشد الأشعار ويبكي أصحاب القلب من قريش .

ثم رجع إلى المدينة فشبه بنفساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت " ؛ وقال : " من لي بآبن الأشرف فقد آذاني ؟ " فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : " فأفعل إن قدرت على ذلك " . فرجع [محمد بن مسلمة] فكث ثلثنا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يمسك ريقه ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : " لم تركت الطعام والشراب ؟ " فقال : يا رسول الله ؛ قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أولاً ؟ قال : " إنما عليك الجهد " قال : يا رسول الله ؛ لا بد لنا من أن نقول ، قال : " قولوا ما بدا لكم ، فأتهم في حل من ذلك " . فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش — وكان أخا كعب من

(١) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ طبعة الحلبي بمصر .

(٢) بروي : أنه شيب بأمر الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب . راجع الطبري

القسم الأول ٤ ، ص ١٣٦٩ .

(٣) قال السبيل في الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٣ : « في هذه من الفقه وجوب قتل من سب

النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذي

في مثل هذا » . (٤) زيادة عن ج .

(٥) ساقط من ج . (٦) زيد في المواهب اللدنية في هذا الموضع : « فولا غير مطابق

لوالف لتوصل به إلى التمكن من قتله » .

الرِّضَاعَةُ - وعِيَادُ بْنُ يُسْرَينَ وَقَشْ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مُعَاذٍ، وَأَبُو عُبَيْسٍ بْنُ جُبَيْرٍ،^(١)
 أَخُو بَنِي حَارِثَةَ، فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ سِلْكَانَ بْنِ سَلَامَةَ، يَخَافُهُ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً، وَتَنَاشَدَا
 شِعْرًا، ثُمَّ قَالَ أَبُو نَائِلَةَ سِلْكَانَ: وَيَحْكُ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ
 ذِكْرَهَا لَكَ، فَآكُم عَنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ: قَدْ كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءٌ
 مِنَ الْبَلَاءِ، عَادَتْنَا الْعَرَبُ وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقُطِعَتْ عَنَّا السُّبُلُ حَتَّى ضَاعَ
 الْعِيَالُ، وَجُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَأَصْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجُهِدَ عِيَالُنَا؛ فَقَالَ كَعْبٌ:
 أَنَا أَبْنُ الْأَشْرَفِ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَبْصِيرٌ إِلَى
 مَا أَقُولُ؛ فَقَالَ لَهُ سِلْكَانُ: إِنَّا نُرِيدُ التَّنَحِيَّ مِنْهُ، وَمَعِيَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِي عَلَى مِثْلِ
 رَأْيِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِهِمْ، فَتُبْتَاعَ مِنْكَ طَعَامًا وَنَمْرًا، وَزَهْنُكَ مَا يَكُونُ لَكَ
 فِيهِ نِفَّةٌ وَوَفَاءٌ؛ فَقَالَ أَتَرْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ؟ قَالَ: كَيْفَ زَهْنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَشْبُ
 أَهْلٍ يَتَرَبُّبُ وَأَطْطُرُهُمْ؛ فَقَالَ: أَتَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟ قَالَ: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ نَفْضَحُنَا
 وَأَنْ يُعَيَّرَ أَبْنَاؤُنَا؛ فَيَقَالُ: هَذَا رَهْبَنَةٌ وَسَقِي، وَهَذَا رَهْبَنَةٌ وَسَقِي، وَلَكَّا زَهْنُكَ
 سِلْكَانُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ حَاجَتُنَا إِلَى السِّلَاحِ؛ فَقَالَ: نَعَمْ إِنْ فِي الْخَلْقَةِ لَوْفَاءٌ، وَإِنَّمَا أَرَادَ
 سِلْكَانُ إِلَّا يُنْكِرَ السِّلَاحَ إِذَا جَاءُوا بِهَا، ثُمَّ رَجَعَ سِلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ
 وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السِّلَاحَ، ثُمَّ يَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعَلُوا.

وَمَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْفَرَقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ:
 انْطَلِقُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعِزَّهُمْ. وَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ، وَتَوَجَّهُوا،

(١) فِي الْأَصْلِ: «حَبٌّ» بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ - وَاتَّصَوْا - عَنِ الْإِسْتِغْنَاءِ وَالطَّبَرِيِّ.

(٢) كَذَا فِي الطَّبَقَاتِ: وَسَبْرَةُ ابْنِ هِشَامٍ - وَفِي الْأَصْلِ: «وَبِمْو».

(٣) الرُّوسُ: حَمَلُ الْبَيْرِ - (٤) يُرِيدُ «بِالْخَلْقَةِ»: السِّلَاحَ كَمَا: وَقِيلَ: فِي الدَّرَجِ خَاصَّةً.

(٥) بَقِيعُ الْفَرَقَدِ (بِالْبَاءِ الْمَجْمُوعَةِ): هُوَ مَقْبَرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

وكانت ليلة مقمرة، حتى آتوها إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعريس، فوثب في ملحفته، فأخذت أمرأته بناحيها وقالت: إنك أمرؤ مغارب، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائما ما أيقظني؛ فقالت: والله إنى لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو بدعي الفتى لطعنة لأجاب.

وفي حديث البخاري^(١) من رواية سُفيان عن عمرو عن جابر بن عبد الله قالت: أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة، ورَضِيحى أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة ليل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن نتخاشى إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم. فخرجوا يتخاشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة [يده^(٢)] في فود رأس ابن الأشرف، ثم شم يده فقال: ما رأيت كالليلة طيبا أعطرَ قط من هذا! فقال: هذا عطر أُم فلان، يريد أمرأته، ثم مشى قليلا وعاد لمثلها حتى أطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بقود رأسه وقال: اضربوا عدو الله. فضرَبوه، فأختلفت عليه أسيافهم فلم تُنْ شَبِثا.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولا في سبغى حين رأيت أسيافا لم تن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في نُتْته^(٣)، ثم تحاملت عليه حتى انتهى إلى عاتته^(٤). ثم حَزَا رأسه وحمله معهم، وأصيب الحارث بن أوس، بفخريخ في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه

(١) في أ: «أبي سفيان». (٢) شعب العجوز: بظاهر المدينة. (٣) زيادة عن ج.

(٤) المغول: شب سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. (٥) التنة: ما بين السرة والعاقة.

(٦) في الأصول: «غايته»، وهو تصحيف. وانظر شرح المواهب ٢: ١٥.

قال محمد بن مسلمة : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قريظة ثم على بُعَاث ^(١) حتى استندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا الحارث، ونزفه الدم ^(٢) فوقفنا له ساعة حتى أتانا فأحتملناه وجثنا به .

قال ابن سعد : فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أن قد قتلوه، ثم اتهموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أفلحيت الوجوه » قالوا : وجهك ^(٣) يا رسول الله؛ ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله .

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة : وتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرح صاحبنا فبرا، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدد الله، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر :

صرختُ به فلم يعرض لصوتي * وأوفى طالبا من رأس جذر ^(٤)
فعدتُ له فقال من المنادي * قتلت أخوك عباد بن بشر
وهذى درعا رهنا فخذها * لشهر إن وفي أو نصف شهر

٢٨
١٥

(١) بعث : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية . وفي رواية

أخرى : « بعثات » .

(٢) كذا في ١ ، ح . وفي الطبري، وابن هشام : « أسندنا » ، أى ارتفعنا .

(٣) الحزة : الأرض الصلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة . والعريض : وادى المدينة .

(٤) نزفه الدم : خرج منه كثيرا حتى ضعف .

(٥) في الطبقات : « ووجهك » .

(٦) الجدر : الحائط . وفي المراهب اللدنية : « جذر » .

فقال معاشر سَفِيَّوْا وِجَاعُوا • وما عِدِمُوا الْغَنَى مِنْ غَيْرِ فَقْدِرِ
فَأَقْبِلْ نَحُونَا يَهْوَى سَرِيْعًا • وقال : أَمَا لَقَدْ جِئْتُمْ لِأَمْرِ
وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ حِدَادٌ • مجزئة بها الكفار نفري^(٢)
فَعَاتَقَهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ الْمُرْدِي • به الكفار كاللث الهزبر
وَشَدَّ بِسَيْفِهِ صَلْتَنَا عَلَيْهِ • قَطَّرَهُ أَبُو عَيْسَى بْنُ جَبْرِ^(٣)
فَكَانَ اللَّهُ سَادِسَنَا قَائِمًا • بَانْتَمَ نِعْمَةً وَأَعَزَّ نَصِيرِ
وَجَاءَ بِرَأْسِهِ تَقَرُّ كَرَامٌ • هُمُ نَاهِيكَ مِنْ صِدْقٍ وَبِرٍّ^(٤)

ذكر غزوة غطفان إلى نجد

(وهي غزوة ذى أمّ، ناحية النخيل، وقصة دُعُورِ بْنِ الْحَارِثِ)^(٥)

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس خمسة
وعشرين شهرا من مهاجره ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا

(١) في المراهب ، والاستيعاب : « وقال لنا قد » .

(٢) في الاستيعاب : « جداد » مجردة .

(٣) قطره : أسال دمه .

(٤) في الاستيعاب : « ناهوك » .

(٥) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة « غزوة ذات الرقاع » . وقال في سبب هذه التسمية : « وإنما
قبل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم وضعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ،
يقال لها : ذات الرقاع » .

(٦) في سيرة ابن هشام : « غرورث بن الحارث » . وفيه روايات أخرى . راجع المواهب اللدنية

(٧) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة .

من بنى ثعلبة ومحارب بذى أمر تجتمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم . جمعهم رجل منهم يقال له : دُعُور بن الحارث من بنى محارب ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلا ، ومعهم أفراس ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فأصابوا رجلا منهم بذى القصة ^(١) يقال له جَبَّار من بنى ثعلبة ، فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم وقال : ^(٢) لن يلاقوك ، لو سيمعوا بمسيرك هربوا في رموس الجبال ، وأبنا سائر معك . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلم وضمه إلى بلال ، ولم يلاق صلى الله عليه وسلم أحدا .

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي ، رحمه الله : وهربت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى ذى أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الأعراب لدُعُور ، وكان سيدها وأصحابها : قد أمكنك عهد ، وقد آنفرد من أصحابه ^(٣) حيث إن غوث بأصحابه لم يُفْتِ حتى تقتله ؛ فأختار سيفا من سيوفهم صارما ، ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورا ، فقال : يا عهد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوقع

(١) ذوالقصة : موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة .

(٢) كذا في ج - ٠ وفي أ : « بخبرهم » . (٣) غوث : قال : واغوثا .

السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه ، فقال : من يمتك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لا أكثر عليك جمعا أبدا ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه ثم قال : والله لأنت خير مني . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بذلك منك . فأتى قومه ، فقالوا : أين ما كنت تقول وقد أمكك والسيف في يدك ؟ قال : قد كان والله ذلك رأيي ، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمدا رسول الله ، والله لا أكثر عليه ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ ﴾ (١) الآية . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

ذكر غزوة بني سليم ببجرات (٢)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجرة — وبجرات من ناحية الفرع (٤) ، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد — وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا من بني سليم ، فخرج في ثلثائة رجل من أصحابه ، وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأعد السير حتى ورد بجرات فوجدهم قد تفرقوا في مياهمهم ، فرجع ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته عشر ليال .

(١) أراد جبريل . (٢) بعض آية من سورة المائدة .

(٣) بجرات (بضم الباء وفتحها ، وسكون الحاء) : موضع ناحية الفرع . وفي الأصل : « بجرات » .

(٤) الفرع (بضمين أو ضم وسكون) : قرية من ناحية المدينة ، ويقال : هي أول قرية مارت

إسماعيل وأمه النمر بركة . (٥) أعد : أسرع .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة

(بالفاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلل جنادى الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، وهى أول سرية خرج زيد فيها أميرا يعترض لعير قریش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن أبى ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلهم فزاة بن حبان العجلي، فخرج بهم على ذات عرق، طريق العراق.

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قریشا خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعت بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، فخرج منهم ثجار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة، وهى أعظم تجارتهم.

قال ابن سعد: فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فوجه زيد بن حارثة فى مائة راكب، فأعرضوا لها، فأصابوا العير وأقلت أعيان القوم، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقى بين أهل السرية، وأسرفزاة بن حبان، فأسلم، فترك من القتل.

والقردة: من أرض نجد بين الريدة والقمرة.

(١) فى ابن إسحاق: « حيث كان من وقعة بدر ما كان ».

(٢) فى ١: « من ».

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا يوم السبت لسبع خلون من شوال ، على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجرة صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت يوم السبت للنصف من شوال .

وذلك أن قريشا لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة ، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موفوفة في دار الندوة ، فشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طيبو أنفس أن نُجهّزوا بربح هذه العير جيشا إلى عهد ، فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي فباعوها فكانت ألف بعير ، والمالُ خمسين ألف دينار ، فسلم إلى أهل العير رهوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار دينارا .

قال ابن سعد وغيره : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حِمْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (١) وبعثت قريش رُسُلهم إلى العرب يدعونهم إلى نصيرهم فأوعبوا وألبوا (٢) .

قال ابن سعد : وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن الربيع بكتاب

(١) كذا في الطبقات . وفي الأصول : « هذا خبر » . (٢) سورة الأنفال آية ٣٦ .

(٣) في الأصول : « بدعهم » . (٤) أوعبوا : خرجوا عنهم . في خبر .

(٥) ألبوا : أتوا من كل جانب . وفي ١ : « وأكبروا » .

العباس . وأرجف المنافقون واليهود بالمدينة ، وخرجت قريش من مكة يحدها وجدها^(١٢) وأحابيشها^(٣) ، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة ، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فارس وثلاثة آلاف بعير ، وخرجوا معهم بالظن^(٤) التماس الحفيظة ، وألا يفزوا ، وكان معهم خمس عشرة امرأة ، فخرج أبو سفيان^(٥) ابن حرب — وهو قائد الناس — معهم بهند بنت عنبه ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بيرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص بربطة بنت مئنه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة — عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار — بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ، وخرجت خنساس بنت مالك بن المخضر^(٦)

(١) أرجف القوم : اختلفوا أخبارا كاذبة يكون منها اضطراب في الناس .

(٢) يحدها وجدها : بنضها وعظمتها .

(٣) أحابيش قريش : قوم من بني المصطلق واخون بن خزيمه ، اجتمعوا وحالفوا قريشا عند حبشى ، وهو جبل بأفهل مكة ، فسوا به .

(٤) كذا في طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « فارس » .

(٥) الظن : جمع ظلمة ، وهى المرأة مادامت في المروج .

(٦) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٧) كذا في أ . وفي ب : « وهو قائد الناس معه ^{هذه} » .

(٨) في السيرة والمواهب الدنية : « بيرة » .

(٩) كذا في السيرة ، والطبرى . وفي الأصول : « سبيل » . وفي رواية الطبرى : « سبيد » .

(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبرى . وفي الأصول : « النضر » .

مع أبيها أبي عزيز بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث ^(١) مع ابن عبد مناة .

قال محمد بن إسحاق : ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشيا ، يقال له : وحشي ، يقذف بحجرة له قذف الحبشة ، فلما يُحطى بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعني طعيمة بن عدي فانت عتيق .

فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها ، قالت : ^(٢) ويها دسمة ؛ أشف واستشف ، وكان وحشي يكنى بأبي دسمة .

قال ابن سعد : وشاع خبرهم وسيرهم في الناس حتى تزاوا ذا الحليفة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنسا ومؤنسا ابني فضالة ، ليلة الخميس لخمس مضين من شوال عشرين له ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ، وأنهم قد خلوا بإبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعث الحباب ^(٣) ابن المنذر [بن الجوح فدخل فيهم] فخرهم ، وجاءه بعلمهم ، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن خضير ، وسعد بن عباد ، في عدة ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحُرست المدينة حتى أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنه في درج حصينة ، وكان سيفه ذا القفار قد أقصم من عند ظبته ، وكان يقرأ تَدَج ، وكأنه مُردِف كَبَشَا فأخبر بها أصحابه وأوليا ، فقال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأما أقصام سيفي

(١) كذا في الطبري ، واليرة . وفي أ : « مع أبي أبي عزيز » وفي ج : « مع أبيها أبي عزيز » .

(٢) في أ ، ج : « أحد » .

(٣) رها : كلمة سماها الإغراء والتحريض . والدسمة : السواد . وفي الطبري « إيه أبا دسمة »

وفي السيرة : « ويها أبا دسمة » .

(٤) العريض : واد بالمدينة . (٥) ساقطة من أ ، والحرز : المد بالظن والتخمين .

فصيبة في نفسى، وأما البقر التي تُذبح فقتل في أصحابى، وأما مُريد كَيْشاً، فكَيْشُ
الْكَيْبَةِ يَقْتُلُهُ [الله] ^(١) إن شاء الله : فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج
من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج،
فأشار عبد الله بن أبى بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأى الأكابر من المهاجرين
والأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء
والذراري في الآطام ^(٢) . فقام قتيان أحداث لم يشهدوا بدراً، فطلبوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة، وقالوا : اخرج بنا إلى
عدونا لا يرون أننا ^(٣) [قد] جئنا عنهم وضعفنا . فطلبوا على الأمر، فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجمعة بالناس ووعظهم وأمرهم بالجد والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر
ما صبروا، وأمرهم بالتيؤر لعدوهم، ففرح الناس بالشخص، ثم صلى بالناس العصر،
وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي ^(٤)، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه
أبو بكر وعمر، فعماه وألبساه ^(٥)، وصَفَّ الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد
ابن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر : استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج،
والأمر يتزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه . فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد لبس لأمنه ^(٦)، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمِئْطَاقِيَّة من آدم من حمائل سيفه ^(٧)،
واعتم وتقلد السيف، وألبي الترس في ظهره، فندموا جميعاً على ما صنعوا، وقالوا :
ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك . فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي

(١) ساقطة من أ . (٢) كذا في أ . وفي ج : « على مثل رأيه » .

(٣) الآطام : الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة . (٤) ساقطة من أ .

(٥) في المواهب : « الاجتهاد » مكان « الجهاد » . (٦) العوالي : قرى بظاهر المدينة .

(٧) في الأصول : « لبس » وهو تحريف . (٨) صف : اصصف .

(٩) اللامعة : الدرع ذو صلاح كله . (١٠) ق - « سيف » .

لنبي إذا لبس لأمتَه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، فانظروا ما أمركم به فافعلوا وانضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم . ثم دعا بثلاثة أرماع ، ففقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر ، ويقال : إلى سعد بن عبادة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ركب فرسه وتنكب القوس ^(١) وأخذ قناة بيده ، والمسعودون عليهم السلاح فدأظهوروا الدروع ، فيهم مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه بعدوان ، سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، كل منهما دارع ، والناس عن يمينه وشماله ، فمضى حتى إذا كان بالشيخين ^(٢) - وهما أطيان ، كان يهودى ويهودية يقومان عليهما يتخذان ، فلذلك سُميا بالشيخين ، وهما في طرف المدينة - التفت فنظر إلى كتيبة خشناء ^(٣) لها زجل ^(٤) ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبي من يهود . فقال صلى الله عليه وسلم : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . وعرض من عرض بالشيخين ، فرد من رد ، وأجاز من أجاز .

قال محمد بن إسحاق : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سُمرة بن جندب ^(٥) الفزاري ، ورافع بن خديج أحد بني حارثة ، وهما ابننا خمس عشرة سنة ، وكان

(١) تنكب القوس : ألقاه على منكبه . (٢) في ١ : « كانا » .

(٣) في معجم البلدان : « كان شيخ وشبهة » . وفي الطبري : « كان يهودى ويهودية » .

(٤) كتيبة خشناء : كثيرة سلاح خشنه .

(٥) الزجل : الجلبة والضوض .

(٦) في الأصل : « لا تستنصر » وما ذكر رواية ابن سعد .

(٧) في ١ : « نمر » وهو محرف .

قد ردّهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رَامَ . فأجازه ، فقيل له : إن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وعبد الله بن عمرو بن الخطاب ، وزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وعُمَرُ بْنُ حَرَمٍ ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، ثم أجازهم يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وهم أبناءُ خمس عشرة سنة . وردَّ عَرَابَةَ ابْنِ أَوْسٍ وهو الذي يقول فيه الشَّيْخُ ^(١) .

إذا ما رَايَةً رِفِمتَ لمجد * نَلَقّاها عَرَابَةَ بِالْمِجْدِ

قال ابن سعد : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشيخين ، وكان نازلا في بني النَّجَّار ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مَسْلَمَةَ في خمسين رجلا ، يُطِيفُونَ بِالْعَسْكَرِ ، وأَدْخَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَرِ ، ودليله أَبُو خَيْثَمَةَ ^(٢) ، فانتهى إلى أُحُدٍ ، خَافَتِ الصَّلَاةُ ، وهو يرى المشركين ، فأمر بلالا فذَنَ وَأَقَامَ ، فصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الصَّحِيحَ صَفْوَا .

قال ابن إسحاق : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بِالشُّوْطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحُدٍ ، انْخِزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنَلْتِ النَّاسِ ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ تَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النِّفَاقِ ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، يقول : يا قوم ،

(١) خرج النسخ بريد المدينة فلقية عرابة بن الأوس ، فسأله عما أقدمه المدينة . فذل : أردت أن أتنازل لأهل . وكان معه بيزان فأوفرهم له عرابة ثم أوبراء وكساء وأكرمه ، فخرج عن المدينة واعتدعه بالفصيدة التي منها هذا البيت . (٢) كذا في الأصول ، وهو يوافق ما في النسخ ، وفي ابن

سعد : « أبو خثمة » ، وخطأ صاحب النواصب .

(٣) الشوط ، قال في معجم البلدان « سم حائط ، يسمى بسنابا بالمدينة » .

أذ كرم الله أن تخذلوا قومكم وتبيكم عندما حضر عدوهم ؛ قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لك أسلماكم ، ولكن لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وآبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نيته صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : انخزل عبد الله بن أبي بثلثائة ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبي بردة بن نيار . وأقبل يصف أصحابه ويسوى الصفوف على رجليه ، وعليه درعان ومغفر وبنضة ، وجعل له ميمنة وميسرة ، وجعل أحدا وراء ظهره ، واستقبل المدينة ؛ وجعل عينين - جبالا - عن يساره ، وجعل عليه خمسين من الزمارة ، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير ، وقال : قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا ، لا يأتونا من خلفنا ، فإن رأيتونا قد غنمنا ، فلا تتركونا ، وإن رأيتونا تقتل فلا تنصرونا .

وأقبل المشركون ، وقد صفوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنبتان مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ، ويقال : عمرو بن العاص . وعلى الزمارة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة - واسم أبي طلحة عبد الله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من

(١) هكذا في الأصل ، والقروطي ، وشرح المواهب اللدنية . وفي السيرة : « ألا تخذلوا » .

(٢) المغفر : زرد من الدرع يلبس تحت القنطرة ، أو حلق ينقع بها المنسلح .

(٣) عيان : جبل يعطن السبعة من قنطرة على شفير الوادي مقابل المدينة .

(٤) في أ : « عليه » .

(٥) كذا في طبقات ابن سعد . وفي الأصول : « هذا » .

(٦) المجنبتان : الميمنة والميسرة .

يُجْزَلُ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ ؟ فَقِيلَ : عَبْدُ الدَّارِ . فَقَالَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ ، أَيْنَ مُصْعَبُ
ابْنِ ثَعْمِيرٍ ؟ قَالَ : هَآنُذَا ، قَالَ : خُذِ اللَّوَاءَ ، فَأَخَذَهُ مُصْعَبُ ، فَتَقَدَّمَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

معين التاريخ
لأهل التاريخ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السِّيفَ
يَحْقُقْهُ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ أَبُو دُجَانَةَ يَمَّاكَ بْنُ خَرَّشَةَ أَخُو بَنِي
سَاعِدَةَ ، فَقَالَ : وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : تَضْرِبُ بِهِ فِي الْمَدُونِ حَتَّى يَنْجُو ، قَالَ :
أَنَا أَخَذَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ . فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ إِذَا أَعْلِمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ
حَمْرَاءَ عِلِمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ ، فَلَمَّا أَخَذَ السِّيفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، وَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفِّينِ .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ : إِنَّهَا لِمُشْبَةٍ يُنْضِئُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامَ : إِنَّ الزَّيْبَرَ بْنَ الْعَوَّامِ قَالَ : وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّيفَ فَتَنَعْتِهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ
لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ . فَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةَ حَمْرَاءَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، فَقَالَتْ
الْأَنْصَارُ : أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ . وَجَعَلَ يَقُولُ :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي * وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى التَّخِيلِ
أَلَا أَقْوَمَ الدَّهْرَ فِي الْكَبُولِ * أَضْرَبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّمْلِ

(١) وجدت : حُرِّثَ .

(٢) الكيول : آخر العصفوف في الحرب . وهي رواية الحسن وإحدى روايات ابن هشام .

وفي الأصول : «الكيول» جمع كيول : وهو الفيد الضخم . وما ذكرناه أقرب لغيره . وقد ذكره ابن القيم
صاحب لسان العرب .

قال الزبير : فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذوّف عليه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجانة ، فأنقاه بدرقه ، وضربه أبو دُجانة فقتله ، ثم رأيت قد حمل السيف على مفريق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدله عنها ، قال الزبير ، فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال أبو دُجانة : وأيت إنسانا يُحمش الناس حمشا ، فصمدتُ له ، فلما حملت عليه السيف ولّول ، فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

قالوا : وكان أول من أنشب الحرب يوم أحد أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ابن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة بن زيد ، وكان قد خرج إلى مكة مباعدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه خمسون غلاما من الأوس ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنتم الله بك عينا يافاسق — وكان في الجاهلية يُسمى الزاهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، كما قدمنا من خبره — قال : فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم بالحجارة فراخضوه ، حتى ولى هو وأصحابه هارين .

(١) ذف : أجهز . (٢) الدركة . الترس المصنوع من الجلد .

(٣) يحمش الناس : يسوفهم بنضب ؛ أى يحزهم على القتال وينفضهم .

(٤) كذا في السيرة ، والطبرى ، والمواهب اللدنية . وفى أ : « عبد بن حرب عمرو » .

وفى ب : « عبد بن عمرو » . (٥) راضخهم : رامهم .

قال : وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار، إنكم قد ولّيتُم لواء^(١) بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤقى الناس من قبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإِذَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا، وإِذَا أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَتَكْفِيكُوهُ ، ففهموا به وتوجَّعوه ، وقالوا : نحن نُسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

قال : ولما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويمحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ * وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
* ضَرْبًا بِكُلِّ بَشَارِ^(٢) *

وقالت أيضا :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقِ * نَمْشِي عَلَى النَّارِ^(٣)
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَاقِ * أَوْ تُدْرُوا نُفَارِقِ
* فِرَاقٌ غَيْرُ وَاثِقٍ^(٤) *

(١) في السيرة ، والطبری : « لواءنا » .

(٢) كذا في ج ٠ وفي أ : « لواء » . (٣) بشار : فاطم .

(٤) في هامش ج ما يأتي : « فوهلأ : بنات طارق . ترهد الجم : أي نحن شريقات رفيقات كالنجم . وقيل : الشعر لهند بنت طارق بن يساعة الإيادية ، قاله في حرب القوس لإياد ، فتمثلت به هند هذه » . وقال لسان العرب : ابن ابن برى قال : إن هذا بنت عتبة بنت أبي سفيان بنت رياح بن طارق الإيادي . وذكر الأسيات برواية أخرى ، وهي تحالف دواية المؤلف وروايه الطبري وابن إسحاق . راجع لسان العرب مادة (طرق) .

(٥) النصارى : جمع نمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة والبطيخة فوق الرجل .

(٦) الروامني : المحب .

قال . وكان شعار المسلمين يوم أحد . أَيْتُ ، أَيْتُ . ودنا القوم بعضهم من بعض ، والزماة يرشقون خيل المشركين بالنبل . قَتَلُوا هَوَارِبَ ^(١) ، فبرز طلحة ابن أبي طلحة ، صاحب لواء المشركين ، وقال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له على بن أبي طالب ، فالتقيا بين الصّفين ، فبدره على بضربة على رأسه حتى فلق هامته ، فوقع وهو كبش الكتبية ، فُتِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكبر ، وكبر المسلمون ، وشَدُّوا على كَتَابِ المشركين يضر بونهم حتى نفضت صفوفهم ^(٢) ، ثم حل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة ، وجعل يرتجز وهو أمام النسوة :

إِنِّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا • أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ شَدَقًا ^(٣)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف على كاهله فقطع بده وكنفته حتى انتهى إلى مؤترزته ، وبدأ سحره ^(٤) ، ثم رجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الحجيج . فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه مسعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرتة ، فأدلع لسانه إدلاع الكلب ، فقتله . ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتله . ثم حمله كلاب بن طلحة ابن أبي طلحة ، فقتله الزبير بن العوام . ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله . ثم حمله أرطاة بن شرحبيل ، فقتله على بن أبي طالب .

(١) في الأصول : « فبولوا » وتصوب من الطبقات .

(٢) « النص : الحريك والاصحاب » .

(٣) الصعدة : القناة التي تستسقيها . وفي الطبقات . « أن تخضب » .

(٤) : سحرها . الرقة .

(٥) ادع : تخرج .

ثم حمله شريح بن قاسط ^(١) ، فقتل . ثم حمله صُواب غلامهم ^(٢) ، ودو حبشي ، فقاتل يومئذ حتى قُطعت يده ، فاعتق اللواء حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعذرت ، واختلّف في قاتله ، فقيل : قتله سعد بن أبي وقاص ، وقيل : علي بن أبي طالب ، وقيل : قتله قُزمان على الأصح .

قال : فلما قُتل أصحاب اللواء صار ملقى ، حتى أخذته عُمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش ^(٣) ، فلاتوا به . ثم انكشف المشركون وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، وتبعمهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ^(٤) ، ووقعوا ينهبون العسكر ، ويأخذون ما فيه من الغنائم .

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خديم هند وصواحيبها مشتراة هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير .

قال ابن سعد : وتكلم الزمعة الذين على الجبل واختلفوا بينهم ، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة ، وقال : لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لم يُرد رسول الله هذا ، قد انهمز المشركون ، فما مقامنا هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر يتنبهون معهم ، وتركوا الجبل . فنظر خالد بن الوليد إلى خلق الجبل وقلة أهله ،

(١) كذا في الأصول . وفي طبقات ابن سعد ، والمواهب اللدنية : « فارض » وفي سيرة ابن هشام :

« القاسط بن شريح بن حاتم بن عبد مناف بن عبد الدار » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « غلامهم وحشي » . وفي سيرة ابن هشام : « غلام لبني أبي طلحة » .

(٣) لانوا به : اجتمعوا حوله .

(٤) أجهضوهم : أزالوهم .

فَكَتَرُ بِالْخَيْلِ ، وَتَبِعَهُ عِزْرَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ ، وَحَالَتِ الرِّيحُ فَصَارَتْ دُبُورًا ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَبًّا ، وَنَادَى إِبْلِيسُ — لَعْنَهُ اللَّهُ — : إِنْ مَجِدَا قَدْ قُتِلَ . وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ فَصَارُوا يَقْتُلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ ، وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالذَّهْشِ ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ مَلَكٌ فِي صُورَةِ مُصْعَبٍ ، وَحَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ وَلَمْ تَقَابِلْ ، وَنَادَى الْمُشْرِكُونَ بِشِعَارِهِمْ : يَا لَلْعَزَى يَا لَلْجَبَلِ . فَقُتِلَ مِنْ أَكْرَمِهِ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى خَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَثَبَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْمِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتُهَا ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ ، ثُمَّ ذَبَّ بِالْمِجْرَاءِ ، وَكَبِّرَتْ يَوْمَئِذٍ رِبَاعِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُنْتُ شَفَّتَهُ ، وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَجُرِحَ فِي وَجْهِهِ ، وَكَبِّرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَانَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(٨) .

(١) في طبقات ابن سعد : « حَمَلُوا عَلَى مَنْ يَزِيحُ مِنَ الرِّمَاءِ قَتْلَهُمْ » ، وَقَتْلَ أَمِيرِهِمْ عَسَدَ اللَّهِ ابْنَ جَبْرِ ، وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُسْلِمِينَ » .

(٢) ق ١ : « يَفْتَنُونَ » (٣) العزى وهيل : صَيَّانٌ لِقَرْيَةٍ .

(٤) ق ١ : « دَعَوْهُمْ » (٥) كَذَا فِي ج - وَ ق ١ : « سَنَةٌ » .

(٦) السِّبْيَةُ . طَرَفُ الْفُؤُسِ (٧) الرَّابِعَةُ : السَّيْرُ الَّذِي بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْعَدُوِّ .

(٨) آتَةٌ ١٢٨ مِنْ سُورَةِ النَّازِعَاتِ .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص روى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته ، وأن ابن قميّة جرح وجهه ، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجهه ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، فأخذ علي بن أبي طالب بيده ، ورفعها طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومضى مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري ، الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم] ازدرده ، فقال صلى الله عليه وسلم : من مس دمه دمي لم تمسه النار .

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو : لما غشي القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من رجل يشتري لنا نفسه ؟ فقام زياد بن السكن [في خمسة من الأنصار ، وبعضهم يقول : إنما هو عمار بن يزيد بن السكن] فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمار ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . ثم فاءت فئة المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات ، وخذه إلى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وقالت أم عمار نسيبة بنت كعب المازنية يومئذ ، فخذت وقد سئلت عن خبرها ، فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سيفاء فيه ماء ، فانتفيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انخرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أبأشر القتال وأذبّ عنك بالسيف ، حتى خاضت الجراحة إلى . وكان علي عاتقها جرح أجوف له غور ،

(١) سافطة من أ . (٢) ما بين القوسين سافط من أ .

فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قَيْمَةَ ، أَقْسَاهُ ^(١) ، لَمَّا وَلَّى النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ يَقُولُ : دَلُونِي عَلَى مَجْدٍ ، فَلَا نَجْوَتْ إِنْ نَجَا ، فَأَعْرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمَصْعَبُ بْنُ عُثَيْرٍ وَأَنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ ، وَلَقَدْ ضَرَبَنِي عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ ، وَلَكِنِّي عَدَوْتُ اللَّهُ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانٌ .

٣٤
١٥

قال ابن إسحاق : وَتَرَسَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ ، بَقَعَ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنَحْنٍ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ . وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاقِلِي النَّبْلَ وَيَقُولُ : إِيَّامُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، حَتَّى إِذَا لَبِثْتُ فِي السَّهْمِ مَا لَهُ مِنْ نَصْلٍ ، فَيَقُولُ : إِيَّامُ بِهِ . قَالَ : وَأَصَابَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ ، فَزُدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَاحِدَهُمَا . قَالَ : وَاتَّهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ^(٢) ، فَقَالَ : مَا يَجْلِسُكُمْ ؟ فَقَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قَوْمُوا فَوْتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ فَنَاقِلًا حَتَّى قُتِلَ . قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِهِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً ، وَأَصَابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي فَهٍ فَنَهْمٍ ، وَجَرَحَ عَشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، فَأَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَّجَ .

١٠

١٥

(١) كذا في ج . ١ . وفي أ : « أَمِيَّة » ، بحريف . (٢) أَقْسَاهُ : أَذَلَّهُ .

(٣) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « وَلَقَدْ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَةً ضَرَبَاتٍ » وفيها تقديم

وَأَخْبَرَهُمْ وَصَوَّاهُ عَنِ الطَّبَقَاتِ . (٤) فِي أ : « حَتَّى أَلْقَوْا » .

٢٠

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كعب بن مالك، قال كعب: عرفت عينه تهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلى: أن أنصت، قال: فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا [به] ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجال منا؟ قال رسول الله: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة، قال: فلما أخذها انتفض منا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعن بها طعنة في عنقه تداداً^(١) منها عن فرسه مراراً، وكان أبي بن خلف قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: إن عندى العود - فرسا - أعلفه كل يوم فرقا من دُرَّة أفتلك عليه. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنا أفتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه خدشا كبيرا، فاحتقن الدم فيه، فقال: قتلني والله محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك! والله إن بك

(١) تهران: قضبان - وفي ج: « تهران من تحت المغفر ».

(٢) أسند: صعد.

(٣) تطايرنا عنه: بعدنا - وفي هامش ج: « الشعراء: ذباب له لدع ».

(٤) تداداً: تدرج.

(٥) الفرق: مكال بالمدية يسع ستة عشر وطلا.

باس، قال : إنه قد قال لي بمكة : أنا أقتلك، [والله] لو بصق على لقتلني . فمات
عدو الله بسيرف وهم قائلون إلى مكة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :
لقد وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ * أُبَيُّ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ * وَتُوْعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو التَّجَارِ مِنْكُمْ * أَمِيَّةٌ إِذْ يُغَوِّثُ : بِأَعْقِيلِ
وَتَبَّ ابْنِ أَرْبَعَةٍ إِذْ أَطَاعَا * أَبَا جَهْلٍ ، لِأَمْتِهِمَا الْهَبُولِ
وَأَنْتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا * بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أَشْرَتُهُ قَبْلُ
وقال حسان أيضا فيه :

الْأَمْنُ مُبْلَغٌ عَنِّي أَيْبًا * فَقَدْ أَقْبَيْتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمْنَى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ * وَتُقْسِمُ أَنْ قَدَرْتُ مَعَ التَّنْذِيرِ
تَمْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ * وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَاقَيْتَ طُعْنَةَ ذِي حِفَاطٍ * كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي بَخُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرًّا * إِنْ أَنْتَ نَابَتْ مُلَيْمَاتُ الْأُمُورِ

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قَمِ الشَّعْبِ نَحَرَ عَلَى بَنِ
أَبِي طَالِبٍ حَتَّى مَلَأَ دَرَقَتَهُ مِنَ الْمَاءِ ، يَخْشَاءُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيَشْرَبَ مِنْهُ ، فَوَجَدَ لَهُ رِيحًا ، فَخَافَهُ وَغَسَلَ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ .

- (١) ساقطة من أ ، وفي ابن هشام : « فواقه » . (٢) سرف : وضع على سنة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل غير ذلك ؛ تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتة بنت الحارث .
(٣) الرم : البالي . (٤) يتزوت : يقول : واغوثاه .
(٥) تب : هلك . والهبول : القفد . وفي المواهب اللدنية : « وأمها » .
(٦) السحق : البعد والعمق . (٧) الحفاط : القلب عن المحارم .
(٨) الدرقة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب .

قال : وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قُرَيْش الجبل ، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ^(١) [إنه] لا ينبغي لهم أن يعلووا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن وظاهر بين درعين ، فلم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ^(٢) . قال ابن هشام : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

قال ابن إسحاق : ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أُنْعِمْتُ ^(٣) فقال ، إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فاجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلاتنا في الجنة ، وقتلاك في النار ، فقال له أبو سفيان : هَلُمَّ إِلَى يَا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إِيَّاهُ فَانْظُرْ مَا شَأْنُهُ يَا فُتَاهُ ، فقال له أبو سفيان :

(١) ساقطة من أ .

(٢) بدن : ضعف . ظاهر : طابق .

(٣) كذا في السيرة . وفي الأصول : « عليه » .

(٤) أنعمت فقال : كان الرجل من قُرَيْش إذا أراد ابتداء أمر إلى سهمين ، فكُتِبَ على أحدهما «نعم» ، وعلى الآخر «لا» ، ثم يتقدم إلى السهم ويخيل سهمه ، فإن نرج سهم «نعم» أقدم ، وإن نرج سهم «لا» امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استقى هبل ، فخرج له سهم الإتمام ، فذلك قوله لعمر رضي الله عنه : أنعمت فقال ، أي أجابت بنعم فتجاف عنها ، ولا تذكرها سوء ، يعني ألهمهم هذا ما ذكره صاحب اللسان . وهناك أقوال أخرى يجدها في ٢ سمعة ٥٧ من الموارب القدينة .

(٥) لا سواء : لا نحر سواء : أي لا فتوى .

أَشَدُّكَ اللهُ يَا عَمْرُ ، أَقْتَلْنَا عَمْرًا ؟ قَالَ عَمْرُ : اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ
الْآنَ ، قَالَ : أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَأَبْرَ - لَقَوْلِ ابْنِ قَيْثَةَ لَهُمْ :
إِنِّي قَتَلْتُ عَمْرًا - قَالَ : وَاسْمُ ابْنِ قَيْثَةَ عَيْدُ اللهِ .

وروى البخارى عن البراء قال : وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم عَمْرٌ ؟
فقال : لا تجيبوه ، قال : أفي القوم ابن أبي خُفَافَةَ ؟ قال : لا تجيبوه ، قال :
أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن هؤلاء قُتِلُوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم
يملك عَمْرٌ - رضوان الله عليه - نفسه ، فقال : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ ، أبقى الله لك
ما يُخْزِيكَ . قال أبو سفيان : أَعْلُ هُبْلٍ ^(١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
أجيبوه ، فقالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان :
لنا العزى ولا عَزَى لَكُمْ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا :
ما نقول ؟ قال قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لَكُمْ ، قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ،
والحرب يَجَالُ ، وتجِدُونَ مُثْلَهُ لَمْ أَمْرٌ [بِهَا] ^(٢) ولم تُسْؤُنِي .

قال ابن سعد : ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه : إن موعدكم بدر العام القابل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل له : نعم هو بيننا
وبينك موعد . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال :
أَخْرِجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ، فَاَنْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَمَاذَا يَرِيدُونَ ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَبُوا
الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ فَلْيَنْهَمِ يَرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَهُمْ

(١) هبل : اسم صنم كان في الكعبة .

(٢) العزى : اسم صنم كان لقريش .

(٣) الزيادة من البخارى . ويقال : مثلت بالقتيل ، إذا جذعت أنفه وأذنه أو شبتا من أطرافه .

(٤) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنتهم .

يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، م
لأننا حرّمهم^(١) . قال على : فخرجت في آثارهم فوأيّتهم قد جئنا الخيل وامتطوا الإبل ،
وتوجهوا إلى مكة .

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ،^(٢)

- وما فعلته هند بنت عتبة ، وما قالته من الشعر ، وما أجيبت به .
- كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قد قتل من ذكرنا من المشركين
آثقا ، ومّر به سباع بن عبد العزى العبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة :
هلم إلى يابن مقطعة البُصور^(٣) — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب
التقفى ، وكانت ختانة بمكة — فلما اتقيا ضربه حمزة ففعله . فقال وحشي غلام
جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ،
فوالله إنى لأتنبأ أريده ، وأستر منه بشجرة أو بحجر ليدنو منى ، إذ تقدمنى إليه
سباع ، فلما رآه حمزة قال له ما قال ، فضربه حمزة فقتله ، فهزئت حربى حتى
إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في فُتّه^(٤) ، حتى خرجت من بين رجله ،
وذهب لينوء نحوى فُغلب^(٥) ، فتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأكذت حربى ،
ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ، فلم يكن لى يغيره حاجة ، إنما قتله لأعق .

٣٦
١٥

قال ابن إسحاق : ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتل
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يمدعن^(٦) الآذات والآنف ، حتى

(١) المناجزة في الفئال : المارزة والمقاتلة ، وهو أن يبارزو الفارسان نبرسا حتى يقتل كل واحد

منها صاحبه أو يقتل أحدهما . (٢) في ١ : « ذكر مقتل » .

(٣) البصر : لغة في النظر . (٤) التة : أسفل البطن .

(٥) ينوء : ينهب بجهد وشقة . (٦) يمدعن : يقطعن .

اتخذت هند من آذان الرجال وآفتهم قلائد وخداما ، وأعطت قلائدها وخدامها
وقرطها وحشياً ، وبقرت عن كيد حمزة فلاكتها فلم تسطع أن تُسيفها ، فلفظتها ،
ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، ثم قالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذاتُ سر
ما كان عن عُتْبة لى من صبر * ولا أنى وعمه وبغرى
شفيتُ نفسى وقضيتُ وترى * شفيتَ وحنى غليل صدرى
فشكر وحنى على عمرى * حنى تريم أعظمى فى قبرى^(٣)

فاجابتها هند بنت أُنْثاة بن عَبَّاد بن المُطَلِّب فقالت :

تخزيت فى بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر^(٥)
صَبَحَك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطَّوال الزهر
بكل فطاع حَسَامٍ بقرى * حمزة ليشى وعلى صقرى^(٦)
إذ رام شيب وأبوك غدرى * نخضبا منه ضواحي النحر^(٧)
* ونذرك السوء فشر نذر *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجيب بمثله ، وتركنا ذلك اختصاراً .

(١) خدما : خلاخيل .

(٢) الوتر : الثأر . وفى السيرة ، والمواهب اللدنية ، وأسد الغابة : « نذرى » .

(٣) نرم : تيل . (٤) كذا فى ابن هشام ، والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة .

وفى الأصول : « ابن عبد المطلب » .

(٥) وقاع : بنتاب التامر . (٦) بقرى : يقطع .

(٧) شيب : زبد شية . ضواحي النحر : ما ظهر من المدر .

قال ابن إسحاق: ومرة الحليس بن زبَّان^(١) أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش بأبي سفيان، وهو يضرب في شدق حمزة بُرج الرمح، ويقول: ذُقْ عَقِي. فقال الحليس: يا بني كانه، هذا سيد قريش بصنع أبين^(٢) عنه ما ترون لحمًا، قال: ويحك! اكتمها عني، فإنها كانت زلة. قال ولما فرغ الناس لقتالهم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد يُقربطنه عن كبده، وجُدع أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صفة ويكون سنة من بعدى لتركتك حتى تكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنقتلن بهم مثله لم يمتلها أحد من العرب. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَنْفَعُوا النَّاسَ فِي حَيَاتِهِمْ وَلَئِنْ مَاتُوا مِنْكُمْ لَخَرَابَتْ لَهُمْ أَمْمَارُهُمْ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي الْغَايَةِ الَّذِينَ لَمْ يَلْمِزُوا أَلْسِنَتَهُمُ الْفُسْهَاقَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلُونَ﴾^(٣) قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر. ونهى عن المثل^(٤).

(١) كذا في سيرة ابن هشام، والطبري. وفي الأصل: «الحليس بن زبَّان». وقال ابن إسحاق: «الحليس بن علقمة بن أوك بن زبَّان» (ج ٢: ٧٤٣).

(٢) عقيق، أي باعان. (٣) لحم، أي عينا. (٤) آية ٢٦ — ٢٨ سورة النحل.

(٥) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرتدين، قلنا:

في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك فصاحا. وثانيهما: أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع

الرضي الألف ج ٢ ص ١٤٢.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن
أصاب بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أغبط إلى من هذا! ثم قال: جاءني جبريل
عليه السلام فأخبر أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع:
حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببرد^(١)،
ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى^(٢) يوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم
وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. قالت: وأقبلت صفية بنت
عبد المطلب لتتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير
ابن العوام: إلقها فارجمها لا ترى ما بأخيها. فقال [لها]: يا أمته: إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل^(٣)
بأخي، وذلك في الله عز وجل، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحسبن^(٤) ولأصبرن^(٥)
إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وأخبره
بذلك قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت،
واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن. قال: واحتمل ناس
[من المسلمين^(٦)] قتلهم إلى المدينة، فدفنهم بها. ثم نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك، وقال: ادفنهم حيث صرعوا.

(١) سجي: غطي. (٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الجواز ولا الأوزاعي لوجهين:

أحدهما — ضعف إسناده هذا الحديث. وثانيهما — أنه حديث لم يصحبه العدل، ولا يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية. راجع الرض الأنف

ج ٢ ص ١٤٢. (٣) ساقطة من أ. (٤) في ابن هشام: «فأرضانا». ٢٠

(٥) في أ: «أصبرن». (٦) ساقطة من أ. (٧) ساقطة من أ.

ذكر [تسمية^(١)] من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق : استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، كان منهم من المهاجرين من بنى هاشم : حمزة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، وقد تقدم خبر مقتله . ومن بنى أمية : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيم^(٢)ة قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق . ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب^(٣) ابن عمير ، قتله عبد الله بن قنعة الليثي . ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان قتله [أبي^(٤)] بن خلف .

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة .

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ابنا الحبيب ، من بنى سعد بن ليث ، ووهب بن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عتبة . ابن قابوس . وزاد الثعلبي سعدا مولى عتبة ، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد ، بل عد المهاجرين خمسة .

واستشهد من الأنصار ، من بنى عبد الأشهل اثنا عشر رجلا ، وهم : عمرو بن معاذ بن النعمان أخو سعد ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، وأخوه عمرو بن ثابت ، وأبوهما ثابت ، ورفاعة [بن^(٥)] وقش ، واليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وأسمه حسيل بن

(١) ساقطة من ١ - (٢) في الأصول : « خزيم » بحريف .

(٣) كذا في الروض الأنف ، ويرت . ، وأسد النجابة . والاستبواب ، والطبقات .

وفي الأصول : « الحكم » - (٤) ساقطة من ١ .

(٥) كذا في الإحياء وأسد الغابة والاستبواب . وفي الأصل : « الربيع »

(٦) ساقطة من ١ .

جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه^(١)، فتصدق ابنه حذيفة يديه على المسلمين، وصيفي بن قيطي، [وخباب^(٢) ابن قيطي]، وعبد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ.

ومن أهل رايح ثلاثة نفر، وهم: إياس بن أوس بن عتيك، وعبيد بن التيهان، ويقال: عتيك بن التيهان. وحبيب بن زيد بن تيم. ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. ومن بني عمرو بن عوف، ورجلان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن فيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن النعمان، وهو غسيل الملائكة، وكان قد ألتقى هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم لنفسه الملائكة. فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الحانفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لذلك غسلته الملائكة. وقال شداد بن الأسود حين قتل حنظلة:

لأحينت صاحبي ونفسي • بطعنة مثل شعاع الشمس

ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. ومن بني ثعلبة بن عمرو ابن عوف ورجلان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جبير

(١) يديه: يدفع يديه.

(٢) ساقط من أ. وجاء في الإجابة، وأسد الغابة، والاسنياب: «خباب أو حباب».

(٣) رايح: أطعم من أطعم المدينة.

(٤) في أ: «بن يزيد».

(٥) في الأصول: «عبد زيد». وما ذكرناه رواية ابن هشام، والإصابة، وأسد الغابة.

(٦) كذا في الأصول، ورواه صاحب أسد الغابة بإياه وإياه.

- ابن النعمان ، وهو أمير الرماة . ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك :
 خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ . ومن حلفائهم من بنى العجلان : عبد الله بن
 سلمة . ومن بنى معاوية بن مالك رجلاً ، وهما : سُبَيْعُ بْنُ حِاطِبٍ
 الْحَارِثُ ، ويقال : سُوَيْبِقُ بْنُ الْحَارِثِ ^(١) . ومالك بن مُثَمِّلَةَ ، حليف لهم من مُزَيْنَةَ ^(٢) .
 ومن بنى التجار ثم من بنى سواد بن مالك خمسة نفر ، وهم : عمرو بن قيس بن
 زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن
 مُثَلِّدٍ ، ومالك بن إياس . ومن بنى مبذول رجلاً ، وهما : أبو هُبَيْرَةَ بْنُ الْحَارِثِ ^(٣)
 ابن علقمة ، وعمرو بن مُطَرَفِ بْنِ عُلُقَمَةَ . ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار
 رجلاً ، وهما : أَوْسُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وهو أخو حسان ، وإياس بن عدى .
 ١٠ ومن بنى عدى بن النجار رجل واحد ، وهو : أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ ضَمْضَمِ بْنِ زَيْدِ
 ابْنِ حِرَامِ بْنِ جُنْدَبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، وقد تقدّم خبره . ومن بنى
 مازن بن النجار رجلاً ، وهما : قَيْسُ بْنُ مُثَلِّدٍ ، وَكَيْسَانُ عَبْدُ لَهُمْ . ومن بنى
 دينار بن النجار رجلاً ، وهما : سُلَيْمُ بْنُ الْحَارِثِ ، ونعمان بن عبد عمرو . ومن
 بنى الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم : خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ ، وسعد
 ١٥ ابن الربيع بن عمرو بن أبي زهير — حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ،
 أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك
 يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ^(٤) ، قال الأنصاري :
- (١) كذا في ابن هشام والاستيعاب وأسد القابة . وذكر في الإمامة : أن سوبيقاً هذا هو سبيع
 الذي تقدم ذكره . وفي الأصل : « سوبيق » وهو تحريف .
 (٢) كذا في ج . وفي أ : « ومن بنى النجار من بنى سويد » .
 (٣) في الاستيعاب : « مطرف أو معارف » .
 (٤) الرق : بقية الروح .

قالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت
 أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني
 السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً
 عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم :
 إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطريف . قال الأنصاري :
 ثم لم أبرح حتى مات ؛ فبحثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .
 وأوس بن الأرقم بن زيد . ومن بني الأبخير ، وهم بنو خُدرة ، ثلاثة نفر ،
 وهم : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبد [بن] الأبخير ، وهو أبو أبي سعيد
 الخُدري ، وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبخير ، وعُتبة بن ربيع
 ابن رافع بن معاوية . ومن بني ساعدة بن كعب بن الخارج رجلان ، وهما :
 ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ، وثقيف بن فروة بن البدى . ومن بني طريف ،
 رَهْط سعد بن عبادة رجلان ، وهما : عبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة
 حليف لهم من جُهينة . ومن بني عوف بن الخزرج خمسة نفر ، وهم : نوفل
 ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن فضلة ، ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجدّر
 ابن زياد ، حليف لهم من بلي ، وعبادة بن الحُساس . ومن بني الحبل ، رفاعة

(١) تطرف : تطيق أحد جفئها على الآخر .

(٢) الزيادة من ابن هشام ، وفي أسد الغابة والاستيعاب : « عبيد بن الأبخير » .

(٣) كذا في الأصول . وفي رواية للإصابة . وفي ابن هشام : « ثقف » . وفي الإصابة ،

وأسد الغابة ، والاستيعاب : « ثقب أو ثقيب » . وفي القاموس : « ثقف ، ثقب » .

(٤) في ١ ، ج : « بعمير بن مالك بن ثعلبة » . ولم نعرف في المراجع التي بأيدينا على هذا الاسم

من استشهد من المسلمين يوم أحد . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، رأس الغابة ، والإصابة ،

والاستيعاب .

ابن عمرو ، ومن بنى سَلَمَةَ^(١) ثم من بنى حرام أربعة نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو
ابن حرام ، وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ، وختلاد بن عمرو بن الجَمُوح ،
وأبو أيمن مولى عمرو بن الجَمُوح^(٢) . ومن بنى سَوَادَ بن غَمٍّ ثلاثة نفر ، وهم :
سُلَيْم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسهل بن قَيْس بن أبي كعب بن
القَيْن . ومن بنى زُرَيْق [بن عامر] رجلا ، وهما : ذَكْوَان بن عبد قَيْس ،
وعُبَيْد بن المعلَّى بن لَوْذَان . ومن بنى خَطْمَةَ من الأوس : الحارث بن عَدِي بن
تَرْثَةَ بن أمية . ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إِيَّاس .

ذِكْرُ تَسْحِيبَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا : من بنى عبد الدار بن قصي^(١)
أحد عشر رجلا — وهم أصحاب اللواء — طلحة بن أبي طلحة ، قتله علي بن أبي طالب ،
وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، ويقال : علي . وعثمان بن
أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله عاصم
ابن ثابت بسهم ، والجلَّاس بن طلحة ، قتله عاصم أيضا كما تقدَّم ، وكَلَّاب بن طلحة
والحارث بن طلحة ، قتلتهما قُزَيمان حليف لبني ظَمَر ، وأرطاة بن عبد بن شُرَحْبِيل
ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة ، ويقال : قتله علي ، وأبو زيد^(٢)
ابن عمير بن هاشم ، قتله قُزَيمان ، وصَوَّاب غلام لهم حبشي ، قتله قُزَيمان ، والقاسط

(١) في أ : « سَلَمَةَ » . (٢) في أ : « أبو يَمِينَ » .

(٣) في الأصول : « سَهْل » . والنصوب من سيرة ابن هشام . والاستيعاب ، وأسَدُ الغابة .

(٤) زيادة من سيرة ابن هشام . (٥) في الأصول : « عمر بن ذَكْوَان » . والنصوب من سيرة ابن هشام : والاستيعاب ، وأسَدُ الغابة والإصابة .

(٦) في أ : « سَلَمَةَ » . (٧) في أ : « نَمْع » .

(٨) كذا في الأصول . وفي ابن هشام : « أبو يَرِيد » .

ابن شريح بن هاشم ، قتله قزمان . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله
ابن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد : قتله علي بن أبي طالب . ومن بنى زهرة
ابن كلاب رجلان ، وهما . أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى — واسم
عبد العزى عمرو بن فضلة بن عبشان — حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة كما تقدم .
ومن بنى مخزوم أربعة نفر ، وهم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد
ابن العاص بن المغيرة ، قتله قزمان أيضا ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ،
قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم حليف لهم ، قتله قزمان . ومن بنى
بجمع رجلان ، وهما : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ،
وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبوا — وكان قد أسر يوم بدر ،
فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقه كما ذكرنا ، فقال : لا أكثر عليك جمعا ،
فلم يف ، وخرج يوم أحد مع المشركين فأسر ، ولم يؤسر يومئذ غيره ، فقال : من
علي يا محمد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ،
لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك ، تقول : سحرت جدا مرتين ، ثم أمر عاصم بن ثابت
ابن الأفلح فضرب عنقه — وأبى بن خلف بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده كما تقدم . ومن بنى عاصم بن لؤي رجلان ، وهما : عبيدة بن جابر
وشسبية بن مالك بن المضرب ، قتلها قزمان ، ويقال : قتل عبيدة بن جابر
عبد الله بن مسعود .

(١) في الطبقات : « سحرت بمحمد » .

(٢) كذا في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « عيد » .

(٣) في الأصول : « قتل عبيدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود » . وما أنشأه رواية ابن هشام .

قال محمد بن سعد في طبقاته : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من أحد فصلى المغرب بالمدينة ، وسميت عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون بما نبيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن . قال : وبكت الأنصار على قتلاهم ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء فبكى ، وقال : لكن حمزة لا يواكى له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين ، فقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يومئذ] عن النوح .

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بمدك جَلَلٌ ، رضي الله عنها .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت فاطمة - رضي الله عنها - تغسل جرحه ، وعلى يسكب الماء عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، عمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها ، وألصقت ذلك على الجرح فاستمسك الدم ، ولم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلا تلك

الليلة ، ثم أصبح فخرج في طلب العدو إلى حمراء الأسد ، على ما تذكره إن شاء الله .

ولتصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من القرآن في غزوة أحد ، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران ، أول ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التلي النيسابوري — رحمه الله — في تفسيره المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن : إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وذكروا ما قدمناه من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت للنصف من شوال ، وأنه صلى الله عليه وسلم جعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم الصدح ، إذا رأى صدرا خارجا قال : تأخر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فشلا ، أى تجبنا ونضعفا ونفثقا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما بنو سلمة بن الخزرج ، وبنو حارثة بن الأوس ،

(١) في ١ : « ما نزل » .

(٢) تبوي المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل .

(٣) في ١ : « ابن إسحاق » . وهو مخرف .

(٤) زيادة عن جـ .

وكانا جناحى السكر، وذلك أن عبدا لله بن [أبي بن سلول] لما انخزل بثلك الناس
 كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه : ﴿لَوْ تَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَةً كُمْ﴾ ؛ هم بنو سَلَمَةَ^(١)
 وبنو حَارِثَةَ بالانصراف معه ، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا ، ومضوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته ، فقال : ﴿وَاللَّهُ
 وَابِعُهُمَا﴾ أى : نصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكرهم الله
 مِثَّةً عليهم إذ نصرهم ببدر ، فقال : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى قوله :^(٢)
 ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَكِيمِ﴾ قوله : ﴿لَيَقْطَعَ طَرَقًا مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ . «لَيَقْطَعَ طَرَقًا» أى يهلك طائفة «أَوْ يَكْبِتُهُمْ»
 أى يهزمهم «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» أى لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم .
 قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ
 ظَالِمُونَ﴾ .

اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية ، فقال عبد الله بن مسعود : أراد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد ،
 وكان عثمان بن عفان منهم ، فنهاه الله تعالى عن ذلك ، وثابَّ عليهم ، وأنزل هذه
 الآية . وقال عكرمة ، وقتادة ، ومقسم : أدمى رجلٌ من هُذَيْلٍ يقال له : عبد الله
 ابن قنمة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فدعا عليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فكان حنقه أن سلط الله عليه نَيْسًا فنطحه حتى قتله ، وشجَّ عُنْبَةَ بن
 أبى وقاص رأسه وكسر رِجْلَيْهِ صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليه وقال : اللهم

(١) فى الأصل : «ابن سلام» . وهو خطأ ، إذ أن الذى انخزل بثلك الناس هو عبد الله بن أبى
 ابن سلول ، وهو الذى قدم ذكره ، وأما عبد الله بن سلام فهو برى . من ذلك . راجع تاريخه فى الاستيعاب
 ج ١ ص ٣٩٥ . (٢) فى ج : «ميت» . (٣) فى : «نصرهم الله» .

لَا يَحِلُّ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا ^(٢) [قَالَ : فَمَا حَالُ الْحَوْلِ حَتَّى مَاتَ كَافِرًا]
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ . وَقَالَ الرِّبِيعُ وَالْكَلْبِيُّ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحُدَ ، وَقَدْ تُخِّجُ فِي وَجْهِهِ وَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ،
فَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَلْعَنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَدْعُوَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
هَذِهِ الْآيَةَ ، لَعَلَّهُمْ فِيهِمْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) قِيلَ : أَمْثَالُ . وَقِيلَ : أُمَمٌ .
وَالسُّنَّةُ الْأُمَّةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلِ كَفَضْلِهِمْ * وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ
وَقِيلَ : أَهْلُ سُنَنِ ؛ وَقِيلَ : أَهْلُ شُرَائِعَ ؛ قَالَ : مَعْنَى الْآيَةِ : قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ
مَتَى فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبَةِ الْكَافِرَةِ سُنَنٌ بِإِمَائِهِمْ وَاسْتِدْرَاجِي إِيَّاهُمْ
حَتَّى بَلَغَ الْكِتَابُ فِيهِمْ أَجْلِي الَّذِي أَجَلَتْ — لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِ — وَأَهْلِكْتَهُمْ .
(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) أَيِ مِنْهُمْ ، فَأَنَا أَهْلُهُمْ
وَأَسْتَدْرِجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلِي الَّذِي أَجَلَتْ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ وَأَوْلِيَائِهِ
وَهَلَكَ أَعْدَائِهِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) قَالَ :
هَذِهِ الْآيَةُ تَعَزِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ يَوْمَ أَحُدَ ، وَحُثُّ مِنْهُ إِيَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْعَجْزِ

(١) كَذَا فِي أ ، ج . وَفِي الْكُتُبِ وَالْيَاقَانِ : « لَا يَحْوُلُ » . (٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ
لَمْ يَذْكُرْ فِي أ . (٣) سَافَتْ مِنْ ج . (٤) الْإِدَالَةُ : الْغَلَبَةُ وَالنُّصْرَةُ ؛ أَيِ غَلَبَةُ أَنْبِيَائِهِ
وَنُصْرَتِهِمْ ، كَمَا سَيُوضَحُ بَعْدَ فِي تَفْسِيرِ بَقِيَّةِ الْآيَةِ . وَفِي أ : « لَا ذَلَالَةَ » . وَفِي الْكُتُبِ وَالْيَاقَانِ لِلتَّعْلِيلِ :
« لَا ذَلَالَةَ » وَهِيَ مَحْزَنَةٌ . (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَافَتْ مِنْ ج .

والفشل، فقال تعالى : «وَلَا تَهِنُوا» أى لا تضعفوا ولا تَجبنوا من جهاد أعدائكم [بما نالكم يوم أحد من القتل والقرح . «وَلَا تَحْزَنُوا» على ظهور أعدائكم] ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» .

- قوله تعالى : «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» أى جرح يوم أحد فقد مَسَّ القوم جرح مثله يوم بدر . «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» يعنى إنما كانت هذه المدولة ليرى الله الذين آمنوا - يعنى منكم - ممن نافع، فيميز بعضهم من بعض . وقيل : المعنى «وليعلم الله الذين آمنوا» بأفعالهم موجودة كما عليها منهم قبل أن كلّفهم . «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» يُكْرِمُ أقواما بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا : أَرَأَيْتُمْ يَوْمَ كُيُومٍ بَدْرٍ تَقَاتَلْ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَتَلْمَسَ الشَّهَادَةَ . فَلَقُوا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَاتَّخَذَ اللَّهُ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ .

٤١
١٥

- قوله تعالى : «وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ» يعنى يطهر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ» يفنهم ويهلكهم وينقصهم . ثم عزاهم الله تعالى فقال : «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» .

قوله تعالى : «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَلْقَلْبُكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»

(١) ما بين القوسين سافط من أ .

(٢) فى أ : «والنصر» .

وذلك أنه لما قتل عبد الله بن قنعة مصعب بن عمير، وصرخ صارخ - يقال : هو إبليس، لعنه الله - ألا إن محمدا قد قُتل . وانهمز الناس، فقال بعض المسلمين : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي - فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان . وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم . وقال أناس من أهل النفاق : إن كان عهد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول . فقال أنس بن النضر : يا قوم، إن كان قد قُتل عهد فإن ربَّ عهد لم يقتل ، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه ، ثم قال : اللهم إني أعوذ إليك مما قال هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المنافقين - ثم قاتل حتى قُتل . ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانحدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار، فقالوا : يا نبي الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا أمانا انلجرب بأنك قُلت ففرَّجت قلوبنا فوليْنَا مدبرين . فأنزل الله تعالى : " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ " أى على فراشه " أَوْ قُتِلَ أَتُغَلِّبُهُمْ عَلَى أَغْفَابِكُمْ " أى رجعتهم إلى دينكم الأول الكفر " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا " أى يخرجهم من دينهم " وَلَمْ يَضُرَّهُ اللَّهُ شَيْئًا " بارتداده، وإنما يضر نفسه " وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " أى المؤمنين .

قوله تعالى : " وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ قَمًا وَهَؤُلَاءِ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ " قيل : الرثيئون الأئوف ^(٤) والرثة الواحدة عشرة آلاف . وقيل : الرثيئون العلماء والفقهاء . وقيل : الشئاع

(١) كذا في الأصول وابن هشام، والذي في المواهب اللدنية عن ابن إسحق : « ألقوا ما بأيديهم » .
(٢) في ج : « بقول » . (٣) في أ : « فرغت » . (٤) كذا في لسان العرب .
وفي الأصل : « الربة » . ولم نثر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى . وفي الفرطبي (٤ : ٢٣٠) عن أبيان بن ثعلب : « الربة عشرة آلاف » وعليه فرثيون جمع ربة .

وقيل : الربانيون الولاء ، والربيون الرعية . وقيل : الربيون الذين يعبدون الرب تعالى . قال : ومعنى الآية ، فاضعفوا عن الجهاد "لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لما نالهم من الحراح وقتل الأصحاب ، وما عجزوا بقتل نبيهم "وَمَا ضَعَفُوا وَمَا أَسْتَكْتَبُوا" قال قتادة والربيع : يعنى وما آرتدوا عن بصيرتهم ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى . قال السدى : وما ذلوا . وقال عطاء : وما تضرعوا . وقال مقاتل : وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا على أمر ربهم ، وطاعة نبيهم ، وجهاد عدوهم "وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [قال : معنى الآية ، "قَوْلُهُمْ" عند قتل نبيهم "إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا" يعنى خطايانا "وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا" لئلا نزول "وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"] .

قوله تعالى : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ يعنى النصر والغنية ﴿ وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الجنة ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِبَعُوا لَخَرَجُوا عَنْكُمْ أِيْدُنَا ﴾ قال على ، رضى الله عنه : يعنى المنافقين فى قولهم للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم ، وأدخلوا فى دينكم . ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى آعْقَابِكُمْ ﴾ أى ترجعوا على أول أمركم الشرك ﴿ فَتَقَابَلُوا ﴾ حاسرين أى فخصموا مغبونين ﴿ بَلَى اللَّهُ مُلَاكُمُ ﴾ أى ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ .

(١) وفى تفسير الطبرى عن قتادة والربيع : « نصرتهم » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ . (٣) فى أ : « بالجنة » .

قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال السدّي : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا ، وقالوا : بأس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب ، حتى رجعوا عما هموا به ، فانزل الله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بمعنى الخوف ﴿يَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أى حجة وبرهان وعذرا وبرهانا ، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم ، فقال : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ﴾ أى مقام الكافرين .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال محمـد بن كعب القرظي : لما رجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه إلى المدينة ، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ؟ [فأنزل الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أى الذى وعد بالنصر] والظفر ، وهو قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ الآية . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [للزّامة] : ﴿لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ فَلَن نَزَالَ غَالِبِينَ مَا بَيْتُكُمْ مَكَانَكُمْ﴾ وقوله [تعالى] : ﴿إِذْ تَحْسُرُكُمْ يُدْأِنُهُ﴾ أى تقتلونهم قتلا ذريعا شديدا ، وذلك عند هزيمتهم كما تقدّم . قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِيتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ﴾ « فُشِيتُمْ » : أى جبنتم وضعفتم « وَتَنَازَعْتُمْ » أى اختلفتم . وهو ما وقع بين الزّامة ، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدّم ، فكانت الهزيمة بسبب ذلك . قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحْيُونَ﴾

(١) ساقطة في ١ .

(٢) ساقطة من ج .

(٣) ما بين القومين ساقط من ١ .

(٤) ساقطة في ١ .

(٥) زيادة للإيضاح .

وهو الظفر والنعمة . قوله : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾^(١) يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ يعنى الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا . قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ أى ردكم عنهم بالهزيمة ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ أى فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ يعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هارين
﴿ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ . ثم رجع إلى الخطاب ، فقال : ﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَنْحَاءِ الْأَرْضِ ﴾^٥
قال يقال : أصدت إذا مضيت حبال وجهك ، وصعدت إذا ارتقيت في جبل
أو غيره ، والإصعاد : السير في مستوى الأرض و بطون الأودية والشعاب ،
والصعود : الارتفاع على الجبال وغيرها . وقال المبرد : أصد إذا أبعد في الذهاب .
قال الشاعر :

ألا أيهذا السائلي أين أصدت * فإن لها في أهل يثرب موعدا

وقال الفراء : الإصعاد الابتداء في كل سفر ، والانحدار الرجوع منه . وقوله :
﴿ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ يعنى ولا ترجون ولا تقيمون على أحد منكم ، ولا يلتفت
بعضكم إلى بعض هربا وفرارا ، قال الكلبي : « على أحد » يعنى محدا صلى الله عليه وسلم .
﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَنْحَاءِ الْأَرْضِ ﴾ يعنى في آخركم ومن ورائكم : إلى عباد الله ، إلى
عباد الله ، فانا رسول الله ، من يكره فله الجنة . ﴿ فَأَتَابَكُمْ ﴾ أى بخازاكم ، جعل الإجابة
بمعنى العقاب ، كقوله : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » ، معنى الآية : أى جعل مكان الثواب
الذى كنتم ترجون ﴿ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ قال الحسن : يعنى بغم المشركين يوم بدر . وقال
غيره : غم على غم . وقيل : غما متصلا بغم ، فالتم الأول^(٢) ما فاتهم من النعمة

(١) زيد في أ في هذا الموضع : « ومنكم من يريد الآخرة » .

(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس - وفي ديوانه : « أين يمست » .

(٣) في أ : « على ما فاتهم » .

والظفر، والغنم الثانى ما نالهم من القتل والمهزبة . وقيل : الغنم الأول ما أصابهم من القتل والجراح ، والغنم الثانى ما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فأنساهم الغنم الأول . وقيل : غير هذه الأقوال . والله أعلم . قوله تعالى : ﴿ لِكَلَّا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ أى من الفتح والغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ من القتل والمهزبة ؛ هذا أنساكم ذلك الغنم ، ومهكم ما أتم فيه عما كان قد أصابكم قبل . وقال المفضل : « لا » صلة . معناه : لكى تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم فى خلافكم إياه ، وترككم المركز ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

قوله : ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا يَفْغِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم ، والله أبى لأسمع قول معتب بن قشير والنماسة يغشاني ما أسمعهم إلا كالحلم يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف ، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام . وعن أنس عن أبي طلحة قال : رفعت رأسي

يوم أحد ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يمد تحت حجفته من الناس . قال أبو طلحة : وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه الناس يومئذ ، فكان السيف يسقط من يدي فأخذه ، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه من النوم . « وَطَائِفَةٌ » يعنى المنافقين [معتب بن قشير وأصحابه] « قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » أى حملتهم على الهم « يظنون بالله غير الحق » أى لا ينصر محمدا ، وقيل : ظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل . « ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ » أى كظن أهل الجاهلية والشرك « يَقُولُونَ هَلْ لَنَا » أى ما لنا ، لفظه استفهام ومعناه يتحد « مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » يعنى التصرف « قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض : لو كانت لنا عقول لم نخرج مع محمدا إلى قتال أهل مكة ، ولم يقتل رؤسائنا . فذلك قوله تعالى : « يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا » فقال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - قل لهم : « لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ » أى لخرج « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » أى مصارعهم « وَلَيَبْتَغِيَنَّ اللَّهُ » أى ليخبر الله « مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَحِّصَنَّ » أى يخرج ويظهر « مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » أى بما فى القلوب من خير أو شر .

قوله تعالى : « (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ) » أى انهزموا منكم يا معشر المؤمنين « (يَوْمَ اتَّخَذْتُمُ الْمُشْرِكِينَ) » أى

(١) الحجفة : الرس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب -

(٢) ساقطة من أ -

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ - وقال القرطبي : « وكانوا حريصا طمعا فى الغنيمة وخوف المؤمنين ، فلم يفتشهم الناس ، وجعلوا يتأسفون على المحذور ، ويقولون الأذى بل » .

(٤) كذا فى ج - وفى أ : « وشر » .

حملهم على الزلل . وقال الكلبي : زين لهم أعمالهم ﴿بِعِصْ مَا كَسَبُوا﴾ أى بشؤم ذنوبهم . قال المفسرون : بتركهم المركز . وقال الحسن : بما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة . ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ فى النفاق ، وقيل : فى النسب .
﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فاتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرًّا﴾ غُرًا فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ يعنى قولهم وظنهم ﴿حَسْرَةً﴾ وحرنا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ والحسرة : الاغتمام على فائت كان يقدر بلوغه^(٢) .
قال الشاعر :

فوا حسرتى لم أقض منك بُبَاتِي * ولم نتمتع بالبور وبالقرب^(٣)
ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله ، سبحانه ، لا يتقدمان اسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل : ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَأَن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أى فى العاقبة ﴿وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَحْمِلُونَ﴾ أى من الغنائم ﴿وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٤) أى فى العاقبة .

قوله تعالى : ﴿فَمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ﴾ أى مهلت لهم أخلاقك ، وكثرة احتمالك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ أى جافيا سني الخلق قليل الاحتمال . ﴿غَلِظَ آلُ قَلْبٍ﴾ قال الكلبي : فظا فى القول ، غليظ

(١) فى ١ ، ج : « والحسرة والاعتماد » وهو تحريف .

(٢) فى ١ : « يقدر على بلوغه » .

(٣) فى القرطبي : « أقض منها ... ولم أتمتع » .

القلب في الفعل **(لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ)** أى لتفرقوا عنك ، وأصل القَض الكسر ،
ومنه قولهم : لا يَقْضُ اللهَ فَالَك . قال أهل الإشارة في هذه الآية : منه العطاء
ومنه الشاء . **(فَاعْفُ عَنْهُمْ)** أى عَمَّا أَتَوْا يوم أحد **(وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ)** حتى أشفعك
فيهم **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)** أى استخرج آراءهم ، واعلم ما عندهم ، وهو مأخوذ
من قول العرب : شُرت الدابة وشورتها إذا استخرجت جريها ، وعلبت خبرها ،
قال : ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد ، ويدل عليه قراءة
ابن عباس **”وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ“** . قال الكلبي : يعنى فاطهرهم في لقاء العدو ،
ومكايذة الحرب عند الغزوة . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله :
”وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ“ قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال مقاتل وقتادة
والربيع : كانت سادات العرب إذا لم يُشاوروا في الأمر شق عليهم ، فأمر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم في الأمر ، فإن ذلك أعطف لهم عليه ، وأذهب
لأضغانهم ، وأطيب لأنفسهم ، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم . قال :
(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى لا على مشاورتهم . وقرأ جعفر الصادق ، وجابر
ابن زيد ، **”فَإِذَا عَزَمْتُ“** بضم التاء ، أى عزمتُ لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على
الله **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** .

قوله تعالى : **(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ)** أى ينعتم ويمنعكم من عدوكم **(فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)**
مثل يوم بدر **(وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ)** أى يترككم ولا ينصركم ، والخذلان القعود
عن النصر ، والإسلام للهلكة والمكروه ، قال : وقرأ عبيد بن عمير **”وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ“**
بضم الياء وكسر الذال ، أى يجعلكم خذولين ، ويجعلكم على الخذلان والتخاذل ،

(١) المعنى : أن الله تعالى هو الذى أعطى رسوله الرحمة ، وهو الذى مدحه بها . وفى تفسير التلوي :

« الباء » . (٢) الإسلام : من أسلمه إذا أقام في الهلكة .

كما فعلتم بأحد (فَنَ دَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى من بعد خذلانه (وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

قوله تعالى : (أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ) أى بأحد (قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلُهَا) بيدى ، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُد سبعين رجلا ، وقتل المسلمون منهم يوم بيدى سبعين ، وأسروا سبعين (فَلَمَّ أُنْزِلَ هَذَا) أى من أين لنا هذا القتل والهزيمة ، ونحن مسلمون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، والروح ينزل عليه ، وهم مشركون ؟ وقد تقدم في قصة أسارى بيدى خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم ، وبقتل منهم مثلهم في العام القابل ، واختيارهم الفداء ، وذلك قوله : (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل ، (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

قوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) أى : أحد من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة (فَيَذَنُ اللَّهُ) أى بقضائه وقدره وعلمه (وَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا) أى ليعز ، وقيل : ليرى . وقيل : لعلموا أنهم أن الله قد علم تفاقمهم ، وأنهم لم [تكونوا] تعلمون ذلك . (وَقِيلَ لَهُمْ تَدَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لأجل دين الله وطاعته (أَوْ آذَقُوا) أى عن أهلكم وبلدكم وحريمكم ، وقيل : أى كثروا سراد المسلمين ورباطوا إن لم تقاتلوا ، ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ) وهو قول عبد الله بن أبى وأصحابه الذين أنصرفوا معه ، كما تقدم من خبرهم عند اتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع . قال الله تعالى : (هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَقُولُ أَهْلِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر ، فبين الله تعالى تفاقمهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) .

قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) قيل : في النسب لا في الدين ،
 وهم شهداء أحد . (وَقَعِدُوا) يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد (لَوْ أَطَاعُونَا)
 وأنصرفوا عن عهد ، وقعدوا في بيوتهم (مَا قَاتَلُوا) قال تعالى : (قُلْ) لهم يا محمد
 (قَادِرُونَ) أي فادعوا (عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أن الحذر لا ينفى
 عن التندر .

قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
 خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم يوم أُحُد جعل الله أرواحهم
 في أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح من الجنة
 حيث شاءت ، وتأوى إلى فتاديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقلبهم
 ومطعمهم ومشرهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : يا ليت قومنا
 يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وما صنع الله عز وجل بنا ، كي يرغبوا في الجهاد
 ولا ينگلوا عنه . فقال عز وجل : أنا نخبر عنكم ومبلغ إخوانكم . ففرحوا بذلك
 واستبشروا ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » الآية ،
 [إلى] قوله « أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقال قتادة والربيع : ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، قالوا : بالينا تعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

- (١) في ج : « طبر » . (٢) في ج : « قال الله » .
 (٣) ساقطة من أ . (٤) في ج : « من أصحاب النبي » .

وعن مسروق قال : سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ، فقال : جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، وتأوى إلى فتاديل معلقة بالعرش ، فأطلع الله عز وجل إليهم أطلاعة فقال : هل تستهون شيئا فآزيدكموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا تسرح في الجنة في أيها شئنا ؟ ثم أطلع إليهم الثانية ، فقال : هل تستهون من شيء فآزيدكموه ؟ فقالوا : ربنا ، ألسنا تسرح في الجنة في أيها شئنا ؟ ثم أطلع إليهم الثالثة ، فقال : هل تستهون من شيء فآزيدكموه ؟ فقالوا : ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نحب أن تعيدنا أحياء ، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك ، فنقتل مرة أخرى فيك ؟ قال : لا ؟ قالوا : فتقرئ نبينا منا السلام ، وتجبره بأن قد رضىنا ، ورضى عنا ؟ فأنزل الله ، عز وجل هذه الآية .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قُتل أبي يوم أحد ، وترك علي بنات ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى يا رسول الله ^(١) ؟ قال : إن أبالك حيث أصيب بأحد أحياء الله تعالى وكلمه كفاحا ^(٢) ، فقال : يا عبد الله سأتى ما شئت ؟ فقال : أسألك أن تعيدنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا ، فقال : يا عبد الله ، إنى قضيت ألا أعيد إلى الدنيا خليفة قبضتها ؟ قال : يا رب ، فمن يبلغ قومى ما أنا فيه من الكرامة ؟ قال الله تعالى : أنا ، فأنزله تعالى هذه الآية .

وقد روى أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معونة ، وقيل : في شهداء بدر . والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد ، والله أعلم .

(١) في ج : « يا بني الله » .

(٢) كفاحا : مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول .

ذكر غزوة حمراء الأسد^(١)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند متصرفه من أحد، قال ابن سعد :
لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجرة . وقال ابن إسحاق :
كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال . وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم
في غزوة أحد .

- قال ابن سعد وغيره : لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد
مساء يوم السبت بات تلك الليلة على باب ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون
يذاون جراحاتهم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد أمر
بلا لا أن ينادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب عدوكم ، ولا يخرج
معنا إلا من شهد القتال بالأمس . فقال جابر بن عبد الله : إن أبي خلفني يوم أحد
على أخوات لي ، فلم أشهد الحرب ، فأذن لي أسير معك^(٢) ، فأذن له ، فلم يخرج معه
أحد ممن لم يشهد أحدا غيره . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه ، وهو معقود
لم يحل ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق
رضى الله عنه . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مجروح ، وحشد أهل^(٣)
العوالي حيث أتاهم الصريح ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج الناس
معه ، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم ، فلتحق أثنان منهم القوم
بحمراء الأسد — وهى من المدينة على عشرة أميال — وهم ياتمرون بالرجوع ،

(١) كذا ضبط في الأصل ، والقاموس ، والطبري ، وطبقات ابن سعد . وفي معجم البلدان :

« حمراء الأسد » بضم الهمزة وسكون السين . (٢) في طبقات ابن سعد : « أن أسير » .

(٣) في ج : « وخرج صلى الله عليه وسلم ... » . (٤) حشد أهل العوالي : أجازوا مسرعين .

وصفوان بن أمية ينههم عن ذلك، فبصروا بالرجلين، فقطعوا عليهما قنطاريهما، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكر بجمرات الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى عدوهم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليل، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم .

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : إن رجلا من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي، وقال لي : أنفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما لنا دابة نركبها، وما لنا إلا جرح ثقیل، فخرجنا مع رسول الله وكانت أيسر جرحا من أخي، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشي عقبة، حتى اتهمنا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال : وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ هم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمرات الأسد، على ما بهم من ألم الجراح، إلى قوله : ﴿ فَاتَّقَلَّبُوا فِي نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ .

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قطن — وهو جبل بناحية قيد، به ماء

لبنى [أسد بن] خزيمة — في هلال الحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من مهاجرة .

(١) عقبة : نوبة . (٢) ساقطة في ١ .

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم، أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث أبا سلمة وعقده لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إيلًا وشاء^(١)، ولم يلقوا كيدا، فاختدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة .

٥ ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، تفرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وذلك أنه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، أن سفيان بن خالد بن تميم^(٢) الهذلي ثم النخعي — هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته .

- ١٠ وقال ابن إسحاق : خالد بن سفيان بن تميم قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه . وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . قاله ابن سعد . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال قال عبد الله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان الهذلي جمع الناس ليغزوني وهو بخلة أو بعرة^(٣) فأتته فافترسه . فقلت يا رسول الله أتعته لى حتى أعرفه؟ قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه

(١) شاء : جمع شاء، والكيد : الحرب .

(٢) في ١ : « خالد تميم » .

(٣) في ٢ : « إن » .

(٤) في ١ : « أبا سفيان » .

(٥) عرة : قال في المراهب الدنية : موضع قرب عرة، أو قرية بوادي عرة .

أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعِيرَةً . قال : فخرجت مُتَوَشِّحًا بِسِيفِي ، حَتَّى دُفِعْتُ
 [لِيهِ ^(١)] وهو في طَعْنٍ يَرُدُّهُنْ مِنْ مَنَازِلَا ، وذلك وقت العصر ، فلما رأيته وجدت له
 ما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه
 مجاورة تشغلي عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أُمِّيُّ برَأْسِي ، فلما انتهيت ^(٢)
 إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل
 بخاءك لذلك . قال : أجل ، أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئًا حتى إذا أمكني
 حملت عليه بالسيف ففتنته ، ثم خرجت وتركته طعائنه مُنْجَبَاتٍ عليه ، فلما قدمت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفلح الوجه ؟ قلت : قد قتلته ؛ قال صدقت .
 ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك . قال :
 فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه ؟ قلت : أعطينيها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي ؛ فقالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لِمَ ذاك ؟
 قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بيني ^(٣)
 وبينك يوم القيامة ، إن أَوَّلَ الناس المتخضرون يومئذٍ ، قال : ففَرَّهَا عبد الله
 ابن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فُضِّمَتْ في كفتيه ،
 ثم دُفِنَا جَمِيعَا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تَرَكْتُ ابنَ نَورٍ كالحَوَارِ وَحَوْلَهُ * نَوَاحٍ تَقْرَى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدٍ ^(٤)
 تَنَاطَلَتْهُ وَالظُّنُنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ * أَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٍ ^(٥)

(١) ساقطة في أ . (٢) في أ : « مجادلة » .

(٣) المتخضرون : المتوكلون على المخاض ، وهي العصي ، واحداًها مخصرة .

(٤) الحوار : وله الناقة إذا كان صغيراً . تقرى : تقطع .

(٥) أبيض : سيف . مهتد : مطبوع من حديد المهتد .

- عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهُ • شِهَابٌ غَضَى مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ ^(١)
أَقُولُ لَهُ وَالسِّيفُ بِعِجْمِ رَأْسِهِ • أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فَارَسَا غَيْرَ قُعْدَدٍ ^(٢)
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُتَزَلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ • رَجِيبُ فِنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مَرْنَدٍ ^(٣)
قَقْلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ • حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ^(٤)
وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ • سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللَّسَاتِ وَبِالْيَدِ

ذِكْرُ سَرِيَةِ الْمُتَنَذِرِ بْنِ عَمْرِو السَّاعِدِيِّ إِلَى بَرِّ مَعُونَةٍ

٤٧
١٥

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من مهاجرة .

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براء ملاعب الأُسنة ^(٥) الكلابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهدى له فلم يقبل منه ، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم ، ولم يبعد ^(٦) ، وقال : لو بعثت معي فقرأ من أحسابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك . قال : أخاف عليهم أهل نجد ؛ قال : أنا لهم جار . فبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من الأنصار شبيبة يسمون القُرَاء ، وأمر ^(٧)

(١) مجرم : عضوض . الهام : الرموس . الشهاب : القطعة من النار . القضي : شجر خشبه من أجود الوفود . (٢) القعدد : الجبان التميمي القاعد عن المكارم . (٣) المزند : الضيق البخل . (٤) الحنيف : الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .

ملاحظة : زيد في إبد الأبيات : « والله ولي المتقين وهو خير الناسرين » .
(٥) الأُسنة : جمع سنان وهو فصل الرمح . وسى ملاعب الأُسنة لأن أخاء ققبلا الذي كان يقال له : فارس قرزل ، أسله وفرق يوم سويان ، وهو يوم كان بين قيس ونعيم ، فقال شاعر :
فرزت وأسلت ابن أمك عامرا • يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
فسمى ملاعب الرماح ، وملاعب الأُسنة .

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أقبل هدية مشرك . (٧) في رواية لابن هشام : « ولم يبعد من الإسلام » . (٨) رواية ابن إسحاق آربون ، والصحيح ما هنا كما قال السبيل ، وهي رواية البخاري ومسلم . وشيبة : شيان . (٩) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم . وفي شرح المواهب : أنهم كانوا يصلون بعض الليل ، ويدرسون بعضه ، ويحتابون ، ويديمون بعضه يشتركون به طعاما لأهل الصفة والفقراء ، وبعضه يأتون به الجبر الشريفة .

عليهم المنذر بن عمرو ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهي بين أرض بني عامر
وحرة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرة بني سليم أقرب — فلما
نزلوها سرحوا ظهرهم ، وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
إلى عامر بن الطفيل ، فوثب على حرام فقتله ، واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا ،
وقالوا : لا تخف جوار أبي براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم ، عَصِيَّة وِرْعَلَا
وَذَكْوَان ، فنفروا معه . واستبطا المسلمون حراما ، فأقبلوا في أثره ، فلقبهم القوم
فأحاطوا بهم ، وكاثروهم فاقْتَلَوْا ، فقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وفيههم سليم بن ملحان ، والحكم بن كيسان .

قال ابن إسحاق : فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار
فإنهم تركوه ، وبه رمق بين القتل ، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق . قال : وكان
في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار — قال ابن هشام : هو
المنذر بن محمد بن عُبَيْة بن أُحَيْحَةَ بن الجُلَاح — فلم يَبْثِمَها بمصاب أصحابهما
إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لَشَانًا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا
القوم في دماثهم ، والخيال التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية :
ما ترى ؟ قال : أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، قال
الأنصاري : ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو ، ثم
قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذ عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه
عامر بن الطفيل ، وجر ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

(١) لا تخف : أى لا تنقض . (٢) كاثروهم : كانوا أكثر منهم .

(٣) في ١ : « لهذا » . (٤) في ١ : « أخيره » .

نفرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة ^(١) من صدر قناة ^(٢) أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه ، وكان معهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلم به عمرو ، فأمهلهما حتى إذا فاما عدا عليهما قتلتهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أثبت من بينهم ! ثم أخبره بقتل العاصرين ، فقال : « بئس ما صنعت ، قد كان لهما مني أمان وجوار ، لآذيتنهما ! وبعث بديتهما إلى قومهما ، وقتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الصبح بدعو على رجلي وذئبان وعصبة وبني الحيان .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : فرأنا بهم قرآنا زمانا ، ثم إن ذلك رفع أو نسي : « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » . وقال أنس ابن مالك : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة .

قال ابن سعد : وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصاب خيب بن عدي ومن معه ، فدعا رسول

(١) هي قرقرة الكدر ، قال الواقدي : موضع بياحية المدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : ماء لبني سليم . (راجع معجم البلدان في كدر) .

(٢) قناة : واد ياتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر .

(٣) قال السهيلي : « ثبت هذا في الصحيح ، وليس عليه وثق الإعجاز ، فيقال : إنه لم يزل بهذا

النظم ، ولكن ينظم معجز كنظم القرآن » .

(٤) وجد : حزن .

الله صلى الله عليه وسلم على قتلهم بعد الزكاة من الصبح ، فقال : « اللهم اشدّد وطأتك على مضر ، اللهم سنين كِسِي يوسف ، اللهم عليك بنى لحيان وعَصَل والقارة وزَعَب ورِعَل وذُكُوان وعُصَيّة ، فإنهم عصّوا الله ورسوله » .

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس سنة وثلاثين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رهط من عَصَل والقارة ، وهم إلى الهُؤُون بن ثُرَيْمَة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا قرا [من أصحابك] يفقهونا ويقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأظفح ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخُيَيب بن عدي^(٢) ، وزيد بن الدثنة^(٣) ، وخالد بن البكير^(٤) اللبني ، وعبد الله بن طارقي ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأتمه . وأمر عليهم عاصما ، وقيل : مرثدا ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع — وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز — غدروا [بهم] واستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم ، وهم في رحا لهم

(١) قال في المواهب اللدنية : « ذكر صاحب شرف المصطفى أنه صلى الله عليه وسلم لما أسبب أهل بئر معونة جاءت الحى إليه ، فقال لها : اذهبي إلى رِعَل وذُكُوان وعصية ، عصت الله ورسوله ، فأنتم ، فقتلت منهم سبعمائة رجل ، بكل رجل من المسلمين عشرة » .

(٢) ماقظة في ١ . (٣) ضبط في المواهب اللدنية : بفتح الدال وكسر التاء . مع فتح النون المشددة . وزاد البرهان : وقد تسكن التاء . وضبطه صاحب القاموس ، بكسر التاء . مع فتح النون المخففة .

(٤) كذا في الطبري ، والإصابة ، وأسد الغابة والاحتجاب . وفي الأصل : « أبي بكر » .

وفي الطبقات : « أبي البكير » . ووجهنا ما دوناه لأن المؤلف ذكره في موضع آخر من هذه الغزوة موافقا لما أنبأناه . (٥) هو عبد الله بن طارق كافي الطبقات . (٦) ماقظة في ١ .

- إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا ، فقالوا :
 إنا ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله
 وميثاقه ألا نقتلكم . فاما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ،
 ومعتب بن عبيد ، فقالوا : والله لا قبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا . وقاتلوا
 حتى قُتلوا ، رضى الله عنهم . وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ،
 فرغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعوهم بها ،
 حتى إذا كانوا بمر الظهران اترع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه
 واستأخر عنه القوم ، فرموه بالجحارة حتى قتلوه ، وقبر هناك . وأما خبيب بن عدى
 وزيد بن الدثنة فقددوا بهما مكة ، فأباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا
 بمكة ، فابتاع خبيبا بجير بن أبي إهاب التيمي ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث
 ابن عامر بن نوفل ليقبله بأبيه . وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ،
 ليقبله بأبيه أمية بن خلف ، وبمنه مع مولى له يقال له : نسطاس ، إلى التميم ،
 فأخرجوه من الحرم ليقبله ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن
 حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقبل : أئشذك الله يا زيد ، أئحب أن يمجا
 عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنتك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن يمجا

(١) مر الظهران : الظهران ؟ واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا
 الوادى ، فيقال : مر الظهران . (معجم البلدان) - (٢) القرآن : الحبل الذى يشده الأسيران .
 (٣) أباعوهما : عرضوهما للبيع - (٤) كذا فى الأصل ، وفى رواية للإصابة فى الحديث عن
 مازبة مولاته . وفى طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والإصابة ، وأسد الغابة ،
 والطبرى : « بجير » .

(٥) التميم : موضع بمكة فى الحسل ، وهو بين مكة ومرف على فرسخين من مكة .

(٦) فى ج : « الآن عندنا » .

الآن في مكانه الذي هو فيه تصبیه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلى . فقال أبو سفيان :
 ما رأيت من الناس أحدا يجب أحدا كحب أصحاب عهد مجدا ؛ ثم قتله نسطاس .
 وأما خبيب بن عدى فروى عن ^(١٢) ماوية مولاة حُجْر بن أبى إهاب ، وكانت قد
 أسلمت ، قالت : كان خبيب قد حبس في بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما وإن
 في يده ليقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً
 يؤكل ، قالت : وقال لى حين حضره القتل : ابشى إلى بحديدة أنظهر بها للقتل ؛
 فأعطيت غلاماً من الحى الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ؛ قالت :
 فوالله ما هو إلا أن قد وثى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ما صنعت ! أصاب والله الرجل
 ثأره بقتل ^(٢٣) هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده
 ثم قال : لعمرى ، ما خفت أمك غدركى حتى بعثك بهذه الحديدة ! ثم خلى سبيله ^(٢٤) .
 ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال : إن
 رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ركعتين . [فركع ^(٥)
 ركعتين] أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى
 إنما طوّلت جزءاً من القتل لاستكثر من الصلاة . فكان خبيب أول من سق
 هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبته ، فلما أوثقوه ، قال :

(١) كذا فى الأصول . وفى روايات كثيرة : « مارية » -

(٢) فى ١ : « قتل » . (٣) فى ١ : « سبيلها » .

(٤) فى ١ : « أصل » . (٥) ما بين القوسين ساقط من ١ .

(١) اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُصنع بناءً ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، وافلتهم بداً ، ولا تغادر منهم أحداً^(٢) . ثم قتلوه ، رحمه الله ورضى عنه .
قال ابن هشام^(٤) : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .
وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب^(٥) :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا * قاتلهم واستجمعوا كل مجمع^(٦)
وقد قزبوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل تمتع^(٧)
وكلهم يمدى العداوة جاهداً * على لآني في وثاق بمضجع^(٨)
إلى الله أشكو غربي بعد كربتي * وما جمع الأحزاب لي عند مضرعي
فذا العرش صبرني على ما أصابني * فقد بضعوا الحمي وقضل مطمعي^(٩)

٤٩
١٥

- ١٠ (١) أحصهم عدداً : أى أهلكهم واستأملهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد .
(٢) بداً : قال ابن الأثير : يروى بكسر الباء جمع بدة ، وهى الحصة والصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويرى بالفتح ، أى منفردين فى القتل واحد بعد واحد من التبديد . وفى الأصول : « مددا » . وهو تحريف .
(٣) قال فى الروض الأنف : « فإن قيل : هل أجبت فيهم دعوة خبيب ؟ قلنا : أصابت منهم من سبق فى علم الله أن يموت كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يمت خبيب بدعائه ، ومن قتل منهم بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بداً ، غير معكرين ولا مجتمعين ، فغذت الدعوة على صورتها ، وفيها أراد خبيب رحمه الله . »
(٤) فى أ : « قال هشام » .
(٥) قال ابن هشام : « بعض أهل العلم بالشعر يركها له » .
(٦) ألبوا : جمعوا وحضوا .
(٧) فى ابن هشام : « جمعوا » . وقد ذكر هذا البيت بعد البيت الذى يليه .
(٨) ويرى البيت :
وكلهم يمدى العداوة جاهد * على لآني فى وثاق مضجع
(٩) بضوا : قتلوا . وفى سيرة ابن هشام : « بأس مطمعي » .
- ٢٠

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ * يبارك على أوصالِ شِلْوِ مُنْزَع^(١)
وقد عَرَضُوا بالكفر والموتِ دونه * وقد ذَرَفَتْ عَيْنَايَ من غيرِ مَدْمَع^(٢)
وما بي حِذَارُ الموتِ ، إِنِّي لَمِيتٌ * ولكن حِذَارِي حُرْنَارٍ تَلْفَع^(٣)
فلست بمبيدٍ للعدوِّ تَحْشَمَا * ولا بَرَّعَا إِنِّي إلى الله مَرِجِي
ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلما * على أى حال كان في الله مضجعي
وفي رواية ابن شهاب :

• على أى جنب كان في الله مصرعي •

قالوا : وُصِّلَ بالتَّعْنِيمِ ، وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحارث ، وأبو هيرة العدوي^(٤) .

ذكر غزوة بني النضير

غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، سنة أربع ، على رأس
سبعة وثلاثين شهرا من مهاجرة .

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد ، ومحمد بن إسحاق ،
وعبد الملك بن هشام ، دخل حديث بعضهم في بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العامريين اللذين قتلهما
عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك بما أحببت . وكان
(١) أوصال : أعضاء . شلو : جسد .

(٢) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام ، وفي المراهب اللدنية كما يأتي :

وقد خيروني الكفر والموت دونه * وقد همت عيناى من غير مجزع

(٣) كذا في الأصول ، وعليه نهى تنفع يحذف إحدى التامين أى تشتل ؛ يقال : تلفع بالثوب

إذا اشتل به . وفي ابن هشام والمراهب : « هم تار ملقع » . والحج : الملقب ، ومنه الحجم .

(٤) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء غيب ص ١٨٦ ج ٣ من سيرة ابن هشام طبع الحلبي .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، وهو في نفر
 من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، رضوان الله عليهم ، فخلا بعض
 بنى النصير إلى بعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل ^(١)
 يعلو هذا البيت ، فيأق عليه صخرة فيرميها منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن حشاش ^(٢)
 ابن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ؛ فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله
 ليُخبرن بما همتم به ، وإنه لتنقض للعهد الذي بيننا وبينه . وجاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انخبر من السماء بما أراد القوم ، فنهض مسرعا كأنه يريد الحاجة ^(٣)
 فتوجه إلى المدينة ، فلما أبطل على أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة
 فسألوه عنه صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيته قد دخل المدينة . فأقبل أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوه ، فقالوا : يا رسول الله ، قت ولم نشعر .
 قال : همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقممت . ثم بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إليهم محمد بن مسلمة : « أن اخرجوا من بلدي فلا تسكنوني بها ، وقد
 هممت بما هممت به من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا [أى من الأيام]^(٤) فمن رنى بعد
 ذلك ضربت عنقه » . فكنوا أيا ما يتجهزون ، وأرسلوا إلى ظهروهم بنى الجذر ^(٥)
 وتكاثروا إبلا من ناس من أشجع ، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي : أن أقيموا
 في حصونكم ، ولا تخرجوا من دياركم ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب
 يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم ، وتعدكم قريظة وحلفاؤكم من
 غطفان . ووافقه على ذلك ودبة بن مالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، وقالوا

(١) في أ : « دخل » وهو تحريف . (٢) ضبط بكسر الجيم وتخفيف الحاء . في الطبري ، وطبقات
 ابن سعد ، وابن هشام . وضبط في المواهب اللدنية بفتح الجيم وتشديد الحاء . (٣) في أ : « فرأوا » .
 (٤) هذا التفسير غير موجود في ج . (٥) ذو جدر : مسرح على ستة أيام من المدينة بتاحية قباء .
 (٦) كذا في الأصل ، وفي المواهب والروض الأنف . وفي الطبري : « وودبة وملك بن أبي قوقل » .

لم : إن قوتكم نصرناكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ؛ فقطع حُيَّ بن أخطب فيما قال ابن أبي ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر المسلمون لتكبيره ، وقال : حاربت يهود . واستخلف على المدينة ابن أُم مكتوم ، وسار في أصحابه ، وعلى بن أبي طالب يحمل لواءه ، فصلى العصر بفناء بني النضير ، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم ، وقاموا عليها معهم النبل والمجارة ، وأعتلتهم قريظة فلم تُعنهم ، وخذلم عبد الله بن أبي ومن واقفه فلم ينصروهم ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست ليال ، ثم أمر بقطع النخل وتحريقها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ! وكان الله عز وجل أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقالوا : نخرج من بلادك . فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دِماؤكم وما حلت الإبل إلا الحلقة ^(١) . فترلوا على ذلك .

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوما ، وولى إخراجهم محمد بن مسلمة ، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعائة بعير ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف ^(٢) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وكانه بن الربيع ابن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش . وحزن المنافقون ^(٣) [عليهم] حزنا شديدا ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة نحسين

(١) الحلقة : الدروع ، وقبل السلاح كله ، وهو المراد هنا .

(٢) التجاف : التوبة . (٣) ساقطة من أ .

درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صفياء^(١)
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خالصة له حبساً لنوابه^(٢)، لم يتخسها ولم يُسهم منها
 لأحد، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه، ووسع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله،
 صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر [الصدِّيق]^(٣) رضى الله عنه، أعطاه بئر حجر،
 وعمر بن الخطاب بئر جرم،^(٤) وعبد الرحمن بن عوف سائلة، وصُهيب بن سنان^(٥)
 الصراطة، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة^(٦)، وسهل بن حنيف
 وأبو دُجانة مالا، يقال له : مال آبن خرشة . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .
 قال : ولما أجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير، قال : امضوا فإن
 هذا أول الحذر وإنما على الأثر .

وأُتزل الله عز وجل في بنى النضير سورة «الحشر» بكلفها .

يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ
 وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ .

(١) صفيا : أى غنائة . (٢) حبسا : وقفا . (٣) ساقطة فى أ .

(٤) كذا فى أ ، والطبقات . وفى ج : « حرم » .

(٥) كذا فى ج . وفى أ : « المراهة » . وفى الطبقات : « الصراطة » .

(٦) البؤيلة : مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد نبأ . إلى جهة الغرب . و يقال

لها أيضا : « البؤيرة » . شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٩٩

وقال صاحب معجم البلدان ، فى « النضير » : « لم أر أحدا من أهل السيرة ذكر أسماء منازل
 بنى النضير فبحثت فوجدت منازل التى غزاها النبي صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادى بطحان والبؤيرة » .

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التليسي بوري، رحمه الله :
 « أهل الكتاب » بنو النضير ^(١) « مِنْ دِيَارِهِمْ » التي كانت بينرب « لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »
 قال الزمهرى : كانوا من سبط لم يصبههم جلاء فيما مضى ، وكان الله عز وجل قد
 كتب عليهم الجلاء ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، قال : وكانوا أول حشر
 في الدنيا حشر إلى الشام . وقال الكلبي : إنما قال : « لِأَوَّلِ الْحَشْرِ » لأنهم أول
 من حُشر من أهل الكتاب ، ونفوا من الحجاز . وقال مرة المحدثان : كان هذا أول
 الحشر من المدينة ، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات
 وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى يديه . وقال قتادة :
 كان هذا أول الحشر ، والحشر الثاني : نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ،
 تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف .
 « مَا ظَنَنْتُمْ » أيها المؤمنون « أَنْ يَخْرُجُوا » من المدينة « وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَا وَعَدَهُمْ حُصُونُهُمْ
 مِنْ اللَّهِ » حيث دبروها وحصنوها « فَأَنَّهُمْ اللَّهُ » أى أمر الله وعذابه « [مِنْ]
 حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » قيل : بقتل سيدهم كعب بن الأشرف .
 « يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ » قال ابن إسحاق : وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُفٍ
 أبوابهم . وقال ابن زيد : كانوا يقتلعون العمدة ، وينقضون السقوف وينقبون
 الجدران ويقلعون الخشب ، حتى الأوتاد ، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسدا
 منهم وبغضا . وقال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدهوها
 لتتسع لهم المقاتل ، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أديارهم فيخرجون إلى التي

(١) السبط : ولد الولد . والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب .

(٢) كذا في الأصول ، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي : « وكان أول حشر حشروا في الدنيا

إلى الشام » . (٣) كذا في الأصول ، ومعجم البلدان . وفي القاموس : « أريحا » كزليخاء وكربلاء .

(٤) ساقطة من أ . (٥) في أ : « الاختباء » . (٦) في أ : « دارهم » .

بمدها ، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها ، ويرمون بالتي تخرجوا منها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من باطنها ، فذلك قوله عز وجل :
 ”يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ“ .

ثم قال تعالى : (وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الآية . ”الجلَاءُ“ عن الوطن
 ”لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا“ بالقتل وبالسبي كما فعل بنو قريظة ”وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 النَّارِ“ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ“ .

فوله تعالى : (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ
 وَلِيُخْرِجَ الْأَعْمَى) قال ابن إسحاق : اللينة : ما خالف المعجوة من النخل . وقال
 ابن هشام : ما لم تكن برنية ولا معجوة . وقال عكرمة وزيد بن رومان وقاتدة : النخل
 كله لينة ما خلا المعجوة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، اللينة : النخلة والشجرة .
 وقال سفيان : هي كرام النخل . وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وقال
 مقاتل : هو ضرب من النخل ، يقال لثمرها : اللون ، وهو شديد الصفرة ، يرى
 نواه من خارج ، بغيث فيه الضرس ، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم ، وكانت
 النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف^(٥) ، وأحب إليهم من وصيف ، فلما رأوا ذلك يقطع
 شق عليهم . قال : وجمع اللينة لين . وقيل : لِيَان^(٦) .

(١) في ج : « والسبي » .

(٢) « شاتوا الله » : أى عادوه وخالفوا أمره .

(٣) البرنية : واحدة البرق ، وهو ضرب من الثمر أصفر مدور ، وهو أجود الثمر .

(٤) كذا في الأصول . وفي المواهب اللدنية ، والقرطبي « ثمرها » .

(٥) الوصف : البدر والخادم .

(٦) في الأصل : « لِيَان » . وفي لسان العرب : جمع اللينة : لين ولون ولبان .

قال الثعلبي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، وتحصنوا في حصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فخرج أعداء الله عند ذلك وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفن الصلاح قطع النخيل ، وعقر الشجر ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فسادا ، واختلف المسلمون في ذلك ، فقال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما أفاء الله علينا . وقال بعضهم : بل تعبطهم بقطعها . فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعها ، وتحليل من قطع من الإثم ، وأخبر أن قطعها وتركه بإذنه تعالى .

وفي قطع نخيل بنى النضير يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبؤيرة مستطير

وقوله تعالى : « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » أى وليذل اليهود ويخزيهم ويفظهم .
قوله تعالى : (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) « أَفَاءَ اللَّهِ » أى ردَّ على رسوله ورجع إليه ، ومنه في الظل [مِنْهُمْ] أى من بنى النضير من الأموال « فَمَا أَوْجَفْتُمْ » أَوْضَعْتُمْ « عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ » وهى الإبل ، يقول : لم تقطعوا إليها شقة ، ولم تتالوا فيها مشقة ، ولم تكلفوا مؤنة ، ولم تلقوا حربا . وإنما كانت بالمدينة فشوا إليها مشيا ، ولم يركبوا خيلا ولا إبلا إلا النسي

(١) في أ : « بكن » .

(٢) ساقطة من أ ، ج .

(٣) أوضعتم : أمرعتم .

(٤) المؤنة : القوت .

صلى الله عليه وسلم ، فإنه ركب جملاً فافتتحها صلحاً ، وأجلهم عنها ونحن أموالهم
 نسأل المسامون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة ، فأنزل الله عز وجل الآية ،
 بفعل أموال بنى النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث يشاء ،
 فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا
 ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دُجَانَه سِمَاك بن خَرْشَة ، وسهل بن حنيف ،
 والحارث بن الصَّمَّة . قال : ولم يُسلم من بنى النضير إلا رجلان ، أحدهما سفيان
 ابن عمير بن وهب ، والثاني سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما ، روى
 عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن أموال بنى النضير مما أفاء الله على
 رسوله مما لم يوجب المسامون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم خالصة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينفق على أهله منه نفقة
 سنته ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح ^(١) عُدَّة في سبيل الله .

قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ
 الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : القرى هى قريظة والنضير ، وهما بالمدينة ، وقدك ، وهى من المدينة
 على ثلاثة أميال ، وخيبر ، وقرى عرينة ويتبع جعلها الله تعالى لرسوله صلى الله
 عليه وسلم ، يحكم فيها ما أراد ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها ؟ فأنزل الله
 عز وجل هذه الآية . قال : و« القرى » قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم
 بنو هاشم وبنو المطلب . وقوله : « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » أى بين

(١) كما فى ج ٠ ر ١ : « ما يربح » .

(٢) الكراع : أى جماعة الخيل .

الرؤساء والأغنياء والأفوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعَهَا لنفسه، وهو المِرباع، ثم يصطفي منها أيضا بعد المِرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم :

لك المِرباعُ منها والصفايا * وحكمك والنسيطة والفضول^(١)

فجعل الله تعالى [هذا^(٢)] لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها .
وقوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » أى ما أعطاكم من الفى والغنيمة
« وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ » من الغلول وغيره « فاتهوا » .

قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ) أى كى لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أى فى إيمانهم .
قال قتادة : هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ورسوله ، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة ، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دينار غيرها .

وعن سعيد بن جبير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالوا : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة، يبيع عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهماً فى الزكاة .

(١) النسيطة : ما يفتنه الغزاة فى الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذى قصدوه . الفضول : ما فضل

من الغنائم حين تقدم . وفى أ : « البسيطة » .

(٢) زيادة عن الفرطى يتطلبها المعنى .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قال : قوله «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ»

اتخذوا المدينة دار الإيمان والمهجرة ، وهم الأنصار ، أسلموا في ديارهم وأبتنوا

المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحسن الله الثناء عليهم . وقوله :

« مِنْ قَبْلِهِمْ » أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم ، وقد آمنوا « يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً » أى حزاوة وغيظا وحسدا « مِمَّا أُوتُوا » أى

مما أعطى المهاجرين من الفىء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قسم أموال

بنى النضير بين المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا ^(١) إلا الثلاثة الذين ذكرناهم ،

فطابت أنفس الأنصار بذلك « وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ » إخوانهم من المهاجرين

بأموالهم ومنازلهم « وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » أى فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون ، وذلك

أنهم قاسمهم ديارهم وأموالهم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأنصار : « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم

ودياركم وتشاركوهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم

يقسم عليكم شئ من الغنيمة » فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ^(٢)

ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها . فانزل الله عز وجل . « وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » والشح في كلام

العرب : البخل ومنع الفضل .

(١) فى ١ : « المهاجرين » ، وهو خطأ .

(٢) فى ٢ : « من أموالنا وديارنا » .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاث منازل : الفقراء المهاجرون ، والذين تبقوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم سيفتنون . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسيبتموهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ لَهُمْ الْكَذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيَأْخُذْنَ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالهم لبنى النضير وقعودهم عنهم ، كما تقدم أنفا ، وقوله : « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ » يقول : رهبتكم أشد من رهبتهم الله تعالى . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرٍ بِأَسْمِهِمْ يَنْهَمُ شَدِيدٌ مُحَسِّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال ، ولا يقاتلونهم إلا في قرى محصنة ، أو من

(١) في ١ ، ج : « غفور » وهو خطأ . (٢) في الأصل : « جدار » . وهو قراءة

ابن عباس ، ومجاهد ، وابن كثير ، وابن عيينة ، وهو عمرو .

وراء جدار «باسمهم ينهمر شديد»^(١) يعنى بعضهم فقط على بعض، وبعضهم عدو لبعض، وعداوتهم بعضهم بعضا شديدة. وقيل: باسمهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله. «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» قال قتادة: أهل الباطل مختلفة [أهواؤهم، مختلفة شهاداتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

قوله تعالى: «كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٢) يعنى مثل هؤلاء اليهود «كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وهم مشركو مكة «ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ» يوم بدر. قال مجاهد وقال ابن عباس: يعنى بنى قينقاع؛ وقيل: مثل قريظة كمثل بنى النضير. ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود في تحاذلهم فقال تعالى: «كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(٣) وهى قصة برصيصا العابد مع الشيطان.

ذكر قصة برصيصا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد النعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس، رضى الله عنهما، فى قوله تعالى: «كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» الآية. قال: كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا، قد تعبد فى صومعة له سبعين سنة، لم يصب الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعباه فى أمره الخيل، فلم يستطع له بشئ، فجمع ذات يوم مرادة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذى تصدى لرسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين ساقط من أ - (٢) فى ١: «تعبد الله» -

وسلم ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحى ، بفاء جبريل حتى دخل بينهما ، فدفعه بيده دفعة هينة ، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند . فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك . فانطلق فترين بزينة الرهبان ، وحلق وسط رأسه ، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا ، فناداه ، فلم يجبه برصيصا ، وكان لا ينفثل عن صلاته إلا في عشرة^(١) أيام ، ولا يفطر إلا في عشرة أيام ، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته ، فلما أنفثل برصيصا اطاع من صومعته ، فرأى الأبيض قائما منتصبيا يصلى في هيئة حسنة من هيئة الرهبان ، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم ي عنه فلم يجبه ، فقال له : إنك ناديتنى وكنت مشغولا عنك ، فحاجتك ؟ قال : حاجتى أنى أحببت أن أكون معك فأنا ذب بك ، وأقتبس من علمك ، ونجتمع على العبادة ، فندعولى وأدعوك ؛ قال : إنى لى شغل عنك ، فإن كنت مؤمنا فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيبا إن استجاب لى . ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلى ، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما بعدها ، فلما أنفثل رآه قائما يصلى ، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده ، وكثرة تضرعه وابتسماله إلى الله عز وجل كله ، وقال له : حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تأذن لى فأرتفع إليك . فأذن له ، فأرتفع فى صومعته ، فأقام الأبيض معه حولا يتعبد ، لا يفطر إلا فى كل أربعين يوما [ولا ينفثل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما]^(٣) مرة ، وربما مده إلى الثلاثين ؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت إليه نفسه^(٤) ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا : إنى متطابق ، فإن لى صاحبا

(١) فى ج : « فى كل عشرة أيام » . (٢) هكذا فى الأصل . وفى القرطبي : « ما حاجتك ؟ » .

(٣) ما بين القوسين لم يذكر فى ١ - (٤) تقاصرت نفسه : تضائلت .

خيرك، ظننت أنك أشد اجتهادا مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت . قال :
فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقتها للذى رأى من شدة اجتهاده، فلما
ودعه قال له الأبيض : إن عندى دعوات أعلمكها تدعوهم، فمن خير لك مما
أنت فيه، يشفى الله بها السقيم، ويعافى بها المبتلى والمجنون، قال برصيصا : إني
أكره هذه المنزلة، لأن لى فى قصى شغلا، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلونى
عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال : قد
والله أهلكك الرجل . قال : فانطلق الأبيض فعرض لرجل نختقه، ثم جاءه
فى صورة رجل متطبب، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعاجله؟ فقالوا : نعم،
فقال لهم : إني لا أقوى على جنته، ولكنى سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى
فقالوا له : دلنا . قال : انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذى إذا دعى
به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه
الشیطان . وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذى فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى
برصيصا فيدعوهم فيعافون . قال : فانطلق الأبيض فعرض لجارية من بنات
الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكا فمات فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك
بنى إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم فى صورة رجل متطبب، فقال لهم :
أعاجلها؟ قالوا : نعم . فعاجلها فقال : إن الذى عرض لها مارد لا يطاق، ولكن
سأرشدكم إلى رجل تتقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا
أنها قد عوفيت وتردونها^(١) صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها، قالوا : ومن هو؟ قال :
برصيصا، قالوا : وكيف لنا أن يقبلها منا ويحيينا إلى هذا؟ هو أعظم شأنا من
ذلك . قال : انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ولكن

(١) كذا فى الأصل، ولعل صواب العبارة : «تردونها صحيحة وقد ذهب عنها شيطانها» بتأخير الواو.

هذه الصومعة التي تبثون لزينة صومعته ، فإن قبلها وإلا تضعونها في صومعتها ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك ، فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك ، فأبى عليهم ، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها ، وقالوا له : يا برصيصا ، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله ، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها . ثم انصرفوا ، فلما انتقل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال ، فأسقط في يده ، ودخل عليه أمر عظيم ، قال : بغاءها الشيطان نخفها ، فلما رأى برصيصا ذلك انتقل عن صلاته ، فدعا بتلك الدعوات ، فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ، ثم جاءها الشيطان نخفها ، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها] لبرصيصا ، وجاءه الشيطان ، فقال : ويحك ! واقمها فإن تجد مثلها ، فستوب بعد ، فتدر ما تريد من الأمر الذي تريد ، فلم يزل به حتى واقمها ، فافتقرها ، فلم يزل على ذلك يأنسها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك ! قد افتضحت ، فهل لك أن تقتل هذه وتوب ؟ فإن سألوك فقل : جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه . قال : ففعل . فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ، بغاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها ، فبقي طرف إزارها خارجا في التراب ، ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته ، بغاء إخوتها يتعاهدون أختهم ، وكانوا يحيئون في بعض الأيام يسألون عنها ، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه . قال : فصدفوه وأنصرفوا . فلما أمسوا وهم مكروبون ، جاء الشيطان إلى كبيرهم

(١) كذا في الأصل . ورفع الجزء ها جاز على ضعف . (٢) أسقط في يده : تحير .

(٣) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ : ٣٨) -

- في المنام ، فقال له : ويحك ! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا ، وإنه دنها
 في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا . فقال الأخ : هذا حلم وهو من عمل
 الشيطان ، برصيصا خير من ذلك . قال : فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر ،
 فأنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك ، فقال الأوسط مثلبا قال الأكبر ، فلم يخبر
 به أحدا ، فأنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد
 رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر :
 وأنا واقف لقد رأيت كذا وكذا ، فأنطلقوا بنا إلى برصيصا ، فأنوه ، فقالوا :
 يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : إليس قد أعلمتكم بحال شيطانها !
 فكأنكم أنتمتموني . فقالوا : لا والله لا تهلك . فاستحبوا منه وأنصرفوا عنه ،
 فجاءهم الشيطان فقال ، ويحك ! إنها لمدفونة في موضع كذا ، وإن طرف إزارها
 خارج من التراب . قال : فأنطلقوا فراوا أختهم على ما رأوا في نومهم ، قال :
 فمشوا في موابهم ، وموابهم معهم الفؤوس والمساخى^(١) ، فهدموا صومعته وأنزلوه
 ثم كنفوه وأنطلقوا به إلى الملك ، فأقر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أنه فقال :
 تقتلها ثم تكابر ، يجمع عليك أمران قتل ومكابرة ، اعترف . فلما اعترف أمر
 الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أنه الأبيض عيانا ، وذلك أن إبليس
 لعنه الله ، قال للأبيض : وما يعني عنك ما صنعت ؟ إن قتل فهو كفرارة لما كان
 منه . فقال الأبيض : أنا أكفيكه . فأناه فقال : يا برصيصا ، أتعرفني ؟ قال :
 لا . قال : أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك ، ويحك ! أما انتيت
 الله في أمانة خنت أهلها ، وأنتك أعبدت بني إسرائيل ! أما استجبت ! أما راقبت
 الله في دينك ! فلم يزل يسيره ويوبخه ، ثم قال له في آخر ذلك : ألم يكفك

(١) المساخى : جمع مسخاة ، وهي الحيرة من الحديد .

ما صنعت حتى أفررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس ! فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، وأخذ بأعينهم ، وأخرجك من مكانك . قال : وماهي ؟ قال : تسجد لي . قال : أفضل . فسجد له ، فقال : يا برصيصا ، هذا الذي أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إني برىء منك ، إني أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا ﴾ يعنى الشيطان وذلك الإنسان .
﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فضرب الله هذا المثل لليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يحل بنى النضير من المدينة ، فدمس المنافقون إليهم فقالوا : لا تنجيوا هذا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم ، فإن قاتلكم كما معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . قال : فاطاعوهم ، فدنّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين ، حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فناصروه الحرب ، يرجون نصر المنافقين ، فغذلوهم ونبروا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قوله : « اتَّقُوا اللَّهَ » أى فى أداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » يعنى يوم القيامة .

قوله : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(١)
 « نَسُوا اللَّهَ » أى نسوا حق الله وتركوا أوامره « فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ » [يعنى حظ
 أنفسهم] أن يقدموا لها خيرا « أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
 وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » .

- فقد أثبتنا — أكرمك الله — على تفسير ما أنزل من القرآن في شأن بنى النضير
 مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار ، ولم نتعرض إلى ما سوى
 ذلك من التفسير .

ذكر غزوة بدر الموعد

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهُلال ذى القعدة ، على رأس خمسة
 وأربعين شهرا من مهاجرة صلى الله عليه وسلم . حكاه محمد بن سعد :
 وقال محمد بن إسحاق : كانت في شعبان . وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع ،
 فتكون على رأس اثنين وأربعين شهرا من الهجرة ، والأشبه ما قاله ابن سعد ، لأن
 الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد ، وغزوة أحد كانت في شوال على
 ما اتفقا عليه ، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك .

- قال محمد بن سعد : لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج ، وقدم نعيم بن
 مسعود الأشجعي مكة ، فقال له أبو سفيان : إني قد واعدت عبدا وأصحابه أن تلحق
 بي بدر ، وقد جاء ذلك الوقت ، وهذا عام جذب ، وإنما يصلحنا عام خصب غيDAQ ،
 وأكره أن يخرج مجد ولا أخرج فيجترئ علينا ، فتجعل لك عشرين فريضة يضمنها^(٢)
^(٣) ^(٤) ^(٥)

٥٦
١٥

- (١) ما بين القوسين ساقط من ١ . (٢) في ج : « إل » . (٣) غيDAQ : نخصب .
 (٤) الفريضة : البعير المأخوذ في الزكاة ، سمي فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع
 فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة . (٥) في ١ : « يضمنها » .

إليك سُهَيْل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتدخل أصحابَ محمد . قال : نعم .
فدخلوه على بعير ، فأسرع السير حتى قدم المدينة ، فأخبرهم بجمع أبي سفيان ^(١) لهم .
وما معه من العدة والسلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى
بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد .

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة ،
والخيل عشرة أفراس ، وحمل لواءه على بن أبي طالب ، وخرج المسلمون ببضائع
وتجاراتهم لهم ، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه العرب ، وسوقاً تقوم للال
ذى القعدة إلى ثمان تخالو منه ، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم .

فاتتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر ليلة لال ذى القعدة ؛
وقامت السوق صبيحة اللال فأقاموا بها ثمانية أيام ، وباعوا ما خرجوا به من
التجارات ، فربحوا للدرهم درهماً ، وانصرفوا ، وقد سمع الناس بمسيرهم ، وخرج
أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش ، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى
اتموا إلى بَجَّة — وهى مر الظهران — ومنهم من يقول : بلغوا عُسْفَانَ ^(٢) . ثم
قال : ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب غِداق ، نرعى فيه الشجر ونشرب
اللبن ، وعامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع فارجعوا . فسمى أهل مكة هذا
الجبش جبش السَّوبِق ، يقولون : خرجوا يشربون السَّوبِق . قال : وقدم معبد
أبن أبى معبد الخزاعى مكة بخبز مسير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ،
فقال صفوان بن أمية لأبى سفيان : قد نهيتك يومئذ أن تعبد القوم وقد اجترعوا
علينا ورأوا أن قد أخلقناهم .

(١) ساقطة فى أ. (٢) كذا فى الأصل . وفى المواهب : « حجة : ناحية الظهران » . وفى معجم
البلدان : « وقال الأصمى : وكانت حجة بمر الظهران » . (٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة .

وقال عبد الله بن رواحة :

وَعَدَنَا أَبَا سَفْيَانَ وَعَدَا فَلَمْ نَجِدْ * لِمَعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا^(١)
فَأَقِيمْ لَوْ وَافَيْنَا فَلَقَيْنَا * لَأَبَتْ ذِمَّتَنَا وَانْقَدَتْ الْمَوَالِيَا^(٢)
تَرَكَاهُ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ * وَعَمَرَا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَاهُ ثَاوِيَا^(٣)
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَّ لِدِينِكُمْ * وَأَمْرَكُمْ السُّيُءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا^(٤)
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَاتِلٌ * فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بِغَيْرِهِ * شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة .

وأُزِلَ الله عز وجل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَهُمْ النَّاسُ
إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
فَاتَّقِلُّوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ ﴾ .

قال السُّدِّيُّ : لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للسَّيْر إلى بدر

لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا : نحن أصحابكم الذين نهبناكم عن الخروج
إليهم فعصيتُمونا، وقد أتوكم في دياركم [فقاتلوكم] وظفروا، فإن أنيتموهم في ديارهم
لا يرجع منكم أحد . فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فالناس في هذه الآية أولئك
المنافقون . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان، فقالوا : قد جمعوا لكم جموعا

(١) في سيرة ابن هشام : « بدرا » . (٢) الموال : جمع مول، وهو القرب

والجار والحليف . (٣) ثاوريا : مقيا . (٤) السي : المنكر . (٥) سافطة في أ

كثيرة فآخشوهم ؛ فقالوا : « حَسَبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فانزل الله عز وجل « الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ » يعنى أبا سفيان وأصحابه « قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ » تخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم « فَرَادَهُمْ إِيمَانًا »^(١) يعنى تصديقاً وبقياً وجرأة وقوة . وقوله : « فَاقْبَلُوا » فانصرفوا ورجعوا « بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ » أى بعافية لم يلبثوا بها عدوا ، وبرات جراحتهم « وَفَضْلٍ » أى ربح وتجارة ، وهو ما أصابوا من السوق فرجعوا « لَمْ يَتَسَنَّهْمُ سَوْءٌ » لم يصيبهم سوء ولا يجرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه « وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ » فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا : هل يكون هذا غزوا ؟ فاعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم . « وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » .
 [ثم] قال تعالى : « إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » يعنى ذلك الذى قال لكم : إن الناس قد جمعوا لكم فآخشوهم ؛ من فعل الشيطان ألحق فى أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم « يَخَوْفُ أَوْلِيَائَهُ » أى يخوفكم بأوليائه ، يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين ، قال السدى : يعظم أوليائه فى صدوركم لتخافوهم . وقرأ عبد الله بن مسعود « يَخَوْفُكُمْ أَوْلِيَائَهُ » قال : وكان أبى بن كعب [يقرأ] « يَخَوْفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ » « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ » فى ترك أمرى « إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » مصدقين بوعدى فإنى متكفل لكم بالنصر والظفر .

(١) فى ج : « فرادهم ذلك إيماناً » . (٢) فى أ : « وهم » .

(٣) فى أ : « لا يلبثهم » . (٤) فى أ : « رسول الله » .

(٥) ساقطة من أ . (٦) فى أ : « يخوفوكم » .

(٧) ساقطة من أ .

ذكر غزوة ذات الرقاع^(١)، وخبر صلاة الخوف

وقصة غوث بن الحارث المخاري، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع، قليل : جبل فيه بقع حمر وبيض وسود .

وقيل : لأنهم رقعوا راياتهم . وقيل : ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع . وفي صحيح

البخاري أنهم تقبّت أقدامهم^(٢)، فلقوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع . والله أعلم .

قال محمد بن سعد : كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة

صلى الله عليه وسلم . وقال ابن إسحاق : كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة

بني النضير في جمادى الأولى، فتكرن على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة،

واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال : عثمان بن عفان . ولم يقل ابن سعد

غير عثمان رضي الله عنه .

وذلك أن قادمًا قدم المدينة يجلب، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

أن أنمارا وتعلبة قد جمعوا لهم الجموع . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة، ويقال : سبعمائة من أصحابه،

فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع — وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد

وبياض — فلم يحصد في محالهم أحدا إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيفة،

وهربت الأعراب إلى رءوس الجبال، وحضرت الصلاة، تخاف المسلمون أن

يفيروا عليهم، فنصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف .

(١) غزوة ذات الرقاع : هي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة

الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة .

(٢) تقبّت أقدامهم : وقت جلودها من المشي .

(٣) في أ : « عن » . (٤) الجلب : ما جلب من خيل ولابل ومتاع .

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ، ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو ، فجاءوا فصلى بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم . وروى عنه أيضا من طريق آخر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصنف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصنف الأول وتقدم الصنف الآخر حتى قاموا مقامهم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين ، وركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين . هكذا روى عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع .

وروى ابن هشام أيضا بسنده إلى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، في صلاة الخوف ، ولم يذكر ذات الرقاع ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصل كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة وركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربي^(١)

لما أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم لحياه الله منه وأمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من عدوه وعفوه عنه

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أنتك به . وكان رسول

(١) كذا ضبط في ج ، وراقه على ذلك صاحب شرح المواب الدنية . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الملة . وكنى الخطابي : غورث بالتصغير .

(١) الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها، فأتاه فاختار سيفه، ثم قال : من يمنعك مني ؟ فقال : الله . فأرعدت يد غورث ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فرجع إلى قومه وقال : جئكم من عند خير الناس . ومن رواية الخطابي : أن غورث ابن الحارث المخزومي أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه ، متضياً سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفنيه بما شئت » . فانكب غورث من وجهه من زُلَّة زُلَّهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ونذر سيفه من يده ، وقيل : فيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . وقيل : نزلت في غير هذه القصة .

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي

صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المظلي عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نَحْلٍ عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٌ ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلت الرقاع تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مالك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ علي جملي هذا ، قال : « أتخفه » ، فأتخفته ، وأناخ رسول الله صلى الله

(١) اختارط السيف : استله من غمده . (٢) متضياً : مستلاً . (٣) في هامش ج :

الزُلَّة : وجع الظهر . وفي لسان العرب : يقال : روى الله فلاناً بالزُلَّة ، بضم الزاي وتشديد اللام وتفتحها ، وهو وجع يأخذ في الظهر لا يترك الإنسان من شدته ، ويرى بتخفيف اللام . وفي الأصل : « زُلَّة »

وهي رواية خطأها صاحب اللسان . (٤) نذر : سقط . (٥) نحل : موضع يجرد من أرض غطفان وهو في طريق الشام من ناحية مصر . (٦) في ابن هشام : « أبطأ بي جملي » .

عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة ؛ قال : ففعلت . فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج — والذي بعثه بالحق — يواهي ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتبعني جملك هذا يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : « لا ، ولكن يعننه » ؛ قال : قلت : فسمنيه ؛ قال : « قد أخذته بدرهم » ؛ قلت : لا ، إذا تبعني يا رسول الله ! قال : « فبدرهمين » ؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ؛ قلت : فقد رضيت ؟ قال : « نعم » ؛ قلت : حولك ؛ قال : « أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد » ؟ قلت : نعم يا رسول الله ؛ قال : « أنيبا أم بكرا ؟ » قلت : بل نبيبا ؛ قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ » قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، فجمع رهوسن وتقوم عليهن ؛ قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو جئنا صرارا أمرنا بيجزور فنحرت ، وأقننا عليها يومنا ذلك ، وسيمت بنا ، فنفضت نمارقها » . قلت : يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كبسا » . فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيجزور فنحرت ، وأقننا عليها يومنا ذلك ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت :

(١) يواهي ناقته : أي يباريها في السير وبماشها . (٢) في أ : « تنق » وهو تحريف . وفي الرض الأنف : « تبعني » . (٣) في أ : « يدفع » . (٤) كذا في أ ، ج . وفي ابن هشام : « أفقد رضيت يا رسول الله ؟ » . (٥) في أ : « قد » . (٦) صرار : يرعى ثلاثة أميال من المدينة كما سيأتى في المؤلف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنها .

فدونك، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أتته على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ثم جلست^(١) في المسجد قريبا منه، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فرأى الجمل، فقال : «ما هذا ؟» قالوا : هذا جمل جاء به جابر، قال : «فأين جابر ؟» فدُعيتُ له ، فقال : «يأين أني خذ برأس جملك فهو لك» ودعا بلالا فقال له : «اذهب بجابر فأعطه أوقية» . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال يثني عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أس فيأ أصيب لنا ؛ يعني يوم الحزوة^(٢) .

وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جابرا عن دين أبيه فأخبره ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة نحسا وعشرين مرة . قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جمال بن سُرَاقَة بشيرا إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين ، وقدم صراراً يوم الأحد لخمس بقين من المحرم — وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على طريق العراق — وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال ؛ سميت بدومي بن إسماعيل لأنه كان تزلفاً ، وهي غير دومة التي بفتح الدال .

(١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) يشير إلى وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري . راجع الروض الأنف ج ٢ ص ١٨٤ (٣) كذا في ابن سعد والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة . وفي القاموس وابن هشام والطبري «جميل» . راجع الاختلاف في هذا الاسم في الإصابة وأسد الغابة . وفي الأصول : «جوال» . وهو تحريف . (٤) كذا في الأصول ، والمواهب اللدنية . وفي معجم البلدان : «سميت بدوم بن إسماعيل ، وقال الزجاجي : دومان بن إسماعيل . وفيل : كان لإسماعيل ولد اسمه دما ، ولعله مغيرته . وقال ابن الكلبي : دوما بن إسماعيل» .

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجره، وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن يدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من مرتبهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة — وهي طَرَف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة — فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُرقطة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل وَيَكُنُّ النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له : مذكور، فلبث دنا منهم إذا هم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ما شيتهم وريعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب . وجاء الخبر أهل دومة الجندل ، فتفرقوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم ، فلم يجد بها أحدا ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا وفرقها ، فرجعت ولم تصب منهم أحدا (٣) وأخذ منهم رجل واحد ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمهم ؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يَلَقْ كيدا .

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن أن يرعى بتغلمين وما والاها إلى المراض (٤) والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق الزبدة .

(١) في : أ « أنه » . (٢) المراد بالنعم ما الإبلى . (٣) كذا في الأصول . وفي رواية للواهب اللبدي : « ولم يصب منهم أحد » . (٤) كذا في الطبري ، وطبقات ابن سعد ، ومعجم البلدان ، والقاموس . وفي الأصل : « بتغلمين » وهو تحريف « وتغلمين من المراض على مبلين » . (٥) زيد في ابن سعد في هذا الموضع ما يأتي : « وكان ما هناك قد أعصب ، وبلاذ عينة قد أجذبت » .

ذكر غزوة بني المصطلق^(١)، وهي غزوة المرتسبع

غزاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة خمس من الهجرة . حكاه محمد بن سعد .

وقال ابن إسحاق : كانت في شعبان سنة ست ، وجعلها بعد غزوة ذي قرد .

- وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهبوا للسير ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر ، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، فندب صلى الله عليه وسلم الناس ، فأسرعوا في الخروج ، وقادوا الخيول ، وهي ثلاثون فرسا ، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأَنْصار ، وخرج معه خلق كثير من المنافقين ، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها ، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة . وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري . قال : ويقال : ثُمَيْلَةُ بن عبد الله الليثي . قال ابن سعد : وكان معه صلى الله عليه وسلم فرسان : لِزَاز ، والطَّرِب ، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان ، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففترق عنه من كان معه من العرب وخافوا خوفا شديدا ، وأتته رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرتسبع — وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين البُقُرُع نحو من يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرْد — فنزل به وضرب قُبَّة ، ومعه صلى الله عليه وسلم من نسائه أُمّهات المؤمنين رَضِيَ الله عَنْهُنَّ عائشة ، وأم سامة ، وتهبوا للقتال ، وصَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر
- (١) المصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو ، لقب بذلك لحسن صوته ، وكان أزل من غنى من نزاعة .

الصدّيق رضى الله عنه ، ورواية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فترأّموا بالنّيل ساعة ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت من القوم إنسان ، قتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، وسُيِّت النساء والذراري ، وغنمت النعم والشاء ، ولم يُستشهد من المسلمين إلّا رجل واحد ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسارى فُكِّتُوا ، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بجمع الغنائم بجمعت ، واستعمل عليها شُقران مولاة ، وقسم السبي والنعم والشاء ، فعُدلت الجزور بعشر من الفهم ، وبيعت الرّثة ^(١) فيمن يريد ، قال : وكانت الإبل التي يعبر والشاء خمسة آلاف شاة ، والسبي مائتي أهل بيت ، وصارت جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن حم له : فكتابها على تسع أواق من ذهب ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها ، فأذى عنها ، وتزوّجها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكان من السبي من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، ومنهم من أُفدى ، فافسدت المرأة والذرية بسبب فرائض ، وقدموا المدينة ببعض السبي ، فقدم عليهم أهلهم فأفدوهم ، فلم تبق امرأة من بنى المصطلق إلّا رجعت إلى قومها . وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور أيمت أيمت ، وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوما ، وقدم المدينة للال رمضان .

(١) الرّثة : ردى . المتاع ، وأسقاط البيت من الخلقان . (٢) في الطبقات : « يزيد » .

(٣) في ١ : « التي تنير » وهو تحريف . (٤) في ١ : « لها » .

(٥) في ٢ : « فأداها » . (٦) كذا في ابن سعد . وفي الأصول : « فافسدت » .

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبي بن سلول الماتق بما تكلم به من قوله :
 ﴿لَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ . ووقع حديث الإنك ، وقد
 قدّمنا ذكر ذلك كله في حوادث السنين بعد الهجرة ، في حوادث السنة الخامسة .

ذكر غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 حكاها ابن سعد . وقال ابن إسحاق : كانت في شوال .

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام ، رحمهم الله تعالى ،
 دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم بنى النضير وساروا إلى خيبر ، خرج نفر من أشرفهم ووجوههم ، منهم
 سلام بن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ،
 وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى
 وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا
 مكة على قريش ، فدعوه إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا
 سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت قريش لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل
 الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومجد ، أفديننا خير أم دينه ؟
 فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله تعالى
 فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
 وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

(١) في ١ : « ابن أبي سلول » - (٢) في ١ : « لا » - (٣) في ١ : « فديننا » .

(٤) الجبّ والطاغوت : كل معبود من دون الله .

اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنْ الْمَلِكِ قِذَا لَا يُوْتُونَ
الْأَنْسَ نَصِيرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ
وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿١﴾ قالوا : فلما قالت اليهود [ذلك] لقرين سرهم ونشطوا لما
دَعَوْهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجتمعوا لذلك ، ثم خرج
أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسُلياً ، ودعَوْهم إلى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وأعلموهم أن قريننا قد بايعوهم على ذلك ، فأجابوهم واجتمعوا
معههم ، فتجهزت قرين وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب ، وكانوا أربعة
آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ،
وقادوا معههم ثلثمائة فرس ، وكان معههم ألف ونحسمائة بعير ، وخرجوا يقودهم
أبو سفيان بن حرب ، وواقتم بنو سليم بمر الظهران ، وهم سبعمائة ، يقودهم
سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي
كان مع معاوية بصقين ، وخرجت بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسدي ،
وخرجت غطفان وفزارة ، . معهما ألف بعير ، يقودهم عينة بن حصن بن حذيفة
ابن بدر ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة
المزني ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعر بن خزيمة بن تميم بن موية بن طريف ،
ونخرج معههم غيرهم .

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فأعلموهم » . (٣) في أ : « فأجابوا » .

(٤) عينة هذا هو الذي قال فيه من الله عليه وسلم : « الأحن المطاع » . لأنه كان فيه عشرة آلاف

فأنة ، وقال فيه أيضا : « إن شر الناس من ودعه الناس افتاء شره » . وفي رواية : « إن أدار به لأنى

أخنى أن يفسد على خلفا كثيرا » . وصلى عينة لشر كان بعينه ، واسمه حذيفة . راجع المراءب

ج ٢ ص ١٢٥ . (٥) في العليقات ، وشرح المراءب : « مسعود » وقد ذكر الطبري الوجهين .

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة
عساكر ، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصولهم من مكة نذب الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ،
فاشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى سفح ^(٣) ، وجعل سلما خلف ظهره ، وكان المسلمون يومئذ
ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ضرب الخندق
على المدينة ، وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر ، فعملوا
وجدوا في العمل ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين
في ذلك العمل رجال من المنافقين ، وجعلوا يوزون بالضعف من العمل ، ويتسألون
إلى أهلهم بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الرجل من المسلمين إذا
نابته النائية من الحاجة ، ذكرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه ، فيأذن
له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق ، فأنزل الله تعالى في أولئك من
المؤمنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى في المنافقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) فصولهم : خروجهم . (٢) في الأصول : « قدر » وهو تحريف .

(٣) سفح : جبل يسوق المدينة . (٤) كذا في ج . ر . ق : « ردأوا في العمل » .

(٥) يوزون بالضعف من العمل : أي يختنون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف .

وفي المواهب : « بالضعف عن العمل » .

(٦) في هامش ج : « اللواذ : الاستنار بالتي عند الحرب » .

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ثم قال تعالى : ﴿الْأَلَمَ إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

قال : وعمل المسلمون فيه حتى أحكوه . روى محمد بن سعد [بسند^(١)] يرفعه إلى سهل بن سعد قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : «لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأتباع والمهاجرة» . وعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قَيْنَا

إِنَّ الْأَوَّلَى لَقَدْ بَقَوْا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا

[أَيْنَا] يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته ، ومنها ما يتعين ذكره ها هنا ، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فقال رسول الله » .

(٣) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « والمهاجرين » . وهذا القول من كلام عبد الله ابن رواحة ، يمثل به عليه الصلاة والسلام . راجع الروايات المختلفة في صيته ، وفي كونه شعرا أو غير شعر في ج ٢ ص ١٢٧ من المواهب . (٤) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي الأصول : « اللهم » . والشعر لعبد الله بن رواحة ، ارتجز به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) في الأصول : « قد » . وما أنبتاه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها في ج ٢ ص ١٢٨ من المواهب الدنية .

(٦) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي المواهب : أنه كان يمد صوته بالقظة الأخيرة لا بالجمع .

اشتدت على الناس في بعض الخندق ^(١) كدية ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق لآتهالت ^(٢) حتى عادت كالكتيب ، لا تزد فأسا ولا مسعاة .

٦٢
١٥

قالوا : وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام ، وكانوا يعملون فيه نهارا وينصرفون ليلا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان في الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان ماضين من ذى القعدة ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة . وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها ، وأجتمع إليها بعد فراغ الخندق ، فصار الخندق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وظهور المسلمين إلى سلع ، وخرج حُيَ ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دون حُيَ باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَ : ونجك يا كعب ! افتح لى . قال : ويحك ! إنك أمرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . فعاوده مرارا ، وهو يأبى عليه حتى [قال له حُيَ] : والله إن أغلقت دوني إلا عن جيشينك أن أكل معك .

(١) الكدية : الحجر الصلد الضخم ، والشيء الصلب بين الحجارة والعين ، والأرض الغليظة .

(٢) في ١ : « داء » . (٣) في ١ : « وصاحب » . (٤) ما بين القوسين ساقط من ١ .

(٥) في ١ : « بنى » . (٦) الجشيثة : واحدة الجيشيش ، وهو أن تطحن الحنطة طحنا

جلبلا ، ثم نصب به القدر ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ ، ويقال لها : دشيثة .

(٧) كذا وردت هذه العبارة في ١ ، ج . وفي المواهب : « والله إن أغلقت دوني إلا تخروفا على

جيشينك أن أكل معك منها » .

(١١) فأحفظه ذلك، ففتح له، فقال : ويحك يا كعب ! جئتكَ بعزّ الدهر ويحرم طام،
 جئتكَ بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم يجتمع الأسبيل ، [ومن دونه]
 غطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقي على جانب أحد ، وقد
 عاهدوني وعافدوني على ألا يرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال له كعب :
 جئتني والله بذلّ الدهر ، ويجهام قد هراق ماءه ، يردد ويرق ، لبس فيه شيء .
 ويحك يا حيّ ! فدعني وما أنا عليه ، فإنني لم أر من عهد إلا صدقا ووقفا . فلم
 يزل به حيّ حتى سمح له ، أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش
 وغطفان ولم يصيبوا محمداً أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . ففرض
 كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ إلى الله عليه وسلم ،
 فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وجمع ذلك عنده
 كبره ، وقال : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » قال : ونجسم النفاق وقيل الناس ،
 وعظم البلاء ، واشتد الخوف ، وخيف على الذراري والنساء ، وكانوا كما قال الله
 تعالى : (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حازمة في ثلثمائة يحرسون المدينة
 ويظهرون التكبير ، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة ، وكان

(١) أحفظه : أغضبه . (٢) طام : مرتفع ، يريد كثرة الرجال .

(٣) التصويب من المواهب ، وفي الأصول : « من رومة » وهو تحريف . (٤) في أ :
 « في قنبي » وهو تحريف . (٥) الجهم : السحاب لا ماء فيه . (٦) كذا وردت
 هذه العبارة في الأصل . وفي المواهب : « وأعطاه عهداً على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا
 محمداً أن أدخل معك في حصنك ، يصيبني ما أصابك » . (٧) كذا في الطبري ، وابن هشام .
 وفي الأصل : « راشد » .

عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجاء العدو لايزولون يعقبون خندقهم ويحرسونه ، والمشركون يقاتون بينهم ، فيغدو أبوسفیان بن حرب في أصحابه يوما ، ويغدو خالد بن الوليد يوما ، [ويغدو عمرو بن العاص يوما] ، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوما ، فلا يزالون يحيلون خيلهم ، ويجمعون مرة ويتفرقون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمون رماثهم فيرمون ، فرمى جبان بن العريفة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكله^(٢) ، فقال : خذها وأنا ابن العريفة . ويقال : رماه أبو أسامة الجشمي .

قال ابن هشام : ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني ، وهما قائدَا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، بخري [يئنه و^(٣)] بينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمر تجبه فتصنعه ، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمنكم عن قوس واحدة ، وكاليوم^(٤) من كل جانب ، فأردت أن أكرم عنكم من شوكتهم إلى أمي ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد

(١) ما بين القوسين ساقط من أ . (٢) الأكل : عرق في وسط الذراع يكثر فصد .

(٣) ساقطة من أ . (٤) كاليوم أي اشتدوا عليكم .

٦٣
١٥

كأنحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأصنام، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قراءاً^(١) أو بيعاً، ألحين^(٢) أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانت وذلك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن سعد : ثم اجتمع رؤسائهم أن يفلدوا يوماً ، ففعلوا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب ، وطلبوا مضيقاً من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا : إن هذه لمكة ما كانت العرب تصنعها ؛ ففيل لهم : إن معه رجلاً فارسياً ، فهو أشار عليه بذلك ؛ قالوا : أين هناك إذاً ، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون ، فمبرمته عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطاب ، وهيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد ود [بفعل عمرو بن عبد ود] يدعو إلى الأبرار ، ويقول :

ولقد بيحجت من النداء * لجمعهم هل من مبارز

وكان ابن سبعين سنة ، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ؛ قال له : أجل . قال له : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإني أدعوك إلى التّال ؛ قال : يا بن

(١) القراء : ما يقدم للضيف من الطعام . (٢) ألحين : « ألحين » .

(٣) كذا في أ ، ج . وفي ابن سعد : « يقتحمون مع خيلهم » .

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ . (٥) باسطة من ج .

أنى ، فوالله ما أحب أن أقتلك ؛ فقال له على : ولكنى والله أحب أن أقتلك ؛
فحمى عمرو عند ذلك ، فافتحم عن فرسه فمقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على على -
فتنازلاً وتجاولاً ، فقتله على - رضى الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت
من الخندق . وألقى عكرمة بن أبى جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو . فقال
حسان بن ثابت :

فز وألقى لنا رحمه * لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلي^(١) * يم ما إن تجور^(٢) عن المعدل^(٣)
ولم تلق ظهرك مستانسا * كأن قفاك قفا فرعل^(٤)

قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقّه
بأثنين ، ثم اتعدوا أن يغدوا من الغد ، فباتوا يعبثون أصحابهم ، وفزفوا كتابهم ، ونحوا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومهم
ذاك إلى هوى من الليل ، ما يقدر أن يزولوا من موضعهم ، ولم يصل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم
الله تعالى ، فرجعوا منفترقين إلى منازلهم وعسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى قبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من
المسلمين ، وكر خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غيرة من المسلمين فناوشوهم
ساعة ومع المشركين وخشي ، فزرق الطفيل بن النعمان عزمه فقتله وانكشفوا ، وصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته فأمر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم بعد

(١) الظلي : ذكر العام . (٢) كذا في ابن هشام . وفيه : « وما إن تجور » .

(٣) في هامش ج : « الترعيل : صغير الضباع » . (٤) في أ : « إلى أن يندرا » .

(٥) كذا في ج . وفي أ : « فباتون » . (٦) هوى من الليل : ساعة به ، أو نحو ذلك أو به .

ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما قاتهم من الصلوات، وقال : « شغلونا عن الصلاة الوسطى — صلاة العصر — ملائكة أجوافهم وقبورهم ناراً » . ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعا في الغزاة، قال : وحُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنثف بن ثعلبة بن حلال بن حلاوة بن الأشجع ابن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فسرُني بما شئت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد، نخذل عتا إن استطعت، فإن الحرب خدعة » . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية، فقال : يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كآتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقسُدون على أن تجلوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب مجد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كآتم، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم^(١)، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم^(٢)، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم مجدا حتى تتاجزوه ؛ قالوا : لقد أشرت علينا بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشا،

(١) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة، والإصابة، وفي ابن هشام : « خلوة » . وجاءت الرواياتان في الطبري . (٢) نخذل عتا أي ادخل بين القوم حتى نخذل بعضهم بعضا . (٣) النُهْزَةُ : انتهاز الشيء، وهو اختلاس . (٤) في ١ : « ببلادكم » . (٥) في ٢ : « رهنا » .

فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم ودي لكم وفراق محمدًا ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيته منه على-حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عني ؛ قالوا : نفعل ؛ فما هو ؟ قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ [لك] من القيلتين : قريش و غطفان ، رجالا من أشrafهم ، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أهل وعشيرة ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تهتموني ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بينهم ؛ قال : فاكتموا عني ؛ قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثلما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش و غطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والجافر ، فاغدوا للقتال حتى نتأجر مجدا ، ونفرغ فيما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولستنا مع ذلك بالذي تقاتل معكم مجدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا نقة لنا حتى نتأجر مجدا ، فإنا نخشى إن ضررناكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشعروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش

(١) ساقطة من أ . (٢) حذف نون الرفع هنا وهو جائز على قلة .

(٣) ضررناكم أي نالت منكم كما يصيب ذو الأخراس بأغصانه .

(٤) تنشعروا : أي تقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

وَعَطْفَان : والله إن الذي حَدَّثَكُمْ نعيم بن مسعود لحقَّ ، فأرسلوا إلى بني قريظة :
 إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاتخرجوا
 فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم
 ابن مسعود لحقَّ ، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا ، فإن رأوا فرصةً أتتهزوها ، وإن
 كان غير ذلك آسَمَوْا إلى بلادهم وخلَّوا بينكم وبين الرجل . فأرسلوا إلى قريش
 وَعَطْفَان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهنا . فأبوا عليهم ، وقال أبو سفيان :
 ألا أراني أستمع بأخوة القردة والخنازير ! فوقع الاختلاف والخذلان بينهم ،
 وبعث الله عز وجل عليهم ريحا في ليلة شاتية شديدة البرد ، فكفَّات القدور
 وطرحت الأبنية .

فلما آتتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل
 حذيفة بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال حذيفة : دعاني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون
 ولا تُحدِثْ شيئا . فذهبتُ فدخلتُ فيهم ، والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل ،
 لا يُقرُّ لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر
 أمرؤ من جلسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت :
 من أنت ؟ فقال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله
 ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع^(١) والخلف ، وأخلفنا بنو قريظة ، وبلغنا
 عنهم الذي نكرو ، ولقيتُ من شدة الريح ماترون ، فأرتحلوا فأتى مرتحل . ثم قام
 إلى جملة وهو معقول بخلس عليه ، ثم صر به قوسٌ به على ثلاث ، فما أطلق
 عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث شيئا

(١) الكراع : الخيل .

حتى آتبه ، ثم ^(١)لوثت ، لقتله بهم . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر . وسمعت غطفان ما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح . وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حم لا ينصرون) .

ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه : لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزوهم ^(٢) . فكان كذلك .

قال ابن سعد : وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة ، وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس . وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل ، قتله خالد بن الوليد ، وعبد الله بن سهل الأشهل ، وتعبلة بن عمنة بن عدي ، قتله هيرة بن أبي وهب ، وكعب بن زيد

(١) « لو » مأخوذة من ج و ابن هشام ؛ وما أثبتناه عن أ .

(٢) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل ، وهو جائز على لغة . وقال الدماميني : إنه شاذ . وقال في المعجم : لا يقاس عليه في الاختيار .

(٣) كذا في أسد الغابة ، والاختييار ، والطبقات وفي كلا الأملين : « سبل » .

من بني دينار ، قتله ضرار بن الخطاب . وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد
بني قريظة ، والطَّفِيل بن النعمان بن جُثم .

وقتل من المشركين أربعة فزروهم : عثمان بن أمية بن مُنية بن عبيد بن السباق
من بني عبد الدار بن قصي ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وعمرو بن عبد ود ،
ويقال : وابنه حُسل بن عمرو ، فتلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن
في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الخندق والأحزاب
قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ قال أبو إسحاق أحمد
ابن محمد بن إبراهيم التلعي رحمه الله : قوله : « إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ » يعني الأحزاب :
قريش و غطفان ويهود قريظة والنضير . « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا » قال : وهي الصبا .
قال عكرمة : قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب : انطلقين بضرورة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت الشمال : إن الحزة لا تسرى بالليل ، وكانت الريح التي أرسلت

(١) روى حبان بن العرفه سعد بن معاذ يوم الخندق بهم فقطع أكله ، لحسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فانتفخت يده وزنه الدم ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تفرصني
في بني قريظة . فاستمسك عرقه ، فا قطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه ، وكان حكمه بينهم أن تقتل
رجالهم وتقسم أموالهم ونسبي نسأولهم وذريتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله
فيهم . فلما فرغ من قتلهم اتفقن عرقه فأت روحه الله .

(٢) الصبا : هي الريح الشرقية ، ويقال لها : القبول ، لأنها تقابل الشمال ، والشمال : الريح العقيم
التي لا خير فيها . (٣) كذا في الأصلين . وفي الموابج ج ٢ ص ١٤٦ : « إن الحرائر لا تنهب
بالليل » . وفي القرطبي ج ١ ص ١٤٤ : « إن محو لا تسرى بليل » ومحو من أسماء الشمال ؛ لأنها
تحو السحاب وتذهب به .

عليهم الصبا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَاهْلِكْتُ عَادَ
بِالدَّبُورِ» . قوله : « وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » هي الملائكة ، ولم تقايل يومئذ ، قال
المفسرون : بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحا باردة ، وبعث الملائكة فقلعت
الأوتاد ، وقطعت أطناب القساطيط ، وأطفاقت النيران ، وأكفأت القدور ، وجالت
الخليل بعضها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب
عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول : يا بني فلان ، هلم [إلى] فإذا اجتمعوا
عنده قال : النجاء النجاء ، أُنِيتُمْ . لما بعث الله عليهم من الرعب ، فانهمزوا من
غير قتال ^(١) .

قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ﴾ قال : قوله : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ »
يعنى من فوق الوادى من قبل المشرق ، عليهم مالك بن عوف النَّصْرِي ، وعيينة
أبن حصن الفزاري في ألف من غطفان ، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي
في بنى أسد ، وحُجَي بن أخطب في يهود بنى قريظة . « وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » يعنى من
بطن الوادى من قبل المغرب ، وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه ،
وأبو الأعور السلمي من قبل الحندق . وقال ابن إسحاق : الذين جاءوا من فوقهم
بنو قريظة ، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان . « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ »
أى مالت وشخصت « وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ » زالت عن أماكنها حتى بلغت
الخلوق من الفرع . « وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا » قال : أما المنافقون فظنوا أن محمدا
صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيُقبلون ويُستأصلون ، وأما المؤمنون فافينوا أن
ما وعدهم الله حق ، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كَيْفَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ قال: أى أخبروا ومحضوا ، ليُعرف المؤمن من المنافق « وزُلْزِلُوا » : حُرِّكُوا وخُوفُوا « زِلْزَالًا » تحريكًا « شَدِيدًا » .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال : يعنى معتب بن قشير وأصحابه . « وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى شكك وضعف اعتقاد . وقد قدمنا فى أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن قشير فى هذه الغزوة .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا يَرْيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ . « قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ » أى من المنافقين : وهم أوس بن قيطي

وأصحابه ، قال مقاتل : هم بنو سالم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين : ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه ! فارجموا إلى المدينة . « وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ » فى الرجوع إلى منازلهم بالمدينة ، وهم بنو حارثة بن الحارث « يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ » أى خالية ضائعة ، وهى مما لى المدوّ ، وإنالخشى عليها المدوّ والشرّاق ،

قال : وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي « عَوْرَةٌ » بكسر الواو ، يعنى قصيرة الجدران فيها خلل وفُرْجة . وأخبر تعالى أنها ليست بعورة ، إن يريدون إلا الفرار .

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ قال : يقول : لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة « مِنْ أَقْطَارِهَا » جوانبها ونواحيها « ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ » الشرك « لَآتَوْهَا » أى لجأوها وقبلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا « وَمَا تَلَبَّثُوا » وما أحتبسوا

(١) «لَآتَوْهَا» من غير مد فراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (أى لجأوها) .

من الفتنة «إِلَّا سِيرًا» ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال : هذا قول أكثر المفسرين .

وقال الحسن والفراء : وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هلكوا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ

اللَّهِ مُسْتَوْلاً ﴾ قال : « عَاهَدُوا اللَّهَ » أى من قبل غزوة الخندق « لَا يُولُونَ »

عدوهم « الدِّبَارَ » قال يزيد بن رومان : هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا

مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها ، فذكر الله لهم

الذى أعطوه من أنفسهم .

وقال قتادة : هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله تعالى

أهل بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : إئن أنهدنا الله قتالا انتقاما . فساق الله

تعالى ذلك إليهم في ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي : هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة العقبة وقالوا له : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : « اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسى أن تمنعوني

مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم » . قالوا : فإذا فعلنا ذلك

فألنا يا رسول الله ؟ قال : « لكم النصر فى الدنيا والآخرة » . قالوا : قد فعلنا .

فذلك عهدهم ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسْتَوْلاً ﴾ أى عنه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْقِرَارُ إِنْ فَرَّغْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : أى الذى كتب عليكم ^(١) « وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا »

إلى آجالكم ، والدنيا كلها قليل .

(١) فى أ : « قل » . (٢) كذا فى كلا الأصلين . وفى الكشف والبيان ما بآتى :

« قل لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْقِرَارُ إِنْ فَرَّغْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ » الذى كتب عليكم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ أي نصرة ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : « الْمُؤْمِنِينَ » المتبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا » ودعوا عهدا فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك « وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ » الحرب « إِلَّا قَلِيلًا » دفعا وتعذيرا .
قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما عهد وأصحابه إلا أكلة رأس ، ولو كانوا الحما لأنهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقال مقاتل : نزلت في المنافقين ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا : ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه ! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ، وإنا لنشفق عليكم ، أتم إخواننا وجيراننا ، هَلُمْ إِلَيْنَا . فأقبل عبد الله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه ، وقالوا : ما ترجون من عهد ؟ فوالله ما يرفدنا بخير ، وما عنده خير ، ما هو إلا [أَنْ] يقتلنا هاهنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا . يعني اليهود ، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا وأحسابا .

وقال ابن زيد : لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه ، بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال : أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ! فقال : هلم إلى هذا ، والذي يحلف به لا يستقبلها عهد أبدا ، فقال : كذبت والذي

(١) أكلة رأس : أي هم قليل يشبههم رأس واحد . شرح القاموس (مادة أكل) .

(٢) يرفدنا : يعيننا . (٣) تكلة من الكشف واليان . (٤) في أ : « يزد » .

يُخالف به — وكان أخاه من أبيه وأمه — أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ أُخِجَتْ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أُخِجَتْ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ قال : « أُخِجَتْ » بخلاء « عَلَيْكُمْ » بالخبر والتفقه في سبيل الله ، وصفهم الله تعالى بالجن والبخل « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ » في رهوسهم من الخوف والجن ، أى كدوران [أعين] الذى يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ » أى عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذريعة ، وأصل السلق : الضرب . قال قتادة : يعنى بسطوا الستم فيكم وقت قسم الغنمة ، يقولون : أعطونا أعطونا ، فإننا قد شهدنا معكم القتال ، ولستم بأحق بالغنمة منا ؛ وأما عند الغنمة فاشح قوم وأسوأ مقاسمة ، وأما عند لباس فأجبن قوم وأخذله للحق . « أُخِجَتْ عَلَى الْخَيْرِ » يعنى الغنمة « أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا » .

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ يعنى هؤلاء يحسبون الجاعات لم ينصرفوا عن قتالهم ، وقد انصرفوا جئنا منهم وفرقا ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ ﴾ أى يرجعوا إليهم كرتة ثانية ﴿ يَوَدُّوا ﴾ من الخوف والجن ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْا ﴾ أى خارجون إلى البادية ﴿ فِي الْأَحْزَابِ ﴾ أى معهم ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم ، وما آل إليه أمركم ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعنى رياء من غير حسبة ، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

(١) ساطعة من : (٢) كذا في الكشف واليان : والذي في الأصول « ذريعة » وهو نصيف .

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١١﴾ قال : قوله : « أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » أى سنة صالحة ، [أَنْ] تنصروه وتؤازروه ، ولا تتخلفوا عنه ، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو ، إذ كُسرَت رِباعيته وجرح ، وقُتلَ عنه حمزة ، وأوذى بضروب الأذى ، فواساكم مع ذلك بنفسه ، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك ، واستنوا بسنَّته ﴿لَمِنَ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أى فى الرخاء والبلاء ، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » الآية ، قال : ووعد الله إياهم قوله : « أَمَّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكْمِلُنَّ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءَ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ قال : قوله : « صَدَقُوا » أى وفوا به . « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ » يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد . والنجب : النذر ، والنجب أيضاً : الموت ، قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَجْبَهُ فِي مَلْتَقِ الْقَوْمِ هَوْبِ

(١) زيادة عن الكشف والبيان .

(٢) فى | : « استنوا » ، وهو تحريف .

(٣) ساقطة من | . قال ابن هشام : « هو بر من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد

ابن هوبر » .

أى مات ، قال مقاتل : قضى نجبة ، أى أجله ، فقتل على الوفاء ، يعنى حمزة وأصحابه الذين استشهدوا بأحد ، وضوان الله عليهم . وقيل : قضى نجبة ، أى بذل جهده فى الوفاء بعهده ، من قول العرب : تحب فلان فى سيره يومه وليته ، إذا مد فلم ينزل ، قال جرير :

بَطْخَفَةَ جَالِدًا الْمَسْلُوكَ وَخَلَّنَا عَشِيَّةً سِطَاطِمْ جَرَيْنَ عَلَى تَحِبٍّ ^(١)

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » قال ابن إسحاق : ينتظر ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على [ما] مضى عليه أصحابه . « وما بدّلوا تبدّلا » أى ما شكروا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدّلوا به غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَيْضِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ يعنى قريشا وغطفان ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالِ ﴾ أى بالملائكة والريح ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ، وبيده الفضل والمنة .

ذكر غزوة بنى قريظة

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة خمس من مهاجرة . وقال ابن إسحاق : فى شتال منها .

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد ، دخل حديث بعضهما فى بعض ، قالوا : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون ،

(١) طخفة بكسر الطاء . وقحها : جبل احمر طويل حذاء آبار ومنبل ، قال صاحب اللسان :

« ويقال : جرّين على نذر » . (٢) لم تذكر فى ج .

ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل — عليه السلام — النبي صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق ، على بقلة عليها رخالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت إلا من طلب القوم : إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني أأمرهم فيزلزل بهم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، فأعطاه لواءه ، وقدمته إلى بني قريظة ، فسار [على] حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخاب ؛ قال : أظنك سمعت منهم لى أذى ؛ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال لهم : يا إخوان القردة ، هل أنزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا . ثم أنزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها : بئر أنا ؛ ويقال : بئر أنى ؛ وتلاحق به الناس ، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الاحتجار بالعمامة : هو أن يلقها الرجل على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه . (٢) الرحالة : سرج من جلود لا خشب فيها تقه للركض الشديد . (٣) في ج : « بالسير » . (٤) ساقطة من أ .

(٥) كذا ضبط في سيرة ابن هشام ، وفي شرح المواجب اللدنية أنوال في ضبطه (انظر المواجب ٢ : ١٥٤) - (٦) في أ : « عشا » .

وسلم . لا يصليّ أحد العصر إلا بنى قريظة . فشفلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلّوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا بنى قريظة ، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة ، وتحوّف ناس فوث الصلاة فصلّوا ، فما عتف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين ، ولا عليهم الله تعالى في كتابه .

قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المسامحة ، وهم ثلاثة آلاف .
والخيل ستة وثلاثون فرسا ، فحاصرهم خمسة عشر يوما . قاله ابن سعد .

٦٩
١٥

وقال ابن إسحاق : خمساً وعشرين ليلة أشد حصاراً حتى جهدهم الحصار ، وفذف الله في قلوبهم الرعب . وكان حُيي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم فريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :
يا معشر يهود ، قد نزل بكم ما ترون ، وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثاً ، نخذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتائج هذا الرجل ^(١) [و] نصّقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فثامنون على دماءكم وأموالكم وأبناؤكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم النوزاة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتم هذه فهلّم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى مجد وأصحابه رجالاً مصلّين السيوف ، لم تترك وراءنا قتيلاً حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدت النساء والأبناء ، قالوا : نفعل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن اللبلة لبلة السبت ، وإنه عسى أن يكون مجد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فأنزّلوا علينا نصيب من مجد وأصحابه غيرة ، قالوا : نفسد علينا سبتنا ، وتحدث فيه ما لم يحدث

(٢) في ١ : « خير في البش » .

(١) ساقطة من ١ .

من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يتخف عليك من المسخ ؛ قال : ما بات
 منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة [واحدة] من الدهر حازما . ثم بعثوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا ؛ فأرسله
 إليهم ، فلما راوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ،
 فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن تنزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار
 بيده إلى حلقه ، أي إنه الذبح ، قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدماى من مكانهما
 حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال :
 لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي . قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو كان جاءني لأستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل
 فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فانزل الله تعالى فيه : « وَآخِرُونَ
 اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ » . قالت أم سلمة رضي الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من السحر وهو يضحك ، فقلت : مم تضحك اخحك الله سنك يا رسول الله ؟ .
 قال : يئيب على أبي لبابة . قالت : فقلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال :
 بلى ، إن شئت . فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب ،
 فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه
 فقال : لا والله ، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده ؛ فلما مر عليه خارجا
 إلى صلاة الصبح أطلقه .

(١) ساقطة من أ . (٢) اختار بنو فريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم .
 (٣) جهش : فزع وأسرع . (٤) كذا في الأصول . وفي ابن هشام والمواهب اللدنية
 والطبري : « ما زالت » .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجذع ستَّ ليالٍ ، تأتبه امرأته في كلِّ وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم تعود فتربطه : ^{محرر} **معين التارخ** ^{لأهل التارخ}

هذا ما كان من أمر أبي لبابة ، وأما يهود فإن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسدي بن عبيد ، وهم نفر من هذَل ، قال ابن إسحاق : ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرطبي - فرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي عثرات الكرام ؛ ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه ، فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه ؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق . والله أعلم .

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وسؤال الأوس فيهم ؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم

بحكم الله تعالى وقتلهم

قال : ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت

(١) كذا في ابن هشام ، والمواهب اللدنية . والاسنياب ، والعلوى . وفي الأصول : « أسعد » .

(٢) كذا في الأصول : وفي بعض نسخ ابن هشام : « إقالة عثرات الكرام » .

في موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت . يعنون بنى قينقاع لما أطلقهم صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي بن سلول^(٢١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فذاك سعد بن معاذ . وكان سعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رُقيدة ، كانت تدأوى الجرحى محسبة ، فأتاه قومه فحملوه على حمار ، ووطئوا له بوسادة من آدم ، ثم أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون له : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاءك^(٢٢) ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكرموا عليه قال : لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه [من قومه^(٢٣)] إلى دار بنى عبد الأشهل ، فتنبى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ، لكلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيدكم " . فاما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ والأنصار يقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاءك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وعلى من ها هنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء . فقال

(١) في أ : « أطلقهم رسول الله » . (٢) في أ : « أبي سلول » . (٣) في أ : « ولبك »

(٤) ساقطة من أ . (٥) القراري : الأولاد الذين لم يلقوا الحلم .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة :
 أى من فوق سبع سموات ، ويقال : إن اليهود سألوا أن يتركوا على حكم سعد بن معاذ .
 والله تعالى أعلم .

قال : ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع
 خلون من ذى الحجة ، وأمر بهم فأدخلوا المدينة ، فحبسهم في دار بنت الحارث
 امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ،
 فحفر بها خنادق ، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا ،
 ففُضِرَت أعناقهم ، وفيهم حُيَ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، واختلف في عددهم
 فقيس : كانوا ستائة أو سبعائة . وقيل : بين الثمانائة والتسمائة ؛ قال : وقالوا
 لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
 يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي
 لا يترع ، وأنه من ذهب [به] منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! قال : وأنى يحيى
 ابن أخطب ، وعليه حلة [له] فتأخذه قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة ،
 لئلا يسأبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يتخذل الله يُخذل . ثم أقبل

(١) سبعة أرقعة : قال ابن دريد : أرقعة : (جمع رقع) بذكر العدد على معنى السقف ، إذ السماء
 مؤنث سماعا فقباه سبع أرقعة بتأنيث العدد . وصحبت السماء رقيقا لأن بعضها كان برقع بعضا . وبعضهم
 يجعل الرقيق السماء الدنيا لاغير ، وكأنها رقت بالنجوم .

(٢) في ١ : « فأدخلهم » . (٣) أرسالا : أقواجا وفرقا .

(٤) ساقطة من ١ . (٥) ساقطة من ١ . (٦) فتأخذه : أى بلون الورد حين هم
 أن يشتفح . وقى الأصل : « فتأخذه » وهو تحريف .

على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ومصلحة كتبت على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبّل بن جَوال التعلبي :
 لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يُخْذِل الله يُخْذِل
 بلْهَامِد حتى أبلغ النفس عُدْرَهَا * وقلقل^(١) يبغى العز كل مُقلقل

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
 لم يُقتل من نسايتهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تحدث معي ،
 ونضحك ظهرا وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ،
 إذ هنف هانف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ؛ قلت لها : ويحك !
 مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق
 بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجباً منها ، طيب نغمها ،
 وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال الواقدي : واسم تلك المرأة : بِنَانَة^(٢)
 امرأة الحكم القرظي ؛ وكانت قتلت خلاد بن سويد ، طرحت عليه رحي ، فضرب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه بخلاد بن سويد . قال : وكان علي بن أبي طالب
 والزبير بن العوام رضى الله عنهما يضربان أعتاق بني قريظة ، ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم جالس هناك .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى
 أبا عبد الرحمن — وكان قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية [يوم بُعث^(٣)]
 أخذه بغير ناصيته ثم خلى سبيله — بغاء ثابت يوم قريظة ، وهو شيخ كبير فقال :

- (١) قلقل : تحرك . (٢) في أ : « ضرب » . (٣) كذا في الطبري ، والاستيعاب ، والقرطبي ، وأحد النباة . وفي الأصول : « رواية » .
 (٤) ساقط من أ . (٥) في أ : « بغا » .

يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال : وهل يحول مثلني مثلك ؟ قال : إني قد
 أن أنب أجزيك بيدك عندي ؛ قال : إن الكريم يحزى الكريم ؛ ثم أتى ثابت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، قد كانت للزبير عندي يد ،
 وله على منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ؛ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي
 دمك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أحله وولده ؛ قال : هم لك . فأتاه فقال :
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك ، فهم لك ؛ قال :
 أهل بيت بالجواز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماله ؛ فقال : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك ؛ قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه
 امرأة صينية يتراءى فيه عذارى الحى^(١) ، كعب بن أسد ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل
 سيد الحاضر والبادى حبي^(٢) بن أخطب ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل مقدمتنا إذا
 شددنا ، وحاميتنا إذا كررنا ، عزال بن سمول^(٣) ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل
 المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة ، وبنى عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا وقتلوا ؛
 قال : فإني أسألك بيدى عندك يا ثابت إلا ألحقننى بالقوم ، فوالله ما فى العيش^(٤)

(١) فى سيرة ابن هشام : « فيها » .

(٢) كذا فى ج ، والطبرى . وفى أ ، وفى هامش ج : « غدونا » وفى ابن هشام : « فر ؟ » .

(٣) كذا فى إسناع الأصماع ، وفى سيرة ابن هشام . وفى الأصل : « سمول » وقد ذكر فى الطبرى

بروايات مختلفة ، راجع القسم الأول ٣ ، ٤ ص ١٤٩٦ .

(٤) كذا فى ج ، وسيرة ابن هشام . وفى أ : « بيدك عندي » .

بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قبله^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأجرة . فقدّمه
ثابت فضرب عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأجرة » قال : يلقاهم
والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا .

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس :

وَقْتُ ذِمَّتِي أَتَى كَرِيمٌ وَأَنْتَى * صَبُورًا إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ^(٢)
وَكَانَ زَيْبٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِثْبَةً * عَلَى فَلَمَّا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَمْرِ^(٣)
أَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكَةً * وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِحِرَالِنَا يَجْرَى

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أثبت منهم ، فسأله
سلي بن بنت قيس بن المنذر أخت سليط بن قيس — وكانت إحدى خالات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد صلت معه القبيلتين ، وبايعته ببيعة
النساء — على رفاعه بن سمّوّل الفرطى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفها ،
فألت : يا نبي الله ، بأبى أنت وأُمّى ، هب لى رفاعه بن سمّوّل ، فإنه قد زعم أنه
سيصلى وبأ كل لحم الجمل . فوهبه لها ، فاستحيته .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفنائم بضمعت ، فأصطفى لنفسه
رَبِيعَةَ بنت عمرو بن خُثَافَة إحدى نساء عمرو بن قريظة ، ثم أخرج الخمس من

(١) قبله دلو ، أى يتقدّم ما يقبل الرجل الدلو ليصبا في الخوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون
إلا عن استعجال وسرعة . وذكر أبو عبيد الحديث فقال : « قال الزبير : يا ثابت ، ألقني بهم ،
فلمست صابرا عنهم إفراغة دلو » .

(٢) فى ١ : « عادوا » .

(٣) كذا فى ج . وفى ١ : « كوعاه » .

المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكانت السهمان على ثلاثة آلاف واثنتين وسبعين سهما، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى حجة بن جزة^(١) الزبيدي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الزنة، وهى السَّفَط من متاع البيت.

وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أحد بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد، فأبتاع له بهم خيلا وسلاحا.

وأستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصارى الخزرجى، طُرحت عليه رَحَى فشدخته شدا شديدا، ومات أبو سنان ابن مخضن بن حُرثان، أخو بنى أسد بن خزيمه.

٧٢
١٥

وانزل الله عز وجل في شأن بنى قريظة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ قال: قوله: «الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ» يعنى قريظة ظاهروا قريشا وغطفان «مِنْ صَاحِبَيْهِمْ» أى حصونهم ومعاقلهم، واحدتها صِيبِيَّة «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» وهم الرجال «وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا» وهم النساء والذراري «وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها» قال يزيد بن رومان [وابن^(٢)]

(١) كان من مهاجرة الحبشة، فاستمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنحاس.

(٢) سافطة من أ.

زيد ومقاتل : يعني خير . وقال قتادة : كنا نحدث أنها مكة . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

ذكر سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق البصري بخير

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت هذه السرية بعد غزوة بني قريظة . فتكون في ذي الحجة سنة خمس من الهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في ذي الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بخير .

قال محمد بن إسحاق : لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . فنذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، ففرج إليه من الخزرج خمسة نفر ، وهم : عبد الله ابن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخرأعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم .

قالوا : وكان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام . وفي الطبقات : « الأسود بن خراص » .

(٢) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « قال » .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدا
أو امرأة ، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكنوا ، فلما هدت الرجل جاءوا إلى منزله
فصعدوا درجة له ، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية ، فاستفتح
وقال : جئت أبا رافع بهدية . فتفتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح أرادت
أن تصيح ، فأشار إليها بالسيف فسكت ، فدخلوا عليه فقلعوه بأسياهم ^(١) ، قال
ابن أبيس : وكنت رجلا أعشى لا أبصر ، فانكأْتُ بسيفي على بطنه حتى سمعت خَشَّة
في الفرائش ، وعرفت أنه [قد] قضى ، وجعل القوم يضربونه جميعا ، ثم تزاولوا
وصاحت امرأته ، فتصالح أهل الدار . قال ابن إسحاق : وكان عبد الله بن [عتيك] ^(٢)
سبي البصر ، فوقع من الدرجة فوثقت يده وثقتا شديدا ، قال ابن هشام : ويقال :
رجله ؛ قالوا : غملتناه حتى أتينا منبرا من عيونهم — والمنابر ؛ واحدتها منبرة ، وهو
فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها ثيابهم — فدخلنا فيه .

قال محمد بن سعد : وخرج الحارث أبو زبيب في ثلاثة آلاف في آثارهم
يطلبونهم بالنيران ، فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن
الطلب . قال ابن إسحاق : فقلنا : فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ فقال
رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، فوجده ورجال
من يهود حوله ، وامرأته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما
والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت [نفسي] ^(٣) وقلت : ابن عتيك بهذه البلاد !

(١) كذا في ج . و ١ : « قلعه سيافهم وهو تصحيف » . (٢) ساقطة من أ .

(٣) في الأصول : « عبد الله بن أبيس » . والتصويب من ابن هشام ، وأسد الغابة ، والمراهب

اللدنية ، والطبري .

(٤) الوث : صدع بصيب الحم ولا يبلغ العظم فريم ، وقيل : هو توجع في العظم من غير كسر .

(٥) تكلمة من ابن هشام .

ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول^(١) : قاط^(٢) وإله يهود . قال : فما سمعت كلمة كانت
الذ في نفسى منها ؛ وجاء فأخبرهم بالخبر ، قالوا : فاحتملنا صاحبنا ، وقدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ،
كلنا يدعيه ، فقال : هاتوا أسياقكم . فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله
ابن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال الشيخ شرف الدين [عبد المؤمن]^(٣) بن خلف الدمياطى رحمه الله في سيرته :
وفي حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، قال : وهو الصواب .
والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى في قتل سلام بن أبي الحقيق وابن
الأشرف :

له دز عصاية لاقيتم	يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كأسيدي في عرين مغرف ^(٤)
حتى أتوكم في محل دياركم	فسقوكم حتفاً يبيض ذقف ^(٥)
مستصرين لنصر دين نبيهم ^(٦)	مستصرين لكل أمرٍ يحجف ^(٧)

(١) في ج : « ثم قالت » . (٢) قاط : مات .

(٣) نكتة من ج .

(٤) في رواية : « بالبيض الرقاق » يعني السيوف . مرحاً : نشاطاً . عرين مغرف : قال أبو ذر
الخشنى في شرح السيرة ج ٢ ص ٣٢٦ : « العرين : غاية الأسد . ومغرف ملفف الأغصان » .

(٥) ذقف : سربة القتل .

(٦) في ديوان حسان : « مستصرين » .

(٧) ويحجف : ذاهب بالنفوس والأموال .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وهم بنو قُرط

وَقُرَيْط من بني كلاب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم ، على رأس تسعة وخمسين شهرا من مهاجرة في ثلاثين راجعا إلى القرطاء ^(١) ، وهم يتولون بناحية ضرية وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، فقتل نفرا منهم ، وهرب سائرهم ، واستاق نعاما وشاء ، ولم يعرض للظعن ، وانحدر إلى المدينة ، فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، وقصص ما بقى على أصحابه ، فمدلوا الجزور بعشرين من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا ، والغنم ثلاثة آلاف شاة . وغاب سبع عشرة ليلة ، وقدم لليلة بقيت من المحرم .

ذكر غزوة بني لحياث بناحية عسفان ^(٢)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة على ما أورده محمد بن سعد . وقال محمد بن إسحاق : في جمادى الأولى سنة ست .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه

— أصحاب الرجيع — وجدا شديدا ، فأظهر أنه يريد الشام .

قال ابن سعد : وعسكر لفترة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ، معهم عشرون فرسا ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن غُرَّان ، وبينها وبين عسفان خمسة أميال ، حيث كان مصاب

(١) كذا ضبطه صاحب المصابيح اللدنية ، وانظر ج ٢ : ١٧٣

(٢) ضربة : قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب .

(٣) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة .

أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت [بهم]^(١) بنو لحبان، فهربوا في رهوس
الجلال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية،
فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عصفان، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة، وهو يقول: "آيئون ثابتون عابدون، لرَبنا حامدون، أعوذ بالله من
وَعَثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال". وغاب عن المدينة
أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قرد^(٢)

وهي على برید من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من
مهاجرة.

قالوا: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لَفْحَةً^(٣) ترعى بالغابة، وكان
أبو ذر فيها، فأغار عَيْنَةُ بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا
ابن أبي ذر.

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غِفَار وامرأة [له]^(٤)، فقتلوا الرجل
وحملوا المرأة [في اللقاح]^(٥). وجاء الصريح، فنودي: الفزع الفزع! فنودي:

(١) سافعة من أ.

(٢) في أ: « فهربت ».

(٣) فرد: بفتح القاف والراء، وحكى الضم فيهما، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه.

(٤) اللقحة: الناقة ذات اللبن القرية العهد بالولادة.

(٥) زيادة عن ابن هشام.

«يا خيل الله اركبي» ؛ وكان أول مانودي بها ؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فخرج غداة الأربعاء ، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو ، وعليه الدرع والمغفر
 شاهرا سيفه ، فبعده رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء في رحله ، وقال : امض
 حتى تلاحقك الخيول ، وأنا على أثرك . واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخلف سعد بن عبادَةَ في ثمانية من قومه
 يحرسون المدينة . قال المقداد : فخرجت فأدركت أنحرِيات العدو ، وقد قتل
 أبو قتادة الحارثُ بن ربيعي حبيب بن عُينة بن حصن ، وغشاه برده ، فلما أقبل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، فرأوا حبيبا مسجى ^(١) يبرد أبي قتادة [فاسترجع
 الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس
 بأبي قتادة] ، ولكنه قتل لأبي قتادة وضع عليه برده ، لنعرفوا أنه صاحبه .
 وقال ابن سعد : إن الذي قتل حبيبا هو المقداد بن عمرو ، قتله وقتل قِرْقرة بن ^(٢)
 مالك بن حذيفة بن بدر ، وإن أبا قتادة قتل مسعدة ، فأعطاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرسه وسلاحه ، وأدرك عكاشة بن محصن أبا بارا وابنه عمرو بن أوبار ،
 وهما على بعير واحد ، فقتلها . واستشهد من المسلمين يومئذُ محرز بن نضلة ، قتله
 مسعدة ، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجليه ، فجعل يراهمم بالنبل ^(٣)
 ويقول :

خذا وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع ^(٤)

(١) مسجى : متطلى . (٢) ما بين القوسين ساقط من (٣) كذا في ابن سعد ،
 والمواهب اللدنية ، والطبری . وفي الأصل : « قرة » . (٤) في ابن سعد : « آثار » . يضم
 الحزمة . (٥) كان شجاعا داما يسبق الفرس ، وما كذب قط . (٦) يوم الرضع : بمعنى يوم
 هلاك النعام ، من قومه : لثيم راضع ، أى رضع اللثيم في بطن أمه . وقيل : معناه اليوم يعرف من ارتضعته
 الحرب من صفه وتدريبها ، ويعرف غيره . راجع المواهب ج ٢ : ص ١٨٢ .

حتى انتهى إلى ذى قرد — وهى ناحية خير مما يل المستناخ — قال سلمة : فلاحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء، فقلت : يا رسول الله، إن القوم عطاش، فلو بعثنى فى مائة رجل استنقذت ما فى أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملكت فأصحيح »؛ ثم قال : « إنهم الآن يقرون فى غطفان »^(١) . وذهب الصريح إلى بنى عمرو بن عوف، بغضات الأمداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على أفدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد ، فاستنقذوا عشر لفاص ، وأفلت القوم بما بقى ، وهى عشرة ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف، وأقام يوما وليلة يتحسس الخبر، وقسم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها، وكانوا نحمانا ، وقيل : سبعمائة .

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدى إلى الغمر^(٢)

غمر مرزوق ، وهو ماء لبى أسد على ليلتين من قيد

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر فى أربعين رجلا ، فخرج سريعا ، فنذر به القوم فهربوا ، فقتلوا عليا بلادهم ، ووجدوا دارهم خلوا ، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة ، فرأى أثر النعم ، فحتملوا فأصابوا ربيعة

(١) السرح : المال السائم المرسل فى المعرى . (٢) ملكت فأصحيح ، أى فدرت عليهم فارفق وأحسن المنور . (٣) يقرون : يفتح الراء وضما من القرى ، وهى الضيقة . وقيل : معنى ضم الراء أنهم يجمعون الماء والابن . (المواهب ٢ : ١٨٣) .

(٤) فى الأصول ، وكذا فى المواهب : « غمر مرزوق » . وما أثبتناه عن الطيقات وفى معجم البلدان : غمرة ، فقد جاء فيه ما نصه : « وقال ابن الفقيه : غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد ، أغراها النبي صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن » .

(٥) نذر : علم . (٦) أى أصحاب ديارهم غائبين .

(٧) ربيعة : طليعة .

لهم ، فأمّنوه ، فدّهم على نّهم لبّى عمّ له ، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير ، وأرسلوا الرجل ، وحدّروا النّعم إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذى القصة

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة ، وهم بذى القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة ، وبين ذى القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، طريق الرّيدة ، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم [ليلا] فأحلق به القوم وهم مائة رجل ، فتراموا ساعة من اللّيل ، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوه ، ووقع محمد بن مسلمة جريحا ، يضرب كعبه فلا يتحرك ، وجردوه من الثياب ، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة لحمله حتى ورد به المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا ، ووجدوا نّما وشاء ، فساقه ورجع .

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجرة في أربعين رجلا من المسلمين ، وسيب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجذبت ، ووقعت سخابة بالمراس إلى تغلّمين ، والمراس على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السخابة ، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا — موضع على سبعة أميال من المدينة — فبعث رسول الله

٧٥
١٥

(١) حدروا : ساقوا . وفي ١ : « قدروا » . وهو تحريف .

(٢) ساقطة من ١

صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومن معه حين صلّوا المغرب ، فمشوا ليلتهم حتى وافوا
 ذا القصة مع عمّاية الصبح ^(١) - وهي موضع في طريق العراق - فأغاروا عليهم
 فأعجزوهم هربا في الجبال ، وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه ، وأخذ نهما من نعمهم
 فاستاقه ورثته من متاعهم . وقدم المدينة بذلك ، فخمسه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم ما بقي عليهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر
 سنة ست من الهجرة إلى بنى سليم ، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم - ناحية
 بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد - فأصابوا عليه
 امرأة من مزرنة يقال لها : حليلة ، فدلّتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا
 فيها تمّاء وشاء وأسرّى ، فكان فيهم زوج حليلة المزنّة ، فلما قفل زيد بن حارثة
 بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للزنية نفسها وزوجها ، فقال بلال
 ابن الحارث المزنّي في ذلك :

لعمرك ما أخنى المسؤل ولا ونّت ^(٢) حليلة حتى راح ركبهما معّا

(١) عمابة الصبح : يقال : لفته في عمابة الصبح ، أى في طلبه قيل أن أنبيته .

(٢) هذا ما ذكره المؤلف : وفي معجم البلدان ما يأتى : « قال السكوني : ذو القصة : موضع بين
 زباله والشفوق ، دون الشفوق بميلين ، فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا
 الموضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح ، أرسله إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الرقة : السقط من متاع البيت .

(٤) أخنى : أخش . وفى أ : « أخنى » .

(٥) فى أ : « دنت » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لعير قريش

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة ست من مهاجرة
 في سبعين ومائة راكب إلى العيص — وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها
 وبين ذى المروة ليلة — وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقريش
 قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ
 يومئذ قبضة كثيرة لصقوان بن أمية، وأسروا ناسا ممن كان في العير، منهم
 أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، ونادت في الناس حين صلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الفجر: إني قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: [ما علمت بشيء من هذا] قد أجرتنا من أجرت. ورد عليه ما أخذ له^(١)
 كما تقدم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطريف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجرة إلى
 الطريف — وهو ماء قريب من المراض، دون التخييل، على ستة وثلاثين ميلا من
 المدينة، طريق البقرة على الحجبة — فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا
 فأصاب نهما وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهى عشرون
 بعيرا، ولم يلق كيدا، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أيت أيت».

(١) ابن القوسين ساقط من أ.

(٢) في أ: «ما أخذه». وفي الطبقات: «ما أخذه».

ذكر سريّة زيد بن حارثة إلى حَسَمَى ، وهي وراء وادى القُرَى

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حَسَمَى
في جمادى الآخرة أيضا ، وذلك أن دِحْجَةَ بن خليفة الكلبي أقبل من عند قبصر
صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكَابِه ، وقد أجازته ^(١)
وكساه ، ومع دِحْجَةَ تجارة له ، حتى إذا كان بواد يقال له : شَتَان أو شَتَان ، أغار عليه ^(٢)
الهُنَيْد بن عارض ، وقيل : [ابن عَوْص ؛ وأبنة عارض بن الهنيد ، وقيل :] عَوْص ^(٣)
ابن الهنيد ، الضُّلَيْيَان في ناس من جذام بحسمى ، ففقطعوا عليه الطريق وأخذوا
ما معه ، فلم يتركوا عليه إلا سَمَل ^(٤) ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضُّبَيْب — [رجط ^(٥)
رفاعة بن زيد من كان أسلم وأجاب — فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بني الضُّبَيْب ^(٦)
النعمان بن أبي جمال حتى لقوهم فاقتتلوا ، وانتهى يومئذ قُتْرَة بن أشقر الضُّفَارِي ^(٧)
ثم الضُّلَيْي ، فقال : أنا ابن بُنِي ؛ ورمى النعمان بهم فأصاب ركبته ، وقال : خذها
وأنا ابن بُنِي ؛ ولُبْنَى أمه ، ثم استنفذوا لِدِحْجَةَ متاعه ، وقدم دِحْجَةَ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه
دِحْجَةَ ، فكان زيد يسير الليل ويكنّ النهار ومعه دليل من بني عُدْرَة ، فأقبل بهم
حتى هم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيد

(١) أجازته : أعطاه جائزة . وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفا على ملكه .

(٢) كذا في معجم البلدان والطبري . وفي الأصل : « شيار » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) الضليح : بطن من جذام .

(٥) سمل ثوب : أي الخلق من الثياب .

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٧) في أ : « الضفدي » .

وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونساءهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة، فرحل رفاعه^(١) بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليألى قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحزم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما. فقال: كيف أصنع بالقتل؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: يا رسول الله، أطلقنا من كان حيا، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق أبو يزيد، فبعت معهم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخل بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجه على رضى الله عنه، فلقى رافع بن مكيت الجهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القدوم، فردعا على عليهم، ولقى زيدا بالفحلين^(٢) — وهى بين المدينة وذى المروة — فأبلغه [أمر]^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزده عليهم كل ما كان أخذ منهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى^(٥)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة إلى وادى القرى أميرا في شهر رجب سنة ست من الهجرة. ولم يذكروا غير ذلك.

(١) قدم رفاعه هذا على النبي صلى الله عليه وسلم في حدة المدينة في جماعة من قومه فأسلوا، وعقد له رسول الله على قومه، وكتب له كتابا إلى قومه فأسلوا. وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعه بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فنأقبل فحقب الله وحزب رسوله، ومن أذبر فله أمان شهرين». راجع شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٢.

(٢) كذا في الطبقات، ومعجم البلدان. وفي الأصل: «بالفحلين» وهو تحريف.

(٣) سافعة من أ. (٤) في أ: «فأبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم».

(٥) وادى القرى: واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة.

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١)

قال محمد بن سعد رحمه الله : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من هجرته ، فأقمده بين يديه وعممه بيده وقال : اغزُ بِسْمِ اللَّهِ ، وقاتل في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل^(٢) ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا . وبعثه إلى كُتُب دومة الجندل ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل ، فبكت ثلاثة أيام يدعوهن إلى الإسلام ، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانيا وهو رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن ثُمَاضِر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بقَدَك

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بقَدَك في مائة رجل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار على رضي الله عنه بمن معه ، فكان يسير الليل ويكن النهار حتى انتهى

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

(٢) في طبقات ابن سعد : « اغز باسم الله وفي سبيل الله » .

(٣) غل : خان كأغل .

(٤) في ١ : « إلى دومة الجندل » .

(٥) كذا في ١٠ وفي ج : « بنت » .

إلى الصَّحْج^(١) - وهو ماء بين خير وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال : أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأمنوه فقدم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبرز عليهم، فعزل على رضى الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقوفا تدعى الحفيدة، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيدا .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى وقتل أم قرفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل زيد بن حارثة، وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .

وقال محمد بن إسحاق : إن الذى أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادى القرى، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه، وأرث زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هى التى كانت في شهر رجب من السنة .

(١) في الأصول : « التَّحْج » ، وصوابه من الطبقات، واقتصر جمع البلدان .

(٢) الصفى : ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٣) في هامش ج : « الحفدة : السرية » .

(٤) في هامش ج : « استبل ، أى نوق » . وفى أ : « استبل » .

(٥) أرث : حل من المركة وثبات ، أى جري مجاربه ونحوه .

قال ابن سعد: نخرج زيد بن حارثة بمن معه فكنوا النهار وساروا الليل، ونذرت^(١) بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم لحزن بن أبي وهب، قال: وعهد قيس ابن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعها^(٢)، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عربا نا يجر ثوبه حتى اغتشفه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفروه الله به.

١٠ ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر^(٣)

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أقرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سرا

(١) نفرت بهم: علوا بهم لحذرهم.

(٢) بالحاضر، أي بين حضر هناك من فزارة.

(٣) في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أتت زيدا امرأة فلما كذلك لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها، وولده ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمدا».

(٤) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٥) في الأصول: «زارم»، والتصويب من المواهب وابن هشام.

فسأل عن خبره ^(١) وغيرته ، فأخبر بذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له ، قال : نعم ، ولى منكم مثل ذلك ، قالوا : نعم ، فقالوا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك . فقطع أسير في ذلك ، فخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود ، مع كل رجل رديف ^(٢) من المسلمين ، حتى إذا كانوا بقرقرة ثيار ^(٣) ندم أسير ، قال عبد الله ابن أنيس — وكان في السرية : فاهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت : غدرأى عدو الله ! فعل ذلك مرتين ، فزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف ، فاندثرت عامة نخذه وساقه ، وسقط عن بعيره وبيده ^(٤) مخزوش من شوحط ، فضربني به فشجني مأمومة ، ^(٥) ^(٦) ^(٧) ويلنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين . وتفل صلى الله عليه وسلم على شجرة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه .

(١) غرته : غفله .

(٢) الرديف : الذي يركب خلف الراكب .

(٣) قرقرة ثيار : موضع على ستة أميال من خير .

(٤) اندثرت : قطعت .

(٥) المخزوش والمخزوش : عصا معوجة الرأس كالصولجان .

(٦) شوحط : من شجر الجبال تنخذ منه القسي .

(٧) شجرة مأمومة : يلفت أم الرأس .

ذكر سرية كُزَّز بن جابر الفهري إلى العُرينين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : قدم نفر من عُرينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستوبشوا المدينة ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وكانت ترى بذي الجحدر — ناحية قُباء قريباً من عير ، على ستة أميال من المدينة — فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا ، فعدوا على اللقاح فاستاقوها ، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر ، فقاتلهم ، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فبعث في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُزَّز بن جابر الفهري ، فأدركهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، فخرجوا بهم نحوه ، فلقوه بالزغبة ^(١) بمجتمع السيول ، فأمر بهم فُقطعت أيديهم وأرجلهم ، وُسِّمَتْ أعينهم ، وُصِّلوا هنالك . وأُنزل الله تعالى على رسوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . فلم يسمل بعد ذلك عينا ، وكانت اللقاح خمس عشرة لُقحة غزارا فردوها إلى المدينة ، ففقد منها لُقحة تدعى الحناء ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، ففيل : نحروها .

(١) استربشوا : استرحموا . وفي ١ : « استرا » .

(٢) في ١ : « وكسروهم » .

(٣) ضبطت في القاموس بضم الزاي ، وفي معجم البلدان بفتحها .

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم

إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد في طبقاته : وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفسه
 من فريش : ^(١) إلا أحد يغتر عدا فإنه يمشی في الأسواق ؟ فأتاه رجل ^(٢) [من الأعراب]
 فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلبا ، وأشدّه بطشا ، وأسرعه شدا ، فإن أنت
 قوينني نخرجت إليه حتى أغتاله ، ومعى خنجر مثل خافية النسر ؛ قال : أنت
 صاحبنا ، فأعطاه بعيرا وثقة ، وقال : اطو أمرك ؛ فخرج ليلا فصار على راحته نحسا
 وصبيح ظهر الحزّة صبح سادسة ، ثم أقبل فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى دُلَّ عليه ، فعمِل راحته ، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
 في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ^(٣) «إن هذا
 يريد غدرا» . فذهب ليخبرني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغذبه أسيد بن الحضير
 بداخله إزاره ، ^(٤) فإذا بالخنجر ، فسقط في يده ، وقال : دمي دمي ! وأخذ أسيد بلبنته
 فدعته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(٥) «اصدقني ، ما أنت ؟» قال : وأنا آمن ؟
 قال : نعم ؛ فأخبره بخبره ، فغفل عنه صلى الله عليه وسلم .

- ١٥ (١) ينتر ، أى يأتيه على غفلة . وفي الأصول : « ينتر » ، وصوابه عن المواهب فيما نقله عن
 الطبقات . (٢) كذا في - . وفي أ : « فيمشى » . (٣) ساطعة من أ .
 (٤) كذا في الأصل ، والطبقات . وفي المواهب : « أشدهم ، وأسرعهم » .
 (٥) خافية النسر : ريشة صغيرة في جناح النسر ريشات التي في مقدم الجناح .
 (٦) بداخله إزاره ؛ أى طرعه وحاشيته من داخل .
 (٧) سقط في يده : أى ندم . (٨) دعته : أى خفقه أشد الخلق . وفي أ ، « وه » ،
 والطبقات : « فدعته » بالادال المهملة . وفي هامش - : « دعته » : إذا خفقه أشد الخلق . وهو
 محرف . والصواب « دعته » بالفتح المعجمة في الجميع .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسلمة بن أسلم ابن أبي حريس^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال : إن أصبنا منه غيرة فاقفاه ؛ فدخل مكة ، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا ، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه ، وأخبر قريشا بمكانه ، فخافوه وطلبوه ، وكان فائقا في الجاهلية ، وقالوا : لم يأت عمرو لخبر ؛ فحشد له أهل مكة وتجمعوا ، فهرب عمرو وسلمة ، فلقى عمرو عبيد الله ابن مالك بن عبد الله التميمي^(٢) [فقتله^(٣)] وقتل آخر من بنى الدليل ، سمعه يتغنى ويقول :

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدِين دينَ المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسان الخبر ، فقتل أحدهما وأسر الآخر ، [فقدم به المدينة^(٤)] بفعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله يضحك ؛ هكذا حكى محمد بن سعد .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري ، ومعه جبار بن صخر الأنصاري ، وذلك بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه ، قال : فخرجنا حتى قدما مكة ، وحسبا بجليهما بشعب من شعاب^(٥) يأبج ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبار بن صخر لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؛ قال عمرو : فطفنا وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لننشى بمكة إذ نظر إلى رجل فعرفني ، فقال : عمرو بن أمية ، والله إن قديمها إلا لشر ؛ فقلت لصاحبي : النجاء ؛ فخرجنا نشتد حتى أصدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يأسوا منا ، فدخلنا كهفا

٧٩
١٥

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام : « ابن حريس » .
(٢) كذا في الأصول . وفي المواهب ، والطبقات : « عبيد الله » .
(٣) ساقط من أ . (٤) نكبة من ج . (٥) يأبج : اسم موضع بمكة .

في الجبل فبتنا ، وقد رَضَّمتنا دوتنا حجارة ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش
يقود فرسا له ، فغَشَّبتنا ونحن في الغار ، فقلت : إن رأنا صاح بنا فتؤخذ فنقتل ؛
قال : نخرجت إليه فضربته على ثديه بخنجر كنت قد أعددت له لأبي سفيان ،
فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، ورجعت فدخلت مكاني ، وجاءه الناس يشتدّون
وهو بأخر رمق ، فقالوا : مَنْ ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية . ومات لوقته ، ولم
يدلّ علينا ، فاحتملوه ، فقلت لصاحبي لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة
نريد المدينة ، فررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب ، فقال أحدهم : والله ما رأيت
كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو ؛ قال : فلما
حاذى عمرو الخشبة شدّ عليها واحتملها ، وخرجا شدّا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرُفا
بمهبّ مسيل يأتيح ، فرمى بالخشبة في الجُرف ، ففيه الله عنهم ، فلم يقدرُوا عليه . قال
عمرو : وقلت لصاحبي : النجاء ، حتى أتى بعيرك فتقعّد عليه ، فإني سأشغل عنك
القوم ؛ قال : ومضيت حتى خرجت على صُحَّبان ، ثم أويت إلى جبل فدخلت
كهفا ، فبينما أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدَّبل أعور ، في غُنيمة له ؛ فقال :
مَنِ الرجل ؟ قلت : من بني بكر ، فَرَبَّ^(١) أنت ؟ قال : من بني بكر ؛ فقلت :
مرحبا ؛ فاضطجع ، ثم رفع عقبرته فقال :

ولست بمسلم ما دمت حيّا * ولست أدِينُ دينَ المسلمينَا

(١) رضم الحجارة : جعل بعضها على بعض .

(٢) كذا في الأصل . وفي ابن هشام : « نديه » .

(٣) صُحَّبان : اسم جبل قرب مكة .

(٤) كذا في ب . وفي أ : « فقلت : من بكر . قل : فإني أنت من بني بكر ؟ » .

فقلت في نفسي : مستعلم ؛ فأملهته حتى إذا نام أخذت قوسى فجعلت سببها في عينه^(١) الصبيحة ، ثم تعاملت عليها حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جئت العرج^(٢) ، ثم سلكت ركوبة^(٣) ، حتى إذا هبطت النقيع^(٤) إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعتهما عينا إلى المدينة يتحسان ؛ فقلت : استأمرأ فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، ثم استأمر الآخر فأوقفته رباطا ، وقدمت به المدينة .
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية ، في أى شهر كانت ، فاذكره .

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَّةِ^(٥) وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَّةِ في ذى الحجة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتجهشوا ، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين ، وركب راحلته القَصْوَاءَ ونحرج^(٦) ، وذلك يوم الاثنين لهلل ذى القعدة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وقال ابن إسحاق : استعمل على المدينة عُمَيْلَةُ بن

(١) سبة القوس : ما عطف من طرفها .

(٢) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالجواز .

(٣) ركوبة : ثبة بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) النقيع : موضع ببلاد مصرية على ليلتين من المدينة .

(٥) الحُدَيْبِيَّةِ : بئر سمى المكان بها ، وقيل : شجرة حذاء سمى المكان بها . وقيل : قرية منسوبة

قرية من مكة .

(٦) القَصْوَاءُ ، لقب ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) عبد الله اللّبي . قال ابن سعد : ولم يُخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرب، وساق يدنا وساق أصحابه يدنا، فصل
الظهر بذى الحليفة : ثم دعا باليدن التي ساق بجلّت، ثم أشعرها في الشقّ الأيمن
وقلدها، وأشعر أصحابه أيضا، وهي موجّهات إلى القبلة، وهي سبعون بدنة، فيها
جمل أبي جهل الذي غنمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وأحرّم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولبي، وقَدّم عبّاد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فارسا من خيل
المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل : ألف وستمائة ؛ ويقال : ألف
ونعمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها،
وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح
وقدّموا مائتي فارس إلى كُراع النعميم، عليهم خالد بن الوليد، ويقال : عكرمة
ابن أبي جهل .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببُستقان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال : بُسر — فقال :

٨٠
١٥

١٥

- (١) حذف المألّف المقبول هنا، والتقدير ولم يخرج معه أحدا .
(٢) البدن : جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تخرم مكة .
(٣) حلت : ألبست ما تصان به .
(٤) أشعرها : أعلّوها، وذلك بأن ضرب صفحة السام التي بحديدة تلفظها يدها إشعارا بأنها
هدى . (٥) قلدها : علق في عنقها شيئا يعلم أنها هدى .
(٦) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب .
(٧) كُراع النعميم : موضع بين مكة والمدية .

٢٠

يا رسول الله ، هذه قریش قد سمعت بمسيرك ، نخرجوا معهم العوذ المطافيل^(١) ،
قد لبسوا جلود الثور ، وقد نزلوا بذى طوى ، يهادون الله ألا ندخلها عليهم أبدا ،
وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " يا وبع قریش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني
وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله
عليهم دخلوا في الإسلام وأقرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تنظن قریش ؟
والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) " .
قال محمد بن سعد : ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم
في خيله ، فأقام بإزائه وصفت أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف ، فلما أمسى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :
تيامنوا في هذا الموضع العضل^(٣) — موضع منعطف في الوادي — فإن عيون قریش
بئر الظهران وبضجنان ، فسار حتى دنا من الحديبية ، وهي طرف الحرم على تسعة
أميال من مكة ، فوقفت بدا راحلته على ثنية تهبط على غائط القوم ، فبركت .^(٤)

(١) العوذ المطافيل : النسوق التي وضعت أولادها حديثا . يريد أنهم خرجوا معهم النساء
والصبيان . وفي هامش ج ما يأتي : « حاشية : العوذ : نتاج الثافة القريب العهد بالولادة .
والمطافيل : كل ما يتبع أمه من سائر الحيوان » .

(٢) السالفة : صفحة العتق ، وكفى بأفرادها عن الموت .

(٣) في حاشية ج : « العضل : جمع عضلة ، وهي شجرة إذا أكل منها البعير سلحته » .
وفي معجم البلدان : « العضل : موضع بالبادية كثير التبايض » . وفي ابن سعد وإتباع الأصمعي :
« في هذا العضل » بالصاد المهملة . والعصل : الرمل المتتري المعوج .

(٤) في ابن سعد : « فوقفت » .

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد العلبي في تفسيره : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير الأشطاط قريبا من عُسْفان أناه عِثْنَه الخِزَاعِي، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعاً لك الأحابيش ، وهم مفسدواك وصادوك عن البيت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي ، أترون أن نبيل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فتصيبهم ؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن يجنبوا ^(١) [تكنن] عتقا قطعها الله ، أو ترون أن تؤم البيت فن صدنا عنه قائلناه ؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إننا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قائلناه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فروحوا إذا ؛ فراحوا ، حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمناه إلى قوله : أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقتهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله . فخرج بهم على طريق وعمر حزن بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : نستغفر الله وتوب إليه . ففعلوا ،

(١) غدير الأشطاط : موضع تلقا الحديبية .

(٢) الأحابيش : هم بنو الهون بن خزيمه ، وبنو الحارث بن عبد مائة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا يخالفون مع فريش ، قيل : تحت جبل يقال له : الحبشي أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتعيبهم أي نجسهم .

(٣) كذا في ج . وفي أ : « عاونوهم » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة في أ ، وفي ب نصير الكشف والبيان : « فإن قعدوا قعدوا

موتورين ، وإن نجروا عتقا قطعها الله » . والصواب من شرح المواب ٢ : ٢١٩ .

فقال : والله إنها لفحطة التي عرضت على بنى إسرائيل فلم يقبلوها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : اسلكوا ذات اليمين ، في طريق يخرج على ثنية المسرار^(٢) على مهبط من أسفل مكة ، فسدك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قرة الجيش^(٣) ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش يندرونهم ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المسرار بركت به ناقته ، فقال للناس : حل حل^(٤) ؟ فقال : ما حل ، قالوا : خلّات الله صواء^(٥) ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " ما خلّات وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل^(٦) " ثم قال : والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش إلى حطة يعظمون بها حرّات الله ، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها^(٧) ، ثم قال للناس : " انزلوا " فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء ، لما يترضه الناس تبرّضا ، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش ، فترع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه ، يقال له : ناجية بن عُمر بن يعمر بن دريم ، وهو سائق بُدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزل في تلك البئر فغرز في جوفها

(١) الحطة : يشير إلى قول الله تعالى لئن إسرائيل : « وقولوا حطة » ومعناه : اللهم خط عنا ذنوبنا .

(٢) في الأصل : « المران » وهو غريف .

(٣) قرة الجيش : غيابه . وفي ل : « قرة الجيش » .

(٤) حل حل : كلمة يقال للثقة إذا تركت السير . وقال الخطابي : حل واحدة فبالكون ، وإن أعدها نونت الأولى وسكت الثانية . وحكى غيره : السكون فيهما والتنوين كتنظيره في نبح نبح . لكن الرواية بالسكون فيهما . واجمع شرح المصاب اللبية ج ٢ ص ٢٢١ .

(٥) في هامش ج : « الخلا » : حران الإبل .

(٦) حابس الفيل : أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٧) يترضه الناس : أي يأخذونه قليلا قليلا .

بِقَاشِ الْمَاءِ بِالرِّمَى ، حَتَّى صَدُرُوا عَنْهُ ؛ وَيُقَالُ : إِنْ جَارِيَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ
بَدَلُوهَا ، وَنَاجِيَةٌ فِي الْقَلْبِ يَمِجُّ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَتْ :

يَا أَيُّهَا الْمَائِخُ دَلَّوْنِي دُونَكُمْ * إِنْ رَأَيْتِ النَّاسَ يَمْدُونَكُمْ

يُذْنُونَ خَيْرًا وَيُحْدِنُونَكُمْ * أَرْجُوكِ لِمُخِيرٍ كَمَا يَرْجُونَكَ

فَقَالَتْ نَاجِيَةٌ :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَّةً يَمَانِيَّةً * أَتَى أَنَا الْمَائِخُ وَأَسْمَى نَاجِيَةٌ

وَطَعْنَةُ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ * طَعْنَتْهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَادِيَةِ

قال ابن إسحاق : ناجية بن جندب بن عُصَير الأسلمي ؛ قال : وزعم بعض

أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أَمَّا الَّذِي نَزَلَتْ بِسَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال محمد بن إسحاق والثعلبي : روى عن الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ

عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ : فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ بُدِّلَ بَيْنَ رِقَاءِ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ عِيَّةٍ نَصِجٍ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ وَعَامِرَ

ابْنَ لُؤْيٍ قَدْ نَزَلَا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيدِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ ، وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادِقُوكَ

عَنِ الْبَيْتِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنَا

مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاهُمْ مَدَّةَ

(١) جاش : قار (٢) صدروا : رجفوا .

(٣) الميج : أن تدخل البرق قفلاً الدلو قفلة مائها .

(٤) العادية : القوم الذين يعدون أي يسرعون العدو .

(٥) عيبة نصيح ، أي أنهم موضع نصيح .

(٦) أعداد : جمع عذ ، وهو الماء الذي لا اقتطع له . ويطلق أيضا على الكثرة في الشيء .

(٧) ماددناهم مدة : جعلنا بينهم مدة ترك الحرب فيها .

ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاعوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جءوا، فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى، أوليفذت الله أمره . قال بُذيل : سبيلهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفيهاؤهم : لا حاجة لنا في أن نتحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم : هات كما سمعته يقول؛ قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم : إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فانهموه وجبهوه وقالوا : إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر ابن لؤى، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر . وفى رواية : «فاجر» . فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال بُذيل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبآن، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسبل عليه من عرض الوادى في قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً

(١) جوا : استراحوا . (٢) جبهوه : لقوه بما يكره .

(٣) هذا في ج : «وقى أ : «ولا تحدث بذلك العرب عنا» .

(٤) كذا في ابن هشام، والطبرى . وفى الأصل : «ابن ريان» .

(٥) فى حاشية ج : «الثأله : التعبد؛ قال رؤبة : ضحكنا واستبرأنا من تألى» .

(٦) فى أ : «سال» . (٧) أو باره : جمع وبروهو صوف الإبل . وفى أ : «أوتاره» .

(٨) محل الهدى : الموضع أو الوقت الذى يحل فيه تجرد .

٥

١٠

١٥

٢٠

- لما رأى ، فقال لهم ذلك ؛ فقالوا له : يا حليس ، إنما أنت أعرابي لا علم لك ؛ فقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أبصّد عن بيت الله من جاءه معظّمه ؟ والذي نفس الحليس بيده لتُخلَن بين مجد وبين ما جاء له ، أو لا نفرن بالأحابيش نكرة رجل واحد ؛ فقالوا له : مَهْ ، كف عنا يا حليس ، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به ؛ قال : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من يعتصمونه إلى مجد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد — وكان عروة لِسُبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذي نابكم ، فجُمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتم حتى آسيتمكم بنفسي ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بتمم .
- ١٠ نخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفلس بين يديه . ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لنفضها بهم ؟ يا محمد ، أرايت إن امتأصت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم غنوة [أبدا] ^(١) وإني لأرى وجوها وأوشابا من ^(٢) الناس خليفا ^(٣) أن يفترّوا ويدّعوك ، وإيم الله ، لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا غدا عنك . وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال لعروة : امصص ^(٤) بظُر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ — واللّات طاغية تقيف التي كانوا

٨٣
١٥

(١) في حاشية د : « أوشاب : أي أخلاط من الناس . وأوشاب : مثل أوباش » .

(٢) بيضتك : أهلك وعشيرتك . (٣) سافطة من أ .

(٤) في الأصول : « خلقا » ، والتعويب من المواهب .

(٥) أقام أبو بكر رضي الله عنه معبود عروة ، وهو صمته اللات مقام أمه ، لأن عادة العرب التّم بذلك بلفظ الأم ، فأبدله الصديق باللات ، فزله منزلة امرأة تحقيرا لمعبوده . وفي أ : « بضر اللات » .

يعيدونها - فقال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي حنيفة ؛ قال : أما والله لولا يد^(١) كانت لك عندى لكفائك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، بفعل بقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وما أغلظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : " هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة " قال : أى غدر ، وهل غسلت سؤأتك إلا بالأمس ؟ - وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف ،^(٢) صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما الإسلام فقد قبلناه ، وأما المال فإنه مال غدر ، ولا حاجة لنا فيه " . قال : ولما قتلهم المغيرة تهايج الحيان من ثقيف : رهط القتل ورهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر ، فلذلك قال للمغيرة ما قال - قال : ثم كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو ما كلم به أصحابه ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بضاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شئ إلا أخذوه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحذون النظر إليه تعظيما^(٣)

بلا شئ

(١) كان عروة قد تحمل يديه فأطاعه فيها أبو بكر عشر فلائص ، وكان غيره يبيته بالاشين والثلاث .

(٢) في - : « ما أظك وأغلظك » -

(٣) كذا في - . وفي ١ : « بنى مالك بن ثقيف » .

(٤) يحذون : يحذرون .

له . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، والله لقد قدّدتُ على الملوك ؛ وفدت على قَيْصَرٍ في مُلكه ، وكسرى في مُلكه ، والنجاشي في مُلكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد عهدها ، والله إن تنعم تحماً إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا نوضاً كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ، وما يُحدثون النظر إليه تعظيماً له ، ولقد رأيت قوما لا يُسلمونه لشيء أبداً ، قرأوا رأيكم . وفي رواية قال : وإنه قد عرض عليكم خطّة رُشد فأقبلوها .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير . يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له ، فعمقوا الجمل وأرادوا قتل خراش ، فنتشه الأحابيش ، فخلّوا سبيله . قال : وبعثت قريش أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، وأمرهم أن يطبقوا بمسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وكانوا رمّوا في العسكر بالحجارة والنبل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعثه إلى مكة ، فبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وعظمتي عليها ، ولكني أدركت على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أبي سفيان ابن حرب وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا

البيت ومعظما لحرمته . فخرج حتى أتى مكة ، فلقىه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتسبته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا نبرح حتى نناجز القوم " . ودعا الناس إلى البيعة .

ذكر بيعة الرضوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، قال الثعلبي^(١) : وكانت سمرة . قال : وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال : " لا نبرح حتى نناجز القوم " ؛ ودعا الناس إلى البيعة ، قال : فكان الناس يقولون : بأبائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وقال عبد الله ابن مغل : كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت وإنما يبايعهم على ألا يفترؤا . قال جابر بن عبد الله : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجحد بن قيس أخو بني سلمة ، لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته ، مستترا بها عن الناس .

وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له : [أبو] سنان ابن وهب . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل . واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان ، وهو مبنى على الاختلاف في عدد

(١) السمرة : شجرة الطلح . (٢) سائقة من أء ، وفي اسمه خلاف ، وانظر أسد الغابة ٥ : ٢٣١

أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم ، لم يختلف منهم إلا الجَدَّ بن قيس ، قالوا :
ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه
على الأخرى . روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ،
فسأله عن عثمان رضى الله عنه ، أكان شهيد بدر ؟ قال : لا ؛ قال : أكان شهيد
بيعة الرضوان ؟ قال : لا ؛ قال : فكان من الذين تولَّوا يومَ التَّقيِّ أجمعان ؟ قال :
نعم . قال : فانطلق الرجل ؛ فقبل لعبد الله بن عمر : إن هذا يرى أنك قد عبته ،
قال : على : به ؛ فأنى به فقال : أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب
له بسهمه [وأجره ^(١)] ؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فِيَدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان ، وأما الذين تولَّوا يومَ التَّقيِّ
الجمعان فقد عفا الله عنهم ، فاجتهد على جهْدِكَ .

وانزل الله عزَّ وجلَّ في الذين بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال
الكلبي : معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة . وقال ابن كيسان :
قوة الله ونصرتهم فوق قوتهم ونصرتهم . ثم قال تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْرَتُهُ أُجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة . وقوله
تعالى في السورة أيضا : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الصدق والوفاء ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .
قيل : فتح خير ؛ روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة " .

(١) ساقطة من أ .

(٢) اجتهد جهْدَكَ ، أى ابلغ غايَتَكَ .

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال : ثم بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو
أخا بني عامر بن لؤي ، فقالوا : إيتِ عدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن
يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " قد سهل أمركم ، القوم مأثون إليكم بأرحامهم ، ومائلوكم الصلح ، فابعثوا
المهدي وأظهروا التلبية ، لعل ذلك يلين قلوبهم " . فلبسوا من نواحي العسكر حتى
ارتجحت أصواتهم بالتلبية ، قال : وانهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتكلم فاطال ، وتراجعا ، ثم جرى الصلح بينهما ، فلما انام الأضر
ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي بكر الصديق
رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم خفا ؟ قال :
بلى ؛ قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال :
بلى ؛ قال : فعلام تعطى الذنية ^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ،
وليس نعصى رأيه ، فاستمسك بفروزه حتى تموت ، فوالله إنه لعلى الحق ؛ قال عمر :
أو ليس كان يحدثنا أنا سنانى البيت نطوف به ؟ قال : بلى ؛ فأنخبرك أنك تأتيه
العام ؟ قال : لا ؛ قال : فإنك آتية ومطوف به . قال : ثم جاء عمر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : ألسنت رسول الله ؟ قال : " بلى " ؛ قال : السنا على الحق

(١) الذنية : الخلة الحسية .

(٢) كذا في أ ، - . وفى الكشف واليان : « وليس يعصى ربه » .

(٣) فاستمسك بفروزه : أى تمسك بأمره فلا تخلفه ، كالتى تمسك بركاب الزاكب . والغرز للإبل

بغزلة الركاب للفرس .

(٤) كذا في أ . وفى ج : « أنه يأتيه » .

- وعدونا على الباطل؟ قال : "بلى"؛ قال : فلم تعطى الدينية في ديننا إذنا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري" . وفي رواية قال : "إني عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني" . قال عمر : ألسنتنا تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : "بلى ، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟" قال عمر : لا ؛ قال : "فإنك آتية ومطوف به" . قال عمر : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فإزلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعنتق من الذي صنعت [يومئذ ^(١)] غفافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيرا . قالوا ^(٢) : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم" ؛ فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدري ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم [كما كنت تكتب ، قال المسلمون : لا والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اكتب : باسمك اللهم" ^(٣)] فكتبها ، ثم قال : "اكتب : هذا ما صالح عليه عهد رسول الله سهيل بن عمرو" . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا فأنلناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والله إني لرسول الله وإن كذبتموني" ؛ ثم قال لعلي : "أعز رسول الله" . فقال : والله لا أعورك أبدا . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يحسن بكتب فجاه ؛ ثم قال : "اكتب : هذا ما قاضي عليه عهد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن

(١) ساقطة من أ .

(٢) في أ : « قال » .

(٣) ما بين العلامتين ساقط من أ .

بعض ، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتغنى من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام ، يتغنى من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه . فاشتد ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من جاءهم منا فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً" . وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلل ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه" . فتوثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت [فمنظوف به .] (٣) فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضغطة (٤) ، ولكن لك ذلك من العام المقبل ، فكتب : وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل نخرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القرب ، وسلاح الراكب ، وعلى أن هذا الهدى حينما حبسناه محله ، لا تقدمه علينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نحن نسوفه وأنتم تردون وجوهه" ! قال : فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرأس في قيوده ،

(١) عيبة مكفوفة ، أى أموراً مطوية في صدور سليمة ، إشارة إلى ترك المزاخنة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها .
(٢) لا إسلال ولا إغلل ، أى لا سرقة ولا خيانة .
(٣) ساقطة من أ .
(٤) الضغطة : الإكراه والشدّة .

- وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى روى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ يتلبيه ، وقال : يا مجد ، قد تمت القضية بنى وبينك قبل أن يأتك هذا ، وهذا أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا ؛ ثم جعل يحزّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُرِّدْ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا جندل ، احتسب ، فإن الله جاعل لك ولن يمك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عافدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً ، وأعطيناكم على ذلك عهداً ، وإنا لا نغدر" . قال : فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فلأنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب - وبدنى قائم السيف منه - قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضنّ الرجل بأبيه .

- قال : وكانت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم ، قالوا : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبا بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ^(١) أخا بنى عبد الأشهل ، ومكركز بن حنظل بن الأخيف ، وهو مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة . قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

٨٥
١٥

وسلم من قضيته سار مع الهدى ، وسار الناس ، فلما كان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادى الثنية عرض له المشركون ، فرددوا وجوهه ، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم حيث حبسوه ، وهى الحديدية ، وقال لأصحابه : ” قوموا فانحروا ، ثم احلقوا “ . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما لم يبق منهم أحد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ؛ فقالت له أم سلمة رضى الله عنها : يا نبي الله ، انخرج ولا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حلافك فيحلقك . فقام صلى الله عليه وسلم فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حلافه فحلقه ، وكان الذى حلقه ذلك اليوم نحر ابن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . قال عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : خلق رجال يوم الحديدية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يرحم الله المحققين “ . قالوا : يا رسول الله ، والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المحققين “ ؛ قالوا : يا رسول الله ، والمقصرين ؟ قال : ” يرحم الله المقصرين “ [قالوا : يا رسول الله ، فلم تظاهرت الترحم على المحققين دون المقصرين ؟ قال : ” لأنهم لم يشكوا “ . قال ابن عمر : وذلك أنه ترخص قوم قالوا : لعلنا نطوف بالبيت .

(١) فى ١ : « بعضهم » .

(٢) ما بين العلامتين ساقط من ١ .

ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ونزول سورة الفتح

قال الزهري : وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

- روى قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حبل بيننا وبين نُسُكنا ، فنحن بين الحزن والبكاء ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الآية كلها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا كلها " . وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره ، ومعه من الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا ، فسأله [عمر ^(١)] عن شيء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، قال عمر رضى الله عنه : فخررت بعيري حتى تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل في قرآن ، فبغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال : " لقد أنزلت على الليلة آية هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس " . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُفْزِلَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقد اختلف في الفتح ، ما هو ؟ فقال قتادة عن أنس : ففتح مكة ، وقال مجاهد والعمري : فتح خير ، وقال آخرون : فتح الحديبية ، وبدل عليه ما روى عن مجمع بن جارية الأنصاري ، — وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن — قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزؤون الأباصر ^(٢) ، فقال بعض الناس لبعض : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجنا فوجف ^(٣) ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ساقطة من أ . (٢) في القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩ « سورة الفتح » .

(٣) يهزؤون الأباصر : ينشطونها بالحداد . لتخف وتسرع في سيرها .

(٤) الإجماف : سرعة السير .

واقفا على راحلته عند كراع القميم^(١) ، فلما اجتمع إليه الناس قرا : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال عمر : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، والذي نفسى بيده إنه لفتح » . وقال الشعبي رحمه الله : فتح الحديبية ، عقوله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، واطعموا نخل خيبر ، وبلغ الهدى محله ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس . وقال مقاتل بن حيان : يسرنا لك يسرا بيّنا .
وقال مقاتل بن سليمان : لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا آدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا : كيف نقيع رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه ، ما أمرنا وأمره إلا واحد ، فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديبية : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ أى فضينا لك قضاء بيّنا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فنسخت هذه الآية تلك . قال سفيان الثوري : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ ما عملت في الجاهلية ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كل شئ لم يعمل به . وقال عطاء بن أبى سلمي الخراساني : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعنى ذنب أبوك آدم وحواء ببرئتك ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمك بدعوتك . وقال الزبائدي : أى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . ﴿ وَيُتِمِّمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أى بالنبوة والحكمة ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أى ويهتدك عليه ، وقيل : يهدي بك ، ﴿ وَيَتَصَرَّكَ اللَّهُ تَصَرًّا عَزِيزًا ﴾ غالبا ، وقيل : معزا .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، قال الثعلبي : أى الرحمة والطمأنينة . قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث الله عز وجل نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه زادهم

(١) كراع القميم : موضع بادية الحجاز بين مكة والمدينة . (٢) فى ١ = « أبلغ » .

الصلاة ، [فلما صدقوه زادهم الزكاة] ، فلما صدقوه زادهم الصيام ، فلما صدقوه زادهم الحج ، ثم زادهم الجهاد ، ثم أكل لهم دينهم ، فذلك قوله عز وجل : (لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) أى تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان . وقال الضحّاك : يقينا مع يقينهم . وقال الكلبي : هذا فى أمر الحديدية - وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على الناس قوله : (لِيُفِرَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) قالوا : هنيئاً مريئاً يا رسول الله ، قد بين الله ما يفعل بك ، فما يفعل بنا ؟ فانزل الله تعالى : (لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا) ثم قال تعالى (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ) إن لم ينصر محمد والمؤمنون (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ) بالذل والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) إلى قوله : (وَتُسَبِّحُوهُ بُحْرَةً وَأَصِيلًا) ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة ، وقد تقدّمت .

ثم قال تعالى : (سَبْقُوكَ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِيتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) قال ابن عباس ومجاهد : يبنى أعراب غفار ومزينة وجهينة وأصحح وأسلم والدليل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديدية معتمراً استغفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ، ليخرجوا معه حذراً من قريش

أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، وأحرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ، يعلم الناس أنه لا يريد حرباً ، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فقتلهم ؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل ، فانزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ ، الآية . أى إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك ﴿ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَاهْلَوْنَا فَاسْتَعْفَرْنَا ﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم ، وأخبر عن أسرهم وإصهارهم ، فقال : « يَقُولُونَ يَا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَذِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ وذلك أنهم قالوا : إن محمداً وأصحابه أكلة رأس ، فلا يرجعون ، فإن تذهبون ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم . ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أى هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشيء من الخير . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذُوهَا ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : ﴿ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ أى عن الحديبية ﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ ﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿ ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ ﴾ أى إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة ، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً . وقال ابن زيد :

هو قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِتَخْرُجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ قال : والأول أصوب ، لأن قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ نزلت في غزوة تبوك . قال : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أى أن نصيب معكم من الغنائم .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّوْا ﴾ ، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد : هم فارس . وقال كعب الأحبار : الروم . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : هوازن . وقال سعيد بن جبير : هوازن وثقيف . وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين . وقال الزهري ومقاتل : بنو حنيفة أهل البامة أصحاب مسيلمة الكذاب . وقال رافع بن خديج : والله لقد كما نقرأ هذه الآية فيما مضى : ﴿ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمالة : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ (١) يعنى عن التخلف عن الجهاد والقيود عن الغزو ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ يعنى فى ذلك ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، وقد تقدم ذكر ذلك آنفا . ثم قال تعالى : ﴿ وَعَدْتُكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ . وهى الفتوح التى تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿ فَمَجَلَّ لَكُمْ هَيْهَ ﴾ . يعنى خيبر . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر . ثم قال تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ^(١) . قال : معناه ووعدهم الله فتح بلدة أخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم . واختلفوا فيها ، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى لى والحسن ومقاتل : هى فارس والروم ، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق : هى خير ، وعددها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها . وهى رواية عطية وبازان عن ابن عباس . وقال قتادة : هى مكة . وقال مجاهد : ماتحوا حتى اليوم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْدَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ، قال : يعنى أسدا وغطفان وأهل خير . وقال قتادة : يعنى كفار قريش ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ، واختلفوا فى هؤلاء ، فقال أنس : إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل النعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقنلوه ، فأخذهم

(١) فى : « معناه أى ووعدهم » .

(٢) النعيم : موضع بمكة فى الحل بين مكة وسرف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ ما فاعتقهم ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال
عكرمة عن ابن عباس : إن قريشا كانوا يعنوا أربعين رجلا منهم أو خمسين ،
وأمرهم أن يطيقوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد قدمنا ذكرهم .

وقال عبدالله بن مغفل : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة ،
وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة ، فرفعته عن ظهره ، وعلى بن أبي طالب
رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو ، فخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فخلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله عز وجل الآية . وقيل : غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- ١٠ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَكْرُومًا
أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ ﴾ الآية . وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها . وقوله تعالى :
﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ
يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ فَيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ،
قال : قوله : ﴿ أَنْ تَطَّوُّهُمْ ﴾ أى تقتلوهم ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ يَغْيِرُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، قال
ابن زيد : إثم . وقال ابن إسحاق : غُرم الذية . وقيل : الكفارة ، لأن الله عز وجل
١٥ إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله
إيمانه الكفارة دون الذية . وقيل : هو أن المشركين يبيعونكم ويقولون : قتلوا
أهل دينهم . والمعزة المشقة ، وأصلها من العز وهو الجرب . قال : فلولا ذلك لأذن
لكم في دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك . ﴿ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾

٢٠ (١) سلبا : قال ابن الأثير : « يروى بكسر السين وضحا ، وهما لغتان للصلح » . وقال الخطابي :
« إنه السلم يفتح السين واللام ، يريد الاستسلام والإذعان » .

أى فى دين الإسلام « مَنْ يَشَأْ » من أهل مكة قبل أن تدخلوها . قال : وقال بعض العلماء : قوله « لَعَذْبُنَا » جواب لكلامين أحدهما « وَآتَوْنَا رِجَالًا » والثانى « لَوْ تَزَيَّلُوا » أى تَمَيَّزُوا . وقال قتادة فى قوله : « لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » أى أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : « لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذْبُنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » قال : "هم المشركون من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بعدهم فى عصره ، كان فى أصلابهم المؤمنون ، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا أليما" .

قوله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) ، قال ابن إسحاق : بنى سهيل بن عمرو حين حذى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وأن محمدا رسول الله . (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَمُ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ، قال : كلمة التقوى بنى الإخلاص ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى : « وَالزَّمَمُ كَلِمَةُ التَّقْوَى » : "لا إله إلا الله" . وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدى وابن زيد . وقال عطاء الخراسانى : هى لا إله إلا الله محمدا رسول الله . وعن على رضى الله عنه قال : كلمة التقوى : لا إله إلا الله والله أكبر ، وهو قول ابن عمر . وقال عطاء بن أبى رباح : هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وعن الزهري : كلمة التقوى هي
بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ، قال : الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه
يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام . قوله : « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أى أن الصلاح
كان في النصح . « فَعَلَّمَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » قيل : صلح الحديبية .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أى أنك نبى صادق فيما تخبر .

- ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَنُجِرَ شَطْرَهُ فَأَرْزَهُ فَنِسْتَعِلُّهُ فَاَمْتَنُوا عَلَى
سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصْبِطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُنْفَرَةً وَاجْرَأَ عَظِيمًا ﴾ . قال التعليق رحمه الله تعالى : قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ
الله » تم الكلام هاهنا ، يعنى الكلام الأول ، ثم قال مبتدئا : « وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ » أى غلاظ لا تأخذهم فيهم رافة . « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » أى متعاطفون
متوادون بعضهم على بعض . « يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ » أى يدخلهم جنته .
« وَرِضْوَانًا » رضى عنهم . « سِيَاهُمْ » علامتهم . « فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ »
واختلف العلماء في هذه السياة ، فقال قوم : هو نور وبياض في وجوههم يوم

القيامة ، يعرفون بتلك العلامة أنهم يجدوا في الدنيا ؛ وهي رواية العوفي عن ابن عباس . وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا . وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون : هو السمت الحسن والخشوع والتواضع . وقال منصور : سألت مجاهدا عن قوله تعالى : « سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ » أهو الأثر يكون بين عيني الرجل ؟ قل : لا ، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكبة البعير ، وهو أقصى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع . وقال ابن جريج : هو الوقار والبهاء . وقال شهر بن عطية : هو التهنيت وصفرة الوجه وأثر السهر . وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبته مرضى ، وما هم بمرضى . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : هو أثر التراب في جباههم . وقال عطية الخراساني : دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ » أى ذلك الذى ذكرت « مَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي التَّوَرَةِ » قال : وما هنا تم الكلام . ثم قال : « وَمَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَجَ أَتْرَجَ شَطَاءُ » ؛ قال أنس : « شَطَاءُ » نباته . وقال ابن عباس : سنبله . وقال مجاهد والضحاك : ما يخرج تحت الحِقْلَةِ ^(١) فينمو ويتم . وقال مقاتل : هو نبت واحد ، فإذا خرج ما بعده فقد شَطَاءُ . وقال السدي : هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى . وقال الفراء : الأشطاء : الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا . وقال الأخفش : فراخه ، يقال : أشطا الزرع فهو مشطى إذا فرخ ، قال الشاعر :
أخرج الشطاء على وجه الثرى * ومن الأشجار أفنان الثرى
قال : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب عهد صلى الله عليه وسلم ، يعنى أنهم كانوا يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون . قال قتادة : مثل أصحاب

(١) الحقلة ، بالفتح والكسر : ما يبق من الماء الصافي في الخوض .

- محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم يبنون نبات
الزراع، يأمرهم بالمعروف ويتهنون عن المنكر. «فَازَرَهُ» قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَرْزَهُ .
«فَاسْتَغْلَظَ» ، فَعَلَّظَ وَقَوَّى . «فَاسْتَوَى» تَمَّ وَتَلَا حَقَّ بِنَاتِهِ وَقَامَ . «عَلَى سُوْقِهِ» أَصُولُهُ .
«يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» یعنی أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . قَالَ الثَّعَالِبِيُّ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ
إِلَى الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَالَّذِينَ
مَعَهُ ، أَبُو بَكْرٍ . «أَشِدُّهُ عَلَى الْكُفَّارِ» عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . «رُحِمَاءُ يَدْنُهُمْ» عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ .
«تَرَاهُمْ رُكَّعًا مُجْدًّا» عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ . «يَتَنَحَّوْنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَيَرْضَوْنَ» طَلْحَةُ
وَالزَّيْبِرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ . «سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ» ، قَالَ : هُمُ الْمُبَشِّرُونَ ، أُولَئِكَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ . «ذَلِكَ مِثْلُهُمْ
فِي التَّوَرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» قَالَ : نَعْتُهُمْ فِي التَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَمِثْلِ زَرْعٍ . قَالَ :
الزَّرْعُ : مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . «أَخْرَجَ شَطَاةً» أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ . «فَازَرَهُ» عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .
«فَاسْتَغْلَظَ» عُمَانُ ، يَعْنِي اسْتَعْلَظَ عُمَانُ لِلْإِسْلَامِ . «فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ» عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ ، يَعْنِي اسْتَقَامَ الْإِسْلَامُ بِسَيْفِهِ . «يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ» قَالَ : الْمُؤْمِنُونَ .
«لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» قَالَ : قَوْلُ عُمَرَ لِأَهْلِ مَكَّةَ : لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ الْيَوْمِ .
رضوان الله عليهم أجمعين .

ذَكَرَ خَبَرَ أَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ

قَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، فَقِيلَ : عُبَيْدُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :
عُتْبَةُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَهَذَا أَبُو مَعْشَرٍ قَالَ : اسْمُهُ عُتْبَةُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ

أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قصى، وهو ثقيف ابن منبه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة. وخبره وإن لم يكن داخلا في جملة الغزوات والسرايا فليس هو مناف لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لثقله بغزوة الحديبية، ولأن رده كان من شروط الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البهيقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد ابن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلت رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له : أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفى من المشركين، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حُبس بمكة، فكتب فيه أزهري بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنا رجلا من بني عامر بن لؤى، ومعه مولى لهم، ويقال : كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلد ورأى في أنفس المشركين، وجعل لها الأخنس في طاب أبي بصير جُعلا، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولبن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك". فقال : يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنوننى في ديني ؟ قال : " انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجا

- ومخرجا"، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الحليفة^(١) سل بحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف بحش بفيه، وهو قائم، فقطع به إيساره، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر^(٢) فجزم مذعورا مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: "لقد رأي هذا دُعرا"؛ فأقبل واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ويحك! مالك؟" فقال: قتل صاحبكم صاحبي. وجاء أبو بصير ينلوه، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وقت ذمتك يا رسول الله، وأذى الله عنك، دفعتني إليهما فعرفت أنهم سيعذبوني ويفتنوني عن ديني، ففنت المفذى، وأفنتني هذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويل أمه يسعّر حرب لو كان معه رجال!"، وجاء أبو بصير بسلبه فقال: نحس يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني إن نحست لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت". فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قد هوا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر، لا تمر

(١) ذى الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها مبات أهل المدينة.

(٢) جزم: عدا وأسرع.

(٣) سحر الحرب: موقفها، يقال: رجل سحر حرب إذا كان يؤرثها، أى يحى به الحرب؛

يتعجب النبي من شجاعته وجراسته وإقدامه.

بهم غير لفريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وانقلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو - واسم أبي جندل العاص بن سهيل^(١) على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راكبا أساءوا ، فلحقوا بأبي بصير حين بانهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ويل أمة مسعّر حرب لو كان معه رجال" ، فقطعوا مادة قریش من طريق الشام . وكان أبو بصير يصلي لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم ، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس ، حتى بلغوا ثلثائة مقاتل ، وهم مسدون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، لا تمر بهم غير لفريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وقال أبو جندل في ذلك :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل * أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تخفق رايائهم * بالبيض فيها والقنا الذبيل^(٢)
بأبون أن تبقي لهم رفقة * من بعد إسلامهم الواصيل
أو يجعل الله لهم مخرجاً * والحسق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه * أو يقتل المرء ولم يأنل^(٣)

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم^(٤) إلا آواهم ، وقالوا : لا حاجة لنا بهم . قال البيهقي : وقالوا : من خرج منا إليك فأمسكه غير خرج أنت فيه ، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره . فلما كان ذلك من أمرهم ، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع

(١) في أ : « سهيل » تصحيف . (٢) في أ : « حتى » .

(٣) الذبيل : الدفقة اللاصقة القشر . (٤) لم يأنل : لم يقصر .

(٥) في ج : « بأرحامها » .

أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا . وحكى البيهقي : أن هؤلاء هم الذين مر بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه ، فلما بانهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص ، وردوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العيال ، وقد تقدم خبر أبي العاص ، وقيل : إنما أخذ في غير هذه السرية . والله أعلم .

قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدما عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم ، ولا يعترضوا لأحد مر بهم من قريش وعيراتهم . فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وأبي بصير ، وأبو بصير قد أشرف على الموت ، فأتى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه ، فدفعه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهلهم ، وأمنت عيرات قريش .

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد : غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة سبع من هجرته . وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : في الحرم من السنة . وخير على ثمانية برد من المدينة . قالوا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خير ، وأجلب^(١) من حوله يريدون الغزاة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يخرجن معنا

(١) يقال : أجلب القوم إذا صاحوا واخططت أمواتهم .

إلا راغب في الجهاد، وشق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة صباح بن عرقطة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق : استخلف ثُمَيْلَةُ بن عبد الله اللثبي، وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال في مسيره لعائش بن الأكوع - وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان - : " أنزل يا ابن الأكوع، نخذ لنا من ههناك "، فزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :

والله لولا الله ما احتدينا * ولا نصعدفنا ولا صلبنا

إنا إذا قوم بقوا علينا * وإن أرادوا فتنة أيتنا

فأنزلن سكيكة علينا * وثبتت الأقدام إن لاقينا ^(٢)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " برحمتك ربك ". ومن رواية البيهقي : " غفر لك ربك ". قال : وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استشهد. قال ابن إسحاق : فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجبت والله يا رسول الله، أو متعتنا بعاصم، فقتل يوم خيبر شهيدا، رجع سيقه عليه وهو يقاتل، فكله كلما شديدا قات.

(١) ههناك : أي من أخبارك وأمرورك وأشد أرك.

(٢) ذكر هذا الرجز في شرح الزرقاني بأسلوب يختلف عما ذكره في الفاظه وأبيانه. ونقل عن كتاب الفتح : « أكثر هذا الرجز تقدم في الجهاد عن البراء، وأنه من شعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أنه يكون هو وعاصم تواردا على ما تواردا عليه؛ بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر، واستعان عاصم ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة » ج ٢ ص ٢٦٢ من شرح المواهب اللدنية.

قال : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر^(١) فبنى له فيه مسجداً ، ثم على الصبأ ، ثم أقبل يمحشه حتى نزل يوادٍ يقال له : الرجيع ،^(٢) فقتل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خير ، وكانوا لهم مُظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا متقلّة^(٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، وظنوا أن القوم قد خالذوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خير .

قال : ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير قال لأصحابه : "قفوا" فوقفوا ، ثم قال : "اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله" . قال : ولما نزل بساحتهم لم يحركوا تلك اللبلة ، ولم يصيح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، وأصبحوا وأفندتهم تخفق ، وفتحوا حصونهم ، وغدّوا إلى أعمالهم ، معهم المساحي ، والكرازين - وهي الثُّوس - والمكائيل - وهي الزنابيل - فلما نظروا إلى

٩٢
١٥

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادي الفرع ورواه بعضهم بالحريك ، (وانظر يا قوت) -

(٢) في يد : « قيا » .

(٣) الصبأ : موضع قرب خير .

(٤) المتقلّة : المرحلة من مراحل السفر .

(٥) المساحي : جمع سحاة ، وهي الحجرة من الحديد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ^(١) محمد والمخيمس — يعنون الجيش — فولوا هارين إلى حصونهم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الله أكبر ، خربت خير ، إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ، ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وفرق فيهم الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خير ، إنما كانت الألوثة ^(٢) ، فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تدعى العقاب ، ولواؤه أبيض ، ودفعه إلى علي بن أبي طالب ، وراية إلى الحُباب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عبادة ؛ وكان شعارهم : « يا منصور أيت » ، وكانت حصون خير حصونا ذوات عدد ، منها النطا ، وحصن الصعب ابن مُعاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزبير ^(٣) ، هذه حصون النطا . والشق وبه حصون منها : حصن أبي ، وحصن الترار . وحصون الكتيبة منها : القموص ، والوطيح ، وسُلام . وسند ذكر إن شاء الله فتحها حصنا حصنا . قال : ونخرج مرحب اليهودى من حصنهم ، قد جمع سلاحه ودوية ول :

قد علمت خير أئى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب ^(٤)
أطعن أحيانا وجينا أضرب * إذا الليوث أقلت ^(٥) تحرب

* إن حماي للحمى لا يقرب *

(١) سمى الجيش تحيلا لأنه تحمة أقسام : المقدمة ، والساقة ، والمبينة ، والمبصرة ، والقلب .

(٢) قال في المصباح : « لواء الجيش عليه : وهو دون الراية » .

(٣) في شرح المراهب اللدنية ج ٢ ص ٢٧٣ ما يأتي : « مفاد صلف المصنف ما ذكر على النطا

— تبعا لمطلى — أن النطا أعم حصن مناير لم يده ، والشامى جعل النطا أسمى حصن ناعم والصعب والزبير ، فإن وفقت بينهما فقد ربد النطا : وحصونها ثلاثة » .

(٤) شاكى السلاح : يريد حاذ السلاح .

(٥) تحرب : تغضب .

ثم يقول : هل من مبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول :

قد علمت خبيراً أنى كعبُ * مفرج النعمى جرىءٌ صلبٌ
إذ شئت الحرب تليها الحربُ * معى حسام كالعقيق عصبٌ^(١)
نظامكم حتى يذال الصعبُ^(٢) * نعطي الخزاء أوفىء النهب^(٣)
* بكف ماض ليس فيه عتب^(٤) *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لهذا" ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له
يا رسول الله ، أنا والله الموتور النائر ، قل أنى بالأمس ؛ قال : "فقم إليه ، اللهم
أعنه عليه" . فخرج إليه حتى دنا منه ، فحمل مرحب عليه فضربه ، فأنفاه بالدرقة ،
فامسكت سيفه ، وضربه محمد بن مسلمة فقتله . وقد روى أن الذى قتل مرحبا
على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونهض من نهض معه من الناس ،
فاتفوا أهل خير ، فأنكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فيجئته أصحابه ويحببهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أخذته الشقيقة^(٥) فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها
عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الأول ، ثم رجع ، فأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : "أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب
الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة" . وفي رواية قال : "يفتح الله على

(١) قال أبو ذر الحنثلى : «العقيق هنا جمع عقيقة ، وهى شراع البرق شبه السيف به»

شرح البصرة ٣٤٦ . عضب : قاطع . (٢) فى ابن هشام : «يدل» . (٣) الجزء : جمع

جزية . النهب : ما انتهب من الأموال . (٤) ليس فيه عتب : أى ليس فيه ما يلام عليه .

(٥) الشقيقة : نوع من صداع يمرض فى مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه .

يديه". فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أين على بن أبي طالب؟" فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه؛ قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه سلمة بن الأكوع فدعاه ، فبأ على بعير له حتى أناخ قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أرمد ، قد عصب عينيه يشقة ^(١) برد قطري ، قال سلمة : بحثت به أفوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مالك؟" قال : رمدت ؛ فقال : "ادن مني" فدنا منه فنفل في عينيه ، ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع ، وما وجعهما حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية وقال : "امض حتى يفرح الله عليك" قال : يا رسول الله ، أفانلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال : "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم" روى هذا الحديث أبو نحوه أهل الصحة . ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال : فتمض على بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء ، وقد أخرج نملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن ، وعليه مغفر معصر ، وحجر قد ثقبه مثل الليضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أتى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحيناً أضرب * إذا الحروب أفلت تلعب
• كأن حياى كالحى لا يقرب *

(١) القطري : نوع من البرد ينسب إلى قرية يقال لها قطر ، ومى بين عمان والمغرب .

(٢) انفذ على رسلك : أى امض على هيتك .

(٣) النمل : حذب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

فبرز له علي بن أبي طالب فقال :^(١)

أنا الذى ستمنى أُمى حَـبـدَـه^(٢) * كـلـيـث غـابـيـت شـدـيـد قـسـوـر^(٣)
أَكـيـلُـكـم بالسـيـف كـيـل السـنـدِـه^(٤) *

فاختلفا ضربتين ، فبدره علي رضي الله عنه فضربه ، ففسد الحجر والمغفر وقلق

رأسه ، حتى أخذ السيف فى الأضراس . ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ،
وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى ياسر * شاكى السلاح بطل مُـغـاوِر^(٥)
إذا الليوث أقبلت تُـبـادِرُ * إن حمائى فيه موتٌ حـاضِرُ

وهو يقول : هل من مبارز ؟ نفرج إليه الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى زبـارُ * قـسـمُ لِقـومٍ غـيـر نـكـيـس فـزـارُ^(٦)
أين حاة المجده ؟ أين الأخيار ؟^(٨) * ياسرُ ، لا يـفـرـك جـمـع الكـفـار
* بـجـمـعـهـم مـثـل السـرـاب الخـثـار^(٩) *

فقال أمه صفية بنت عبد المطلب : أيقتل ابنى يا رسول الله ؟ قال : " بل ابنك

يقتله إن شاء الله " ثم التقيا ، فقتله الزبير . ومن رواية أخرى عن سلمة قال : نفرج

(١) فى ج : « على عليه السلام » . (٢) الحبدرة فى الأمل : الأسد . وقال

ابن الأعرابي : « الحبدرة فى الأسد مثل الملك فى الناس » . (٣) القسورة : العزيز يفتسر

غيره ، أى يقهره . (٤) السدرة : مكال كبير . (٥) مناور : مقاتل كثير

الفسارات . (٦) القرم ها : اليد . (٧) الكس : الضعيف .

(٨) كذا فى ج . وفى أ : « ابن حاة المجدين الأخيار » . وفى الطبرى : « ابن حاة المجيد

وابن الأخيار » . (٩) الخثار : الخداع ..

على رضى الله عنه يهرول هرولة وأنا تلخفه تنقي أثره، حتى ركز رايته في رَضْمِ حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب؛ فقال اليهودى: علوتم وما أنزل الله على موسى. وقال ابن إسحاق أيضا من رواية أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: خرجنا مع علي رضى الله عنه حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح رأسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألفاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة، أنا ثامنهم،^(١) نجهد على أن تقلب ذلك الباب، فاقبله.

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بنى منهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه؛ فقال: "اللهم إني قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء، وأكثرها طعاما وودّكا"، ففدنا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخير حصن كان أكثر منه طعاما وودّكا. قال البيهقي: وافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن ناعم، فانتقل من كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير، ويقال: حصن ناعم أول ما افتتح من حصونهم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رصى منه فمات. قال: وحصن

(١) في حاشية ١: «أنا منهم».

(٢) الودك: الدسم.

الزبير حصن منيع في رأس قلعة^(١)، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام،
 بفناء رجل من اليهود يقال له : فزال ؛ فقال : يا أبا القاسم ، تؤمنني على أن أدلك
 على ما استريح به من أهل النطاة ، وتخرج إلى أهل الشق ؟ فإن أهل الشق قد
 هلكوا رعبا منك ، فآمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال
 اليهودي : إنك لو أقت شهرًا ما بالوا ، لم دُبُول تحت الأرض ، يخرجون بالليل
 فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعهم فيمتنعون منك ، فإذا قطعت مشربهم عليهم
 أصحروا لك . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُبُولم فقطعها ، فلما قطع
 عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ ثمر ، وأصيب
 من يهود في ذلك اليوم عشرة ، وأفتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان آخر
 حصون النطاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحوّل إلى أهل
 الشق ، وبه حصن ، فكان أول حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصن أُبَي ،
 فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سَمَوَان ؛ فقاتل عليها أهل
 الحصن قتالًا شديدًا ، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول ؛ فدعا إلى البراز ؛
 فبرز له الحُباب بن المنذر ، فأختلفا ضربات ، ثم حمل عليه الحُباب فقطع يده اليمنى من
 نصف الذراع ، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن ، فنبهه الحُباب فقطع
 عُرقوبيه ، فوقع ، فذقف عليه^(٢) ، فخرج آخر فصاح : من يبارز ؟ فبرز له رجل

٩٤
١٥

(١) في الأصلين : « في رأس قلعة » والتصويب من دلائل النبوة . وجاء في شرح المواهب اللدنية

ج ٢ ص ٢٧٤ في هذا الحصن : « وكان اسمه حصن قلعة ، لكونه كان على رأس جبل » .

(٢) دُبُول : جمع دُبَل ، وهو الجذول .

(٣) أصحروا : برزوا في الصحراء .

(٤) ذقف عليه : أجهز عليه .

من المسلمين من آل جحش ، فقتل المجنبي ، وقام مكانه يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دُجانة ، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر ، يختال في مشيته ، فبدره أبو دُجانة فضربه فقطع رجله ، ثم ذَفَفَ عليه وأَخَذَ سلبه ، درعه وسيفه : فنقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأجموا عن البراز ، فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أبو دُجانة الأنصاري ، فوجدوا فيه أناثا ومتاعا وغنا وطعاما ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتفرقوا الجُدُر كأنهم الظبي إلى حصن التزار ، فلقوه وامتنعوا فيه ، وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والنجارة ، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلفت به ، فأخذ النبل بجمعها ، ثم أخذ كفا من حصباء ، فخصب به حصنهم فرجف الحصن بهم ، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون ، فأخذوا أهله أخذا ، ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتيبة ، فافتتح القموص ، حصن أبي الحقيق ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بصفية بنت حيي بن أخطب .

قالوا : ولما أفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما أفتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، آتوا إلى حصنهم : الوطيح والسلاط ، وكان آخر حصون أهل خيبر أفتاحا ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم . قال البيهقي : حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يطلعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المتجنين عليهم ، فلما أيقنوا

بالهبة سألوا الصلح ، وأرسل آبن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 أنزل فأكلمك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نعم" ، فقتل كنانة بن الربيع
 آبن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دماء من في حصونهم
 من المفاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خير وأرضها بذراريهم ، ويحلون بين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفر^٥
 والبيضاء والكراع^(١) والخلف^(١) ، وعلى البر إلا ثوبا على ظهر إنسان ؛ فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : "وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتمتموني شيئا"
 فصالحوه على ذلك . وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كثر بنى النصير ، فسأله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فبغدا أن يكون يعلم مكانه ، وقال : نفد في النفقة
 والحروب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان أكثر من ذلك" ، ثم جاء رجل من
 ١٠ يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني رأيت كنانة يطيف
 بهذه الخربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانة : "أرأيت إن
 وجدناه عندك ، أفنلك ؟" قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة
 فحيرت ، فأخرج منها بعض كتهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤذيه ، فأمر رسول الله
 ١٥ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به ، فقال : "عذبه حتى تستأصل ماعنده" ، فكان
 الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . ويقال :
 كان ذلك بعد فتح حصن القموص ، وقبل فتح الوطيط والسلام .

(١) الصفر، والبيضاء هنا : الذهب والفضة . والكراع : الخيل . والخلفة هنا : السلاح كله .

قال محمد بن إسحاق : ولما نزل أهل خير على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ؛ " على أنا إذا شئنا [أن] نخرجكم^(١) أخرجناكم " ، قال : ولما سمع أهل فدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح حصون خير بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه أن يُسِيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويحتلوا له الأموال ، ففعل ؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك مُحِيصة بن مسعود أخو بني حارثة ، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف كما عامل أهل خير ، فأجابهم إلى ذلك ؛ " على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم " ؛ فكانت خير فينا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين ، فقبّله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والترمه ، وقال : " ما أدرى بأيهما أنا أسر ، بفتح خير أم بقدوم جعفر ! " .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خير^{١٥}
قالوا : استشهد من المسلمين في غزوة خير تسعة عشر رجلا . من قریش وحلفائهم خمسة نفر ، وهم رفاعة بن مسروح ، من بنى أمية بن عبد شمس ، ومن حلفائهم ربيعة بن أكرم بن تنخبة ، وثقف بن عمرو بن سُمَيْط ، ومن حلفاء بنى أسد

(١) زيادة عن ابن هشام .

ابن عبد العزى أبو عمير عبد الله بن الهيثب — ويقال ابن الهيثب — بن أهيب
 الليثي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر
 رجلاً، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضِّل بن النعمان،
 ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضيَّاح النعمان بن ثابت،
 والحارث بن حاطب، ممن شهد بدرًا، وعُروة بن مِرة بن سُرافة، وأوس بن
 الفائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن إئيلة، وطلحة، ومبشر، وعُمارة بن عقبة،
 وعامر بن الأكوع الأسلمي، وكان قد برز له يهودى، فبرز إليه وهو يقول:
 قد علمت خير أنى عامرُ شاكي السلاح بطلٌ مقامُ

واختلفا ضربين، فوقع سيف اليهودى في ثرس عامر، ووقع سيف عامر عليه،
 فأصاب ركة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فررت على نفر
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت
 نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاحب أبكى، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل
 عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك؟» قلت: بعض أصحابك، قال: «كذب من
 قاله، بل له أجره مرتين، إنه لجاهد مجاهد».

واسْتَشْهَدَ الأسود الراعى — واسمه أسلم، وهو من أهل خير — وكان من حديثه
 ما حكاه محمد بن إسماعيل وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خير، ومعه غم كان فيها أجيراً لرجل من

(١) في أسد الغابة: «أوس بن الفائد»، وقيل: ابن الفائد بالذال؛ وقيل: الفاكه.

(٢) كذا ضبط في الإصابة «بكسر الهنزة وسكون الخاء».

يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فقال : فإذا
 لي إن أنا شهدت وأمنت بالله؟ قال : «للك الجنة إن أنت متّ على ذلك» ، فأسلم
 وقال : يا رسول الله ، إني كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ،
 فكيف أصنع بها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أخرجها من عسكرنا»
 واحصب وجوهها ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، وسترجع إلى ربها . ففعل
 الأسود وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك ، فخرجت مجتمعة كأن
 سائحا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاثل مع المسلمين ،
 فإصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأُتِيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فوضع خلفه ، وبيّحى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه؟ قال : «إن معه الآن
 زوجته من الحور العين» .

وقتل من يهود ثلاثة وأربعون ، منهم : الحارث أبو زئنب ، ومَرْحَب ،
 وأسير ، وباسر ، وعامر ، وكان ابن أبي الحقيق ، وأخوه .

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت ،
 واستعمل عليها قُرَوة بن عمرو البياضي ، وأمر بذلك بجزئ خمسة أجزاء ، وكتب
 في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، فكان أول ما خرج معهم النبي صلى الله
 عليه وسلم ، وأمر ببيع الأربعة أنحاس فيمن يزيد ، فباعها قُرَوة ، وقسم ذلك بين

(١) حصه : رماه بالحصاء .

(٢) في ابن سعد : « ثلاثة وتسعون » .

أصحابه ، وكان الذى ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفا وأربعمائة رجل ، والحليل مائتى فرس ، فكانت السُّهُمان على ثمانية عشر سهما ، لكل مائة سهم ، وكان الخمس الذى صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى منه على ما أراه الله .

- وقال محمد بن إسحاق : كانت المقاسم على أموال خير ، على الشَّقِّ ونِطَاطة والكُتَيْبَةِ ، فكانت الكُتَيْبَةُ تُحَسَّسَ الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُغْم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُغْم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين أهل قَدِّك بالصلح ، منهم مُحْيِصَةُ بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسَقًا من شعير ، وثلاثين وسقًا من قر ، وكانت الشَّقِّ ونِطَاطة فى سُهْمَانِ المسلمين ، قال : وقسمت خير على أهل الحُدَيْبِيَّةِ ، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغيب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسهم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى الشَّرِيرِ ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خير ، فكانت نِطَاطة والشَّقِّ ثمانية عشر سهما ، نِطَاطة خمسة أمهم ، والشَّقِّ ثلاثة عشر سهما ، فقسمت الشَّقِّ ونِطَاطة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ جُمِعَ إليه مائة رجل ، قال : ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكُتَيْبَةَ — وهو وادى خاص — بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها . وروى بشير بن يسار قال : لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خير أخذها عنوة ، فقسمها على ستة وثلاثين سهما ، فأخذ لنفسه وانوابه وما ينزل به ثمانية عشر سهما ، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهما . والله أعلم .

وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عُبَيْة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : " أترضى أن أزوجه فلانة ؟ " قال : نعم ، وقال للمرأة : " أترضين أن أزوجه فلانا ؟ " قالت : نعم . فزوج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ، ولم يفرض لها صداقا ولم يعطها شيئا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهم بخير ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني فلانة ، ولم أفرض لها صداقا ، ولم أعطها شيئا ، وإني أشهدكم أني أعطيتها من صداقها سهمي بخير . فأخذت سهمها فباعته بمائة ألف .

ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الكُتَيْبَةِ التي نَحَرَجَتْ لِلْخَمْسِ وما أنطاهم منها

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيْبَةِ — وهو وادي خاص — لفاطمة ابنته رضي الله عنها مائتي وسق ، ولعلي بن أبي طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتي وسق ، ونحسين وسقا نوًى ، ولعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مائتي وسق ، ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مائة وسق ، ولعقيل بن أبي طالب مائة وسق ، وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر نحسين وسقا ، ولربيع بن الحارث مائة وسق ، وللصلت بن مخزومة وأبيه مائة وسق ، وللصلت منها أربعون وسقا . وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قائم بن مخزومة بن المطلب : أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخيه الصلت مائة وسق من خير ، ولأبي نُبَيْة نحسين وسقا ، ولرُكَّانة بن عبد يزيد نحسين وسقا ، ولابن القاسم بن مخزومة أربعين وسقا ، ولبنات عبدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق ، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ، ولابن

أوس بن غزمية ثلاثين وسقا ، ولمسطح بن أئانة وابن إلياس تحمين وسقا ، ولأم
 رُمَيْثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولُبَّيْنة بنت الحارث ثلاثين
 وسقا ، ولعُجَير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب
 ثلاثين وسقا ، ولجُمَّانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولعبد الله بن الأرقم الزهري
 تحمين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولتُحَنة بنت جحش ثلاثين
 وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن
 أبي حُثَيْس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي نَضْرَةَ عشرين وسقا ،
 ولُمَيْلَةَ الكلبي تحمين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنه تسعين وسقا ، لابنه منها
 أربعون وسقا ، ولأم حبيب بنت بَحْش ثلاثين وسقا ، ولملكوت بن عبدة ثلاثين
 وسقا ، ولنسيائه صلى الله عليه وسلم سبعائة وسق .

وقال ابن إسحاق أيضا : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء من فتح
 خيبر مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة
 وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللفساد بن الأسود خمسة عشر
 وسقا ، ولأم رُمَيْثة خمسة أوسق .

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .
 قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل
 خيبر خارصاً بين المسلمين ويهود فيحرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال :
 إن شئتم فلکم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .
 ولم يحرص عليهم عبد الله إلا عاماً واحداً ومات .

(١) كذا في ابن هشام .

(٢) كذا في الأصلين . وفي ابن هشام : « ولأم حكيم » .

(٣) خارصاً : حازراً ومقدراً .

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريح عن أبي الزبير عنه ، قال : خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق ، وإن اليهود لما خيروهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق ، ثم خرص عليهم بعده جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أنحى بني حارثة ، فقتلوه ، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يئتمرونها تمرا ، فوجد في عين قد كسرت عنقه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله ، وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل ، وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم عبد الرحمن — وكان أصغرهم ، وهو صاحب الدم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كبر كبر » فسكت ، وتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم بمدهما ، فذكروا قتل صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أئسمون قاتلكم ثم تحافون عليه تحمين يميننا ففسامه إليكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؟ قال : « أفيلفون بالله تحمين يميننا ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، ثم يبرءون من دمه ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة . قال : واستقرت خير بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، ثم أفرها أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة ، ثم أفرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صدرا من خلافته ،

(١) في أ : « وترى » • (٢) يئتمرونها : يجلب • (٣) ويرى : « الكبر الكبير »

بضم الكاف وسكون الياء ، أي قدسوا الأكبر • (٤) أي أين إسحق •

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه :
 " لا يجتمعن يجزيرة العرب دينان " ، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ،
 فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله قد أذن في إجلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال : " لا يجتمعن يجزيرة العرب دينان " فمن كان عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن
 له عهد منه فليجهز للجلاء . فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ما كان من أمر خبره على سبيل الاختصار ، فلنذكر ما اتفق بعد فتح
 خيبر مما يتبعن إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها ، فمن ذلك خبر الشاة التي سُم فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود ، وهو في الجزء
 الرابع عشر من هذه النسخة ^(١) ، ومنه خبر الحجاج بن علاط .

ذكر خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله

قالوا : وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خيبر مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فتحت خيبر قال : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند
 صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة ، ومال مفزق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله .
 فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : " قل " ، قال الحجاج :
 نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بشية البيضاء رجالا من قريش يستمعون
 الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار

٩٨
١٥

(١) من تحفة المazel .

(٢) في سبيل البلدان : « البيضاء : ثنية التميم بمكة » ، كما ذكر في كتاب السيرة .

إلى خير، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفاً ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون
 الأخبار، ويسألون الرُّبَّان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده والله الخبر،
 قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن
 القاطع قد سار إلى خير، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغني ذلك
 وعندي من الخبر ما يسركم، فالتفتوا بيجني ناعتي يفلون: ^(١) إيه يا حجاج! قال:
 قلت: هُزِمَ هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط،
 وأمر محمد أسرا، وقالوا: لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم
 بن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر،
 وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني
 على جمع مالي بمكة على غرمائي، إني أريد أن أقدم خير، فأصيب من قتل محمد
 وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما جئناك. قال: فقاموا بجمعوا لي مالي كاحت^(٢)
 جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبي فقلت: مالي — وقد كان لي عندها مال
 موضوع — لعل الحق بخير، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار، قال:
 فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جني
 وأنا في خيمة من خيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟
 قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم، قلت: فاستأخر
 عني حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجعتُ
 الخروج لفيت العباس فقلت: أحفظ علي حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب
 ثلاثا، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك

(١) التفتوا بيجني ناعتي: أي عدوا إليها مطلقين بها. (٢) القل: القوم المتهزبون.

(٣) كاحت جمع: كاسر جمع. وفي ١: «كأحب».

(٤) في ب: «خيام».

عروسا على بنت ملكهم - بمعنى صفية بنت حبي بن أخطب - ولقد افتتح خير؛
 وانتقل^(١) ما فيها، وصارت له ولاصحابه؛ قال : ما تقول يا حجاج ! قلت : إى والله،
 فاكم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالى فرقا من أن أغلب عليه ، فإذا
 مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب . قال : وسرت حتى إذا كان
 اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق^(٢) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى
 الكعبة، فطاف بها ، فلما رآه قالوا : يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحز المصيبة؛
 قال : كلا ، والله الذى حلقتكم به لقد أفتتح محمد خير وترك عروسا على أبنسة
 ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولاصحابه . قالوا : من جاءك بهذا
 الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله ،
 وانطلق ليلاحق بمحمد وأصحابه فيكون معه ؛ قالوا : يا لعباد الله ! انفلت صدق الله،
 أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير

إلى وادى القرى ، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف إلى وادى
 القرى ، فترل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له : مدغم ؛ أهدها إليه
 رفاعة بن زيد الجذامى ، فيينا هو يضع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه
 سهم^(٣) غرب فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 " كلا والذى نفس محمد بيده إن شملته لتحترق عليه في النار " . كان غلها

٩٩
١٥

(١) اتحل : استخرج . (٢) تخلق : طلى بالخلق ، وهو ضرب من العيب .

(٣) سهم غرب : لا يدري راجع .

(٤) الشملة : كساء غليظ يتحف به .

من قِيءَ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أصبَتْ شِراً كَيْنَ لَتَمْلِينِ لِي ؟ فقال : ” يَقْدُ لَكَ مِثْلُهُمَا مِنْ النَّارِ “ .

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وساق نحو الحديث في قتل يذمهم ، ثم قال : وكانت يهود قد قَوَّى إليها ناس من العرب ، فاستقبلونا بالزُّمى حيث نزلنا ، ولم تكن على تعبئة ، وهم يصبحون من آطامهم ، فعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وصفهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، وحققوا دماءهم ، وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دُجانة الأنصاري رضي الله عنه فقتله ، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلاً ، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقى إلى الإسلام . قال : ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله ، فقاتلهم صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنم أموالهم ، وأصابوا أئاناً ومتاعاً كثيراً ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه . وترك الأرض والتخل بأيدى يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود نَيْمَاء ما كان من أمر خيبر وقدك ووادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ،

وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة؛ فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل: "مَنْ رجل يحفظ جانبنا الفجر لعلنا ننام؟" وجاء في الحديث: "مَنْ رجل يكَلِّأُ لنا الليل؟" . فقال بلال: أنا يا رسول الله . فترسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أَنْ يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر رُمقه فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مَسُّ الشمس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه استيقاظا، فقال: "ماذا صنعت بنا يا بلال؟" فقال: يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال: "صدقت". ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعيره^(١)] فبرك كثير ثم أناخ، فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة^(٢)، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: "إِذَا نُسِيتُم الصلاة فصلوها إِذَا ذُكِرْتُمُوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾"^(٣).
وفي الحديث: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اسْتَيْقَظَ وَاسْتَيْقَظَ أَصْحَابُهُ أَمْرَهُمْ أَنْ يَرْكَبُوا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي، وَقَالَ: "إِنَّ هَذَا وَادٍ بِهِ شَيْطَانٌ" فَرَكَبُوا حَتَّى خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا وَأَنْ يَتَوَضَّعُوا... الحديث بنحو ما تقدم.

ذكر سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة^(٤)

بمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة في ثلاثين رجلا إلى عَجَزٍ دَوَّازَنَ بِتُرْبَةٍ — وهى ناحية العَبْلَاءِ على أربع ليالٍ من مكة، طريق صنعاء ونجران — فأتى الخُبَرُ هَوَازَنَ فَهَرَبُوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق بها أحدا . فانصرف راجعا إلى المدينة .

(١) التكلة عن ابن هشام . (٢) في ج: « للصلاة » . (٣) سورة طه آية ١٤ .
(٤) في أ: « قرية » . ومع تحريف . (٥) في أ: « محالها » .

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة .

روى عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه

رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم ، وكان شعارنا :

أَمِيتْ أَمِيتْ . قال : فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وعنه أيضا

قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة . وهذا الذي صححه

مسلم . وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال : حدثني أبي قال : غزونا فزارة

وعليها أبو بكر رضي الله عنه ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان

بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا ، ثم شق الغار فورد الماء ، فقتل من

قتل وسبى من سبى . ثم [قال سلمة : فرأيت عُنُقًا^(٢) من الناس فيهم الذراري ، فخشيت

أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بينهم بيلتهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ،

بلغت بهم أسوفهم ، وفيهم امرأة من بني فزارة ، معها ابنة لها من أحسن العرب ،

فسقنهم حتى أثبت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنقلني ابنتها ، فقدمنا المدينة

وما كشفت لها ثوبا ، فلقبني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال :

” يا سلمة ، هب لي المرأة “ . فقلت : يا رسول الله ، قد أعجبني وما كشفت لها

ثوبا ، ثم لقبني من الغد في السوق ، فقال : ” يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك ! “ .

فقلت : هي لك يا رسول الله ؛ فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل

مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة . روى هذا الحديث مسلم .

(١) عرسنا : تزانا في آخر الليل للاستراحة .

(٢) هنا يباشر بالأصلين والتكلمة من دلائل النبوة للبيهقي ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح مسلم .

(٣) عُنُقًا : جماعة من الناس .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك :

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة في ثلاثين رجلا إلى بني مُرة بفدك ، فخرج فأتى رءاء الشتاء ، فسأل عن الناس فقليل : في نواديهم ، فاستاق النعم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريح فأخبرهم فأدركهم الدهم منهم عند الليل ، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى قُتيت نبل أصحاب بشير ^(١) وأصبحوا ، فحمل المتزبون عليهم فأصابوا أصحاب بشير ، وقابل بشير حتى ارتث ^(٢) وضرب كعبه ، وقبل : قد مات . ورجعوا بنعيمهم وشائهم ، وقدم عتبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة

- ١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة سبع من مهاجرة إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالميعة ، وهى وراء بطن نخل إلى النفرة قليلا بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرد .

- بعثه في مائة وثلاثين رجلا ، ودليلهم يسار ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهجموا عليهم جميعا ، ووقفوا وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعا وشاء فغدروه إلى المدينة ، ولم يأسروا أحدا . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذى قال لا إله إلا الله ، وهو نهيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض ، وقال ابن إسحاق : مرداس بن نهيك ، حليف لهم من الحرقة من جهينة . وتقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعي ، وأن رسول الله صلى الله

(١) في ج : « فأدركه » . (٢) الدهم : العدد الكثير .

(٣) ارتث : صرع في الجنوب وبه رقى . (٤) في أ : « عراق » ؛ وهو مخريف .

عليه وسلم وآءاه . قال أسامة : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شہرنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم تتزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : ” يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ “ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تمؤذا من القتل ؛ قال : ” فمن لك بها يا أسامة ؟ “ قال : فوالذي يشبه بالحق إنه مازال يرددها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وكنت أسلمت يومئذ ، وأني لم أقتله . قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلا يقول : « لا إله إلا الله » أبدا . قال : ” يقول بعدى يا أسامة “ ، قلت : بعدك . وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة حين قال : « يا رسول الله ، إنما قالها تمؤذا من القتل » ” هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب “ ! .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار^(١)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن^(٢) جمعا من غطفان بالجناب قد واعدهم عبيدة بن جحش ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بشير بن سعد ففقد له لواء ، وبعث معه ثلثمائة رجل ، فساروا حتى أتوا يمن وجبار ، وهو نحو الجناب — والجناب يعارض سلاح وخير ووادي القري — فدنوا

- (١) يمن : بفتح الباء ، وقيل : بضمها ؛ وقيل : بضمزة مفتوحة وسكون الميم ؛ (الزرقاني ج ٢ : ٣٠٢) . (٢) جبار : ضبطه الزرقاني بفتح الجيم ، وضبط في معجم البلدان بضمها . (٣) الجناب : من أرض غطفان . (٤) سلاح : موضع أسفل خير .

من القوم فأصابوا لهم نَمًا كثيرا ، وتفترق الرِّعاء فحذروا الجمع ، فنفروا ولحقوا
بعلية بلادهم ، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالهم فلم يجد فيها أحدا ،
فرجع بالنعم ، وأصاب منهم رجلين ، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلما ، فأرسلهما صلى الله عليه وسلم .

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلي إلى بني سليم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجرة في خمسين
رجلا إلى بني سليم ، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
بعد عمرة القضاء ، فخرج إليهم وتقدمه عين لهم كان معه ، فحذروهم ، فتجمعوا ،
فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا
إلى ما دعوتنا إليه . فتراأوا ساعة بالنبل ، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم
من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قُتل عاشرهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء
جرحا مع القتل ، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا المدينة
في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة .

(١) ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوخ بالكديد

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى عن
جندب بن مكيث الجهمي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب
ابن عبد الله الليثي ، ثم أحد بني كلب بن عوف في سرية ، فكنت فيهم ، وأمرهم
أن يسكنوا الغارة على بني الملوخ بالكديد - وهم من بني ليث - قال : فخرجنا

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة . ويوم الكديد من أيام العرب .

حتى إذا كُنَّا بِقُدَيْدٍ لَقِينَا الْحَارِثُ بْنَ الْبَرَاءِ ، فَأَخَذَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ أُرِيدُ
 الْإِسْلَامَ . قُلْنَا : إِنْ تَكُنْ مُسْلِمًا لَمْ يَضُرَّكَ رِبَاطُنَا يَوْمًا وَلَيْلَةً . قَالَ : فَشَدَدْنَاهُ
 وَنَقَا ، وَخَلَقْنَا عَلَيْهِ رُؤْيِيًا مَنَّا أَسْوَدَ ، وَسَرْنَا حَتَّى آتَيْنَا الْكَيْدَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ،
 فَكُنَّا فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي ، وَبَشَنِي أَصْحَابِي رَيْبَةً ^(١) ، فَخَرَجْتُ حَتَّى آتَيْتُ تَلًّا مُشْرِفًا
 عَلَى الْحَاضِرِ ، فَاسْتَنْدْتُ فِيهِ ، فَعُلُوْتُ فِي رَأْسِهِ ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْحَاضِرِ ، فَوَاللهِ إِنِّي
 لَمُنْبَاطِحٌ عَلَى التَّلِّ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ خِبَائِهِ ، فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : إِنِّي لَأَرَى عَلَى التَّلِّ
 سَوَادًا مَا رَأَيْتُهُ فِي أَوَّلِ يَوْمِي ، فَأَنْظُرِي إِلَى أَوْعَيْتِكَ ، هَلْ تَقْفِدِينَ مِنْهَا شَيْئًا ؟
 لَا تَكُونِ الْكَلَابُ جَرَّتْ بِمَضْمَا قُلْ : فَنَظَرْتُ ، فَقَالَتْ : لَا وَاللهِ مَا أَفْقَدُ شَيْئًا . قَالَ :
 فَنَادَانِي فَوْسَى وَسَهْمَيْنِ . فَنَادَوْنِي ، فَأَرْسَلَنِيمَا فَوَاللهِ مَا أَخْطَأَ جَنْبِي ، فَأَنَزَعَهُ فَاذْمَعَهُ ،
 وَثَبْتُ مَكَانِي ، ثُمَّ أَرْسَلُ الْآخَرَ فَوَضَعَهُ فِي مَنِيكِي ، فَأَنَزَعَهُ فَاذْمَعَهُ ، وَثَبْتُ مَكَانِي ،
 فَقَالَ لَأَمْرَأَتِهِ : أَوْ كَانَ رَيْبَةً لَقَدْ تَحَرَّكَ ، لَقَدْ خَالَطَهُ سَهْمَايَ لَا أَبَا لَكَ ! فَإِذَا
 أَصْبَحْتُ فَأَبْتَقِيهِمَا نَفْخِيهِمَا لَا تَمْضِيهِمَا الْكَلَابُ ؛ قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ ، وَأَمَهْلَانَاهُمَا
 حَتَّى أَطْعَمُونَا وَتَأَمَّوْنَا وَكَانَ رَجُلٌ السَّحَرِ - شَنَنَّا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، وَأَسْتَقْنَا النِّعَمَ ، فَخَرَجَ
 صَرِيحُ الْقَوْمِ فِي قَوْمِهِمْ ، بَغَاءَ مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ ، فَخَرَجْنَا بِهِمَا نَحْدَرُهَا حَتَّى مَرَرْنَا
 بِابْنِ الْبَرَاءِ فَاحْتَمَلْنَاهُ وَأَحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا ، وَأَدْرَكَا الْقَوْمُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْنَا ، مَا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَادِي - وَادِي قُدَيْدٍ - فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى الْوَادِيَّ بِالسَّيْلِ مِنْ حَيْثُ
 شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ مَحَابِيَةِ نَزَاهَا وَلَا مَطَرٍ ، بَغَاءَ بَشِيءٍ لَيْسَ لِأَحَدٍ بِهِ قُوَّةٌ ،
 وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَجَاوِزَهُ ، فَلَقَدْ رَأَيْنَهُمْ وَقُوفًا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا ، وَإِنَّا لَنَسُوقُ نَعْمَهُمْ

(١) قُدَيْدٍ بالصغير : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) رَيْبَةً ، أَيْ عِيَالَهُمْ .

(٣) الْحَاضِرُ : الْحَيَّ الْعَظِيمُ .

ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُجِيزَ إلينا، ونحن نَحْدُوها مِرَاعاً حَتَّى قُتْنَاهُمْ ، فلم يَقْدِرُوا
على طلبنا، قال : فقدّمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال ابن سعد : وكانوا بضعةَ عشر رجلاً ، وكان شعارُهم يومئذٍ : أَمِتْ أَمِتْ !

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مُصَاب

أصحاب بشير بن سعد بفدك

كانت في صفر سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هيا الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال له :
” يَرْحَنِي تَنْهَيْهِ إِلَى مُصَاب أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَإِنْ أَنْظَرَكَ اللَّهُ بِهِمْ
فَلَا تَسْبِقْ فِيهِمْ “ ، وهياً معه مائتي رجل ، وعَقَدَ لَهُ لِيَوَاءَ ، فَقَدِمَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
مِنَ الْكَيْدِ ، وَقَدْ أَنْظَرَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزَّبِيرِ :
” أَجْلِسْ “ . وَبَعَثَ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَائَتِي رَجُلٍ ، فِيهِمْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ،
فَسَارَ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرٍ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا ، وَقَتَلُوا قَتْلًا .

ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبي^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ من الهجرة
في أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ مِنْ هَوَازَنَ^(٢) بِالسَّبِي ، مِنْ نَاحِيَةِ رُكْبَةٍ^(٣) مِنْ وَرَاءِ
الْمَعْدِنِ ، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى خَمْسِ لِيَالٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ ، فَسَارَ حَتَّى
صَنَجَهُمْ وَهِيَ غَارُونَ ، فَأَصَابُوا نَعْمًا كَثِيرًا وَشَاءَ ، فَاسْتَأَفَوْا ذَلِكَ حَتَّى قَدِمُوا
الْمَدِينَةَ ، وَغَابَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

(١) السبي : ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة .

(٢) ركبة (بضم فسكون فتح) : موضع بالطائف .

(٣) يريد معدن بن سليم ، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد .

ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى أتوا ذات أطلاح، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعاً كثيراً من جمعهم، فدعّوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورتقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأتت منهم رجل جريح، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وطمع بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أخر، فتركهم.

ذكر سرية مؤتة

ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكرك^(٢).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره، فأشد ذلك عليه، وندب الناس فامرعوا وعسكروا بالحرف^(٣)، وهم ثلاثة آلاف،

(١) في أ: «أطلاح»، وهو محريف.

(٢) مؤتة كذا وردت مهموزة بالألمين، وروى فيها ضم الميم وسكون الواو بغير همز.

(٣) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. وفي ابن سعد: «والبقاء دون

دمشق».

(٤) الحرف: بضم فسكون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

١٠٣
١٥

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمير القوم زيد بن حارثة ، فإن قُتل
بمغفر بن أبي طالب ، فإن قُتل فمعد الله بن رواحة ، فإن قُتل فليرثي المسلمون
بينهم رجلا فيجعلوه عليهم " ، وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض
وسأله إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأنوا مقتل
الحارث بن عمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام " إن أجابوا ، وإلا فاستعينوا
عليهم بالله وقاتلوهم " ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيعاً لهم حتى
بلغ ثنية الوداع^(١) ، فوقف ودّعهم وأنصرف عنهم : فقال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرئ ودّعته * في النخل خير مؤدع وخليل^(٢)

فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين !
فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات قرع تقذف الزبد^(٣)
في أبيات أخر^(٤) .

قال : فلما فصلوا^(٥) من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ،
وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ،

(١) هي ثنية مشرقة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، قيل في سبب تسميتها بذلك . إنها موضع
وداع المسافرين من المدينة إلى مكة .

(٢) كذا في ١ ، والذي في ج وابن هشام ج ٤ ص ١٦ « مشيع » .

(٣) ذات قرع ، أي واسعة . وأراد بالزبد هنا رغوة الدم ؛ (الزرقاني ج ٢ ص ٢٢٣) ملخصاً .

(٤) الأبيات في ابن هشام ٤ : ١٥ - ١٦ .

(٥) فصلوا : تفرقوا .

وقد نزل المسلمون معان^(١) من أرض الشام ، وبلغ الناس أن هِرَقل قد نزل
 مآب^(٢) من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء وآائل وبُكر ونختم وجُذام والقيث ،
 عليهم رجل من بلي^(٣) ثم أحد إراشة ؛ يقال له : مالك بن زافلة ، فأفادوا اليثين لينظروا
 في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشجعهم عبد الله
 ابن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكهون لآتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ،
 وما تقايل الناس بمدد ولا قوة ولا كثرة ، ما تقايلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله
 به ، فانطلقوا فلأتمها هي إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة . فقال الناس :
 قد والله صدق ابن رواحة . قل : فغضى الناس حتى إذا كانوا يُخْضَمُ البلقاء لقيتهم^(٤)
 بمسوح هِرَقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف ،
 ثم دنا العدو ، وأحجاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤنة^(٥) ، ووافاهم المشركون ، بغاه
 منهم ما لا قبيل لأحد به من العدد وال السلاح والكراع^(٦) والديباج والحريير والذهب

(١) معان ، ضبعة الزرد في بفتح الميم ، وضبطه البكري بضمها : حصن كبير من أرض فلسطين ،
 على تسعة أيام من دمشق في طريق مكة .

(٢) مآب ، بفتح أوله وثانيه بعده ألف راء . معجبة : موضع بالشام (البكري) .

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالزاي المعجبة في الأصلين وابن هشام ج ٤ ص ٢٣ ، والذي في الزرقاني
 ج ٢ : ٢٢٣ « رافلة » بالراء المهملة .

(٤) الفاهوردها : النبلية .

(٥) النخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض .

(٦) مؤنة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ؛ وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان) .

(٧) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٤ : أن الكراع جمعة الخيل خاصة .

فعباً المسلمون ، فجعلوا على مئينتهم رجلا من بنى عُدرة يقال له : قُطْبَةُ بْنُ قَسَادَةَ ،
وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له : عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ — ويقال : عُبَادَةُ —
ثم أَلْتَفَوْا وَأَقْتَلَوْا ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ طَعْنًا بِالرَّمَا ح ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ فَرَسٍ
لَهُ شَقْرَاءُ قَعْرَقَهَا ^(١) ، فَكَانَتْ أَوَّلُ فَرَسٍ عُرِفَتْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ،
ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ فَقَطَعَهُ نِصْفَيْنِ فَوُجِدَ فِي أَحَدِ نِصْفَيْهِ بَضْعَةٌ وَثَمَانُونَ جُرْحًا ،
وَوُجِدْنَا نِيْمًا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ وَطَعْنَةً بِرُمْحٍ .

وَحَكَّى أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ الْأَسْوَءَ
بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ يَدَهُ ، فَأَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ ، فَأَحْتَضَنَهُ بِمُضْدِيهِ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ
ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَأَنَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ .

وقال محمد بن إسحاق : كان جعفر يقاتل وهو يقول :

يَا حَبْذَا الْجَنَّةِ وَأَقْرَابُهَا * طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا * كَافِرَةٌ بَعِيدَةُ أَنْسَابُهَا
عَلَى إِنْ لَاقَيْتُهَا ضِرَابُهَا

قال : وَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَةَ الرَّايَةَ ، ثُمَّ تَهَيَّأَ بِهَا وَهُوَ عَلَى
فَرَسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ التَّرَدُّدِ ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ :

أَنْفَسْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنِي * لَتَنْزِلِنِي أَوْ لَتُنْكَرِهَنِي

(١) عرفها ، أى قطع عرقوبها ، وهو الوزر الذى بين مفصل الساق والقدم ، قال فى الروض :

« ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جوارحه إذا خيف أن يأخذوا العدو فيقتل عليها المسلمون » .

وفى ابن هشام ج ٤ ص ٢٠ « عفرها » . (٢) فى أ : « يده » ؛ وهو محرف .

(٣) فى أ : « باليغ » . (٤) يستنزل نفسه ، أى يطلب نزولها عما أرادته وهمت به .

إِنْ أَجَابَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّتَّةَ^(١) * مَا لِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ
قد طال ما قد كنتِ مطمئنة * هل أنتِ إِلَّا تُنْفِطِئُ^(٢) فِي شَتَا

وقال أيضا رضى الله عنه :

يَا نَفْسُ إِمَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي * هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمْتَنِي فَقَدْ أُعْطِيْتَ * إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ
وإِنْ تَوَلَّيْتَ فَقَدْ شَقَّيْتَ

١٠٤
١٥

يريد بقوله : « فَعَلَهُمَا » صاحبيه زيدا وجعفرًا ؛ ثم نزل . فأنابه ابنُ عمِّه
بِعَرَقٍ مِنْ لَحْمٍ ، فقال : شُدَّ بِهِذَا صُذُوكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقَيْتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقَيْتَ .^(٣)
فأخذه من يده فأتهمس منه نَهْشَةً^(٤) ، ثم سمع الحطمة من ناحية الناس ، فقال : وَأَنْتِ
فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَتَقَدَّمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثم أخذ الراية ثابتُ بنُ أرقمَ ، وقال : بِأَمْعُشَرِ النَّاسِ ، إِصْطَلَحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ؛^(٥)
فَقَالُوا : أَنْتِ ؛ قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ . فَأَصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا
أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ وَحَاشَى بِهِمْ^(٦) ، ثُمَّ انْحَاذَ وَأَنْحَازَ عَنْهُ ، وَانْكَشَفَ : فَكَانَتْ

(١) أجاب الناس : اختلطت أصواتهم وضجروا . وفي السبيل « جلب » بتشديد اللام : والرنة :
صوت فيه ترجيع شبه البكاء .

(٢) التطفئة : التقليل من الماء الصافي . والكثرة : القرية الخلق .

(٣) العرق : العظم الذي عليه بعض اللحم .

(٤) أتهمس : أخذته بنجسه يسيرا (عن أبي ذر) . وفي أ : « فأتهمس منه نهشة » .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطهم بعضهم بعضا .

(٦) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٦ عن ابن إسحاق : « المسلمين » .

(٧) حاشى بهم : انحاز بهم ، من الحشى . وفي ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨ : « وخاشى بهم » بالجمع ، من الخاشاة ، وفي المحاذرة ، مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لئلا ينددهم ،

وفي الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٧ : « بغش خلد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه » .

١٠

١٥

٢٠

الهمزية ، فتبيهم المشركون ، قُتِلَ من قِتلِ المسلمين ، وُرُفِعَت الأرضُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم ، فلما أخذ خالدُ بن الوليد الأواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الآن حَيَّي الْوَطَيْسَ “^(١) .

قال محمد بن إسحاق : ولما أصيب القومُ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا “ ، ثُمَّ صَمَتَ حَتَّى تَوَيْرَتْ وَجْهُهُ الْأَنْصَارُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُونَ ، فَقَالَ : ” ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا “ .

قال ابن إسحاق : وكان قُطَيْبَةُ بْنُ قَنَادَةَ الْعُسْذِرِيُّ حَمَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ زَافَلَةَ فَقَتَلَهُ وهو على ألسنة ألف التي اجتمعت من العرب ، فقال في ذلك :

طعنتُ ابنَ زَافَلَةَ بنَ الإِراشِ * برمحٍ مضى فيه ثمَّ انحطمتُ^(٢)
ضربتُ على جبينه ضربةً * فسال كما مالَ غصنُ السلمِ^(٣)

قال : ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقَّوهم بالحرِّف ، بفعل الناس يَحْتَرُونَ في وجوههم الزراب ويقولون : يا فُزَارَ ، فرَّرم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إيسوا بفُزَارَ ، ولكنهم كُزَارَ إن شاء الله “ .

(١) حي الوطيس ، أي حي الضرب وجدت الحرب واشتدَّت .

(٢) انحطمت : انكسرت .

(٣) الحيد : العز . وسال بالتحريك : شجر المضاء ، الواحدة سلية .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤنة

استشهد من قريش ومواليهم أربعة نفر، وهم : جعفر بن أبي طالب، وزيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسعود بن الأسود بن حارثة
ابن نضلة، ووهب بن سعد بن أبي سرح . واستشهد من الأنصار : عبد الله
ابن رواحة، وعبد بن قيس، والحارث بن النعمان بن إساف، وسرافقة بن عمرو
وأبو كليب وجابر ابن عمرو بن زيد، وعمرو وعامر آبنا سعد بن الحارث بن عباد ،
رضوان الله عليهم أجمعين .

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل^(١)

وهي وراء وادي القسري ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى
الآخرة سنة ثمان من الهجرة . وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغه أن بجعا من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يذنبوا إلى أطراف رسول الله^(٢)
صلى الله عليه وسلم، فدعا عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وجعل معه
راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون^(٣)
فرسا، وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلي وعدرة وبلقين، أنسار الليل وكين النهار،
فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث رافع بن مكيث الجهمي^(٤)

(١) اختلفوا في ضبط هذه الكلمة اختلافا كثيرا، فهم من ضبطها بفتح السين الأول ومنهم من

ضبطها بالضم، ومنهم من ضبطها بالفتح والضم . راجع الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٢

(٢) كذا في الأصاين وابن سعد ج ٢ القسم الأول ص ٩٥ ، وفي عيون الأثر (٢ : ١٥٧) :

يريدون أن يذنبوا إلى أطراف المدينة . (٣) سراة القصور : أصحاب الشرف فيهم .

(٤) لأن عمرا كان ذا رحم فيهم ، فإن جثة لأبيه كانت بلوية ، فأراد عليه السلام أن يأنسهم بعمره .

(٥) كذا ضبط في الزرقاني ج ٢ ص ٣٣٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَزَّاحِ فِي مَائَتَيْنِ، وَعَقْدَ لَهُ لِيَوَاءَ، وَبَعَثَ مَعَهُ سَرَاةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعُمَرُو، وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَخْتَلِفَا، فَلَحِقَ بِعُمَرُو، فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يُؤْتِمَ النَّاسَ، فَقَالَ عُمَرُو: إِنَّمَا قَدِمْتُ عَلَى مَدَدَا، وَأَنَا الْأَمِيرُ، فَأُطَاعَ لَهُ بِذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(١)، وَسَارَ حَتَّى وَطِئَ بِلَادَ بَيْلَ، وَدَوَّقَهَا حَتَّى أَتَى إِلَى أَقْصَى بِلَادِهِمْ وَبِلَادِ عُدْرَةَ وَبَلَقَيْنَ، وَلَقِيَ فِي آحْرَ ذَلِكَ جَمْعًا، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا، ثُمَّ قَتَلَ وَبَعَثَ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَمِيَّ يَرِيدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ وَمَا كَانَ فِي غَزَاتِهِمْ.

ذِكْرُ سَرِيَّةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَزَّاحِ، وَهِيَ سَرِيَّةُ الْخَبِطِ^(٢)

١٠
١٥

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَزَّاحِ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي ثَلَاثَةِ مِائَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِلَى حَيٍّ مِنْ جُوهَيْنَةَ بِالْقَبِيلَةِ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ الْبَحْرِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ خَمْسُ لَيَالٍ، فَاصَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ جَوْعٌ شَدِيدٌ، فَأَكَلُوا الْخَبِطَ، وَأَبْتَاعَ قَبْسُ بْنُ سَعْدٍ جُرُورًا وَنَجَّرَهَا لَهُمْ.

رَوَى عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً^(٣) إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ، عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَزَّاحِ، وَزَوْدُهُمْ حِرَابًا مِنْ تَمَرٍ، لِيُفْعَلَ بِقُوَّتِهِمْ إِيَّاهُ حَتَّى صَارُوا إِلَى أَنْ يَعِدَّهُ لَهُمْ عَدَا، ثُمَّ نَفَذَ التَّمْرَ حَتَّى كَانَ يُعْطَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَفَسَمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا، فَتَقَصَّصْتُ تَمْرَةً عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: فَوَجَدْنَا نَفَذَهَا ذَلِكَ

(١) زاد في ابن سعد ج ٢ : ص ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله : « وكان عمر رضي الله عنه » .

(٢) الخبط (بالتحريك) : ورق البضاد، من الطلع ونحوه من الشجر، يضرب بهما قناثر.

(٣) سيف البحر : ساءله .

اليوم ، فلما جهَدْنَا الجوع أخرج الله لنا ذَابَّةً ^(١) من البحر فَأَصَابَنَا من لَحْمِهَا وَوَدَّكُهَا ^(٢) ، فأَقْنَا عليها عشرين ليلة حتى سَمِينَا ^(٣) وَأَبْتَلْنَا ، وَأَخَذَ أَمِيرُنَا ضِلْعًا من أضلاعها فوضعه على طريقه ، ثم أمر بإجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا ، فخرج من تحتها وما مَبَّتْ رأسه ، فلما قَدِمْنَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَنَاهُ خبرَهَا ، وسألناه عما صنعنا في ذلك مَنْ أَكَلْنَا إِيَّاهَا ، فقال : « رَزَقُيْ رَزَقُكُمُوهُ الله » .

قال ابن سعد : وانصرفوا ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خُضْرَةَ وهي أرض مُحَارِبٍ بَنِيْدٍ

قالوا : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة ثمان من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غَطَفَانَ ، وأَمَرَهُ أَنْ يَشْنَ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ ، فسار اللَّيْلَ وَكَانَ النَّهَارُ ، فَهَجَمَ على حَاضِرٍ مِنْهُمْ عَظِيمٍ ، فأحاط به ، فصرخ رجلٌ منهم : يا خُضْرَةُ وفاتل منهم رجال ، فقتلوا من أشرفهم ^(١) ، وأماقوا النَّعَمَ ، فكانت الإبل مائتي بعير ، والغنم ألفي شاة ، وسبوا سبيًا كثيرًا ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخُصْمَ ، وقسموا ما بقى على السرية ، فأصاب كل رجل منهم اثنا عشر بعيرًا ، وعُدِلَ البعيرُ بعشرين من

(١) ذكر الزرقاني أنه نوع من السمك يقال له العنبر .

(٢) الودك (بالتحريك) : الشحم .

(٣) ابتلنا : حسنت حالنا بعد المزال وأقننا من ألم الجوع الذي كان أصابنا .

(٤) كذا في الأصلين . والذي في الزرقاني ج ٢ ص ٣٤٠ وابن سعد ج ٢ ص ٩٦ « فقتلوا

من أشرف لهم » أي ظهر .

الغنم، وصارت في سَهم أبي قتادة جاريةً وَصِيَّةً، فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَهَبَهَا لَهُ، فَوَهَبَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَحِيمَةَ بْنِ جَزْءٍ. وَغَابُوا فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

ذِكْرُ سَرِيَّةِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ

كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالُوا: لَمَّا هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَزْوِ أَهْلِ مَكَّةَ بِثَ أَبِي قَتَادَةَ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ سَرِيَّةً إِلَى بَطْنِ إِضْمٍ — وَهِيَ فِيمَا بَيْنَ ذِي خُشْبٍ وَذِي الْمَرْوَةِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ بُرْدٍ — لِيُظَنَّ ظَانُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوَّجَهُ إِلَى تِلْكَ الْبَاحِيَةِ، وَلِأَنَّ تَذَهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارَ، وَكَانَ فِي السَّرِيَّةِ عِلْمٌ بِنُجَاتِهِ اللَّبَنِيِّ، فَتَزَعَمَرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَبِيِّ، فَاسْلَمَ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ الْقَوْمُ، وَحَلَّ عَلَيْهِ عِلْمٌ بِنُجَاتِهِ فَقَتَلَهُ لَنِيءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، وَسَلَبَهُ بِسَيْرِهِ وَمَنَاعِهِ، فَلَبَسَ لِحْفًا يَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُثُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۖ﴾ ^(١) الْآيَةُ. فَخَضُوا وَلَمْ يَلْقُوا جَمْعًا فَأَنْصَرَفُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذِي خُشْبٍ، فَلَمَّعَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَوَّجَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَأَخَذُوا عَلَى يَمِينٍ حَتَّى لَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّفْيَا.

(١) سورة النساء: ٩٤

(٢) بين، ففتح فسكون: ناسبة من أعراض المدينة على يديها (يا فوفت).

ذَكَرْ غَزْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَالسَّبَبَ الَّذِي
أَوْجَبَ نَقْضَ الْعَهْدِ وَفَسَخَ الْهُدْنَةَ

١٠٦
١٥

كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَعَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا مِنْ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ .

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ شَعْبَانُ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَلَّمَتْ بَنُو نُقَافَةَ - وَهُمْ مِنْ
بَنِي بَكْرِ - أَشْرَافَ قُرَيْشٍ أَنْ يَعْثُوهُمْ عَلَى خُرَاعَةِ بِالزَّجَالِ وَالسَّلَاحِ ، وَكَانَتْ خُرَاعَةٌ
قَدْ دَخَلَتْ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَهْدِهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَمَا قَدْ مَنَّا
ذَكَرْ ذَلِكَ ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرِ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهَا ، قَالُوا : فَلَمَّا سَأَلُوهُمْ ذَلِكَ
وَعَدُوهُمْ وَوَأَقَوْهُمْ بِالْوَيْزِ مَتَنَكِّرِينَ مَتَقِّبِينَ ، فِيهِمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ
عَبْدِ الْعُزَّى ، وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ ، فَبَيَّتُوا خُرَاعَةَ لَيْلًا ، وَهُمْ غَازُونَ أَمْنُونَ ^(١)
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ نَدِمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَا صَنَعَتْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا نَقْضُ
لِلْعَهْدِ وَالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَرَجَ عُمَرُو بْنُ سَالِمٍ
الْخُرَاعِيُّ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنْ خُرَاعَةٍ ، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَدِيمُ عُمَرُو بْنِ سَالِمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ،
فَوَقَفَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فَقَالَ :
يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا • حَلَفَ أَيْبَا وَأَيْبِهِ الْأَتْلُذَا ^(٢)
قَدْ كَتَمْتُ وَلَدًا وَتَكَا وَالِدَا • ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَتَرَعْ يَدَا ^(٣)

(١) الويز : ماء قريب من مكة . (٢) غازون : غاطلون . (٣) ناشد : طالب .

والخلف : بكسر الخاء . رسكون اللام : الماصرة . (٤) الولد : بضم فسكون : لغة في الولد ،
بالتحريك . ثممت : حرف عطف أدخل عليه تاء التأنيث .

فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا^(١) * وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ بِأَتَوْا مَنَدًا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَدَتَجَرَّدَا * إِنْ سِمْ خَسَفَا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا^(٢)
 فِي قَبْلِي كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا * إِنْ قَرِيشَا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
 وَتَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا * وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَائِهِ رُصْدَا^(٣)
 وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا * وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلَلُ مَدَدَا
 هُمْ يَبْتُونَا بِالْوَيْتِيرِ هُجْدَا * وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَجُجْدَا^(٤)

يقول : قُتِلْنَا وَقَدْ آمَنَّا، وَيُرْوَى بِدَلِّ قَوْلِهِ : * قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا * .

• نَحْنُ وَلَدُنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدًا * ^{معين التارح}
 لَأَهْلِ التَارِحِ

قال : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” نَصَرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ “ .

- ١٠ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ ، قَالَ : قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
 يَخْرُجُ رِدَاءَهُ وَيَقُولُ : ” لَا تُنْصَرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصَرْتَهُ نَفْسِي “ .
 ثُمَّ عَرَضَ لَهُ سَحَابٌ ، فَقَالَ : إِنْ هَذَا السَّحَابُ لَيَسْتَهْلِكُ بَنِي نَصْرٍ بَنِي كَعْبٍ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَفِيهِمْ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قَرِيشَ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمُ

(١) في ج ، وفي ابن هشام ج ٤ ص ٣٦ « أَعْدَا » .

(٢) سِمَ خَسَفَا ، أَيِ أَوَّلُ ذَلَا . وَزَبَدَ : تَغَيَّرَ .

(٣) الْقَبْلِيُّ : الْعَسْكَرُ الْكَبِيرُ .

(٤) رُصْدُ كَرْمٍ : جَمْعُ رَاغِدٍ ، وَهُوَ الطَّالِبُ لِلشَّيْءِ .

(٥) يَبْتُونَا : قَصَدُونَا لِيَلَا .

ثم أنصرفوا راجعين إلى مكة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
 « كَانَتْكُمْ بَابِي سُفْيَانٌ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ » ، ومضى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ
 وأصحابه حتى لُفُوا بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْثَقَانَ ^(١) ، قد بعثه قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ : مِنْ أَيْنَ
 أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ قَالَ : تَسِيرْتُ فِي خُرَاعَةٍ فِي هَذَا السَّاحِلِ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ؛
 قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مَعَهَا ؟ قَالَ : لَا ، وَفَارَقَهُ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَئِنْ كَانَ بُدَيْلُ جَاءَ
 إِلَى يَتْرَبَ لَقَدْ عَلَّقَ النَّوَى بِهَا ، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ فَاخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَقَهُ ، فَرَأَى
 فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلِفْ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلُ مَعَهَا ؛ ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى
 قَدِمَ عَلَى عَهْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ ، وَذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى
 فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَطَوَّهَ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرَى أَرُغِبْتَ بِي عَنْ
 هَذَا الْفِرَاشِ ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي ، قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجِسٌ ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيَّةُ شَرٌّ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَكَلَّمَهُ أَنْ
 يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ؛ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ^(٢)
 فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ
 إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُُ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ ابْنُهَا غُلَامٌ يَدْبُ يَدِيهَا ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ،

(١) صفوان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان) .

(٢) في ابن هشام : « يكلم له » .

إِنَّكَ أَمَسَ الْقَوْمَ بِرَحْمَا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أَرْجِعُ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ،
 فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، وَاللَّهِ لَفَدَّ
 عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْلِفَهُ فِيهِ ، فَأَلْتَفَتَ إِلَى
 فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بَنِيكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ
 سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ فَالَتْ : وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بَنِيَّ ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ،
 وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى
 الْأُمُورَ قَدْ أَشْتَدَّتْ عَلَيَّ ، فَاَنْصَحْنِي ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ
 سَيِّدُ بَنِي كَثَانَةَ . فَقَمَّ فَأَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَخْلَقُ بِأَرْضِكَ ، قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا
 عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ
 فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بِعِيرِهِ وَأَنْطَلَقَ ،
 فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ عِندًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ
 مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ أَبْنَى خُفَّانَةَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ أَبْنَى الْخَطَّابِ
 فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلَيْنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ
 صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى هَلْ يُغْنِي شَيْئًا أَمْ لَا ؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمَرَكَ ؟ قَالَ : أَمَرَنِي
 أَنْ أَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ، قَالُوا : فَوَيْلٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالُوا :
 وَبِذَاكَ ، وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ مِنْكَ ، فَمَا يُغْنِي عَنْكَ مَا فَعَلْتَ ، ثُمَّ تَجَهَّزَ

(١) فِي كَلَامِ الْأَمْلِينَ : « فَلَا رَجْعَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَالنَّصِيبُ مِنْ أَبْنِى هِشَامٍ .

(٢) كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ رَأْيِنِ هِشَامٍ ؛ وَالَّذِي فِي جَدِّ : « أَتَيْتُ » .

(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « بِكَ » .

(٤) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « مَا فَعَلْتَ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتبؤ، وقال: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تنبتها في بلادها". والله المعين .

ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وأخذ الكتاب، وما أنزل الله عز وجل في ذلك من القرآن

قال : ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في المسير إليهم ، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مُزينة - وقيل : هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلفه قريشا، فجعلته في رأسها ثم فلتت عليه قرونها ونرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب ، والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، وقال : أذكرا امرأة قد كتبت معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم ، فخرجا فادركاهما بالخليفة ، خليفة بن أبي أحمد ، فاستترلاهوا وألصقا في رجليهما فلم يجدوا شيئا ، فقال لها علي : ألعنك الله لتخرجي لنا هذا الكتاب أو لتقتلك ، فقالت : أعرض عني ، فأعرض ، فلتت قرونها رأسها فاستخرجت الكتاب ودفعته إليه ، فأتيا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدنا حاطبا فقال : "ما حملك على هذا؟" قال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت

وما بذلت ، ولكنني أمرؤ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر : يا رسول الله ، دعي أضرب عنقه ، فإن الرجل قد نأق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" .

هذه رواية محمد بن إسحاق .

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التلعلي رحمه الله : إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صفين بن هاشم بن عبد مناف ، وإنما أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمسلمي جيت" ؟ قالت : لا . قال : "أمهاجرة جيت" ؟ قالت : لا ؛ قال : "فأحاجتك" ؟ قالت : كنت كثيرة العشيرة والأصل والموالي ، وقد ذهب موالئ ، وأحججت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لعلوني ونكسوني ونحملوني . قال لها : "فأين أنت من شباب أهل مكة" ، وكانت مفتنة نائمة ، قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر : فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة ؛ فأناها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى ، فكتب معها إلى أهل مكة كتابا ، وأعطاهما عشرة دنانير .

قال التلعلي : هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : وقال مقاتل بن حيان : أعطاهما عشرة دواهم وكساهما بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب في الكتاب : «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ، إن

رسول الله يريدكم ، فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ، ونزل جبريل ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، وعمر ، والزبير ، وطلحة ، وعماراً ، والمقداد بن الأسود ، وأبا مرثد ، وكانوا كلهم فرساناً ، وقال لهم : ^(١) "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طغينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها ، وخلوا سبيلها ، وإن لم تدفعه إليكم فأضربوا عنقها " فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لها : أين الكتاب ؟ فخلعت بالله ما معها كتاب ، فبحثوها ، وقتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً ، فهجموا بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : والله ما كذبنا ولا كذبنا ، وسئل سيقه ، وقال لها : أخرجي الكتاب وإلا والله لأجرّدك ، ولأضربن عنقك ، فلما رأت الحسد أخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها ، فخلوا سبيلها ، ولم يتعرضوا لها معها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى حاطب فأناه ، فقال له : "هل تعرف الكتاب ؟" قال : نعم ، قال : "ما حملك على ما صنعت ؟" فقال : يا رسول الله ، ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غشيتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريباً فيهم ، وكان أهلي بين ظهرائهم ، فخشيت على أهلي ، فأردت أن أنخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله يُنزل بهم بأسه ، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً ، فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ، فقام

(١) روضة خاخ : موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) .

عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر " .

- وانزل الله عز وجل في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ (١) ، قال : أى من مكة لأن آمنتم بالله ربكم ، قال : فى الكلام تقديم وتأخير ، ونظم الآية :
- ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَاتِّفَاءِ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ يَشْفِقُواكُمْ بِكُمْ كُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٢) قال : يشفقوكم يروكم ويظهروا ، ﴿ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى بالقتل ، ﴿ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ أى بالشتيم ، ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يؤادونكم .

- قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : معنى الآية : لا تدعوكم قرابتكم ولا أولادكم التى بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم ، ومظاهرتهم ، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التى عصيتهم الله لأجلهم

(١) سورة النحلة الآيات ١ ، ٢ ، ٣

(٢) كذا فى كلا الأصلين . والله فى القربى : « يشفقوكم يظهرها بكم ويحبوا بكم » .

(يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) فَيَدْخُلُ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكَفْرِ بِهِ النَّارَ .

قوله تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ^(١)) الآية ، ثم قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ مِنْ يَتَّبِعُ^(٢)) فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^(٣)) قال : قوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ^(١)) بمعنى في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ، قال : فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون

أقرباءهم من المشركين في الله ، وأظهروا لهم العداوة والبراءة ، فعلم الله تعالى شدة وجيد المؤمنين بذلك ، فَأَنْزَلَ : (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٤)) ، قال : ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة ، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخوانا ، وخالطوهم وناحَوْهم .

قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(٥)) معناه : أن تعيدوا فيهم بالإحسان والبر ، وأختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت في خُرَاعة ، منهم هلال بن عُويمير ، وخُرَاعة ، وسُرَافة بن مالك ابن جُعشم ، وبنو مُذَلْج ، وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا .

وقال عبد الله بن الزبير : نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم ، وذلك أن أمها قُتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حِصْل قَدِمَتْ عليها المدينة بهدايا وهي مُشركة ، فقالت أسماء : لا أقبل منك هدية ، ولا تدخلني على بيتي حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسألت لها عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُتِلَ الله عز وجل هذه الآية ، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُدخلها مترفاً ، وتقبل هديتها ، وتحسن إليها ، وتكرمها . وقال مرة الهَمْدَانِي وعطية العَوْفِي : نزلت في قوم من بني هاشم ، منهم العباس . ثم قال تعالى : (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَدَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١)) قال : وهم مشركو مكة . فلترجع إلى أخبار غزوة الفتح .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

إلى مكة ، ومن جاءه في طريقه قبل دخوله مكة

قال : ولما تَيَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزاة بعث إلى من حوله من العرب يخبرهم ، وهم أسلم ، وغِفَار ، ومُزَيْنَة ، وجُهَيْنَة ، وأشْجَع ، وسُلَيْم ، فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه في الطريق ، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، فإله محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد البيهقي : استخلف على المدينة أبو رهم كلثوم بن حُصَيْن بن عُبَيْة بن خلف الغِفَارِي ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الأربعاء لعشير ليل خلون من شهر رمضان بعد العصر ، فلما انتهى

إلى الصُّلَّصُلِ^(١) قَدِمَ أَمَامَهُ الزَّيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي مَائَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَامَ النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بِالْكَيْدِ بَيْنَ عُسْفَانَ^(٢) وَأَبِي أَنْطَرٍ^(٣) ، وَنَادَى مُنَادِيهِ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُقِطِرَ فَلْيَقِطِرْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ .

فَالِ ابْنُ سَعْدٍ : فَلَمَلَمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدَيْدٍ عَقْدَ الْآلُوتِ^(٤) وَالرَّابَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ^(٥) وَهُوَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَبَعَتْ سَلِيمٌ^(٦) ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : أَلْفَتْ مُزَيْنَةَ ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عِدَدٌ وَإِسْلَامٌ ، وَأَوْعِبَ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . قَالَ : وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ لَفِيَ عَمَّهُ الْبَاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَفِيَ بِالْجُحْفَةِ مَهَاجِرًا بِبَيْتِهِ^(٧) ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّهُ أَسْلَمَ عِنْدَ أَنْصَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ ، قَالَ : وَلَفِيَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، لَفِيَاهُ يَنْبِيقُ الْعُقَابُ^(٨) بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَتَحْتَا الدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيهَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنُ عَمِّكَ ، وَأَبْنُ عَمَّتِكَ وَصَهْرُكَ .

فَقَالَ : ” لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَنَّاكَ عِرْضِي ، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصَهْرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ “ ، فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمَا وَمَعَ أَبِي سَفْيَانَ بَنِي لَهُ

(١) الصلصل : موضع بنواش المدينة على سبعة أميال منها . (٢) الكدبد كأمير : موضع على أنين وأربعين ميلا من مكة . (٣) عسفان ، بضم أَوْه وسكون نونيه : قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة . (٤) أمج بالتحريك : بلد من أغراض المدينة . (٥) قديد بالتصغير : موضع قرب مكة . (٦) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة . (٧) سبت : أي كانت سبعة ، وألفت : كانت ألفا . (٨) الجحفة : موضع على أربع مراحل من مكة . (٩) نيق العقاب : موضع قرب الجحفة .

قال : والله لتأذنن لي أو لآخذن بيدِ نبيِّ هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ، ثم أذن لها فدخلت عليه ، فأسلمها ، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر بما كان قد مضى من فعله ، فقال :

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً * لئن لبَّ خَبِلُ اللَّاتِ خَبِلَ عَجْدُ
لكم المذْلُجُ الحَيْرَانُ أَظْمَ لَيْلُهُ * فهذا أوانُ حينِ أهدى وأهْدَى^(١)
هدائي هادٍ غيرِ نفسي ودائي * على الحقِّ مَنْ طرَدْتُ كلَّ مطرُودٍ
أصبَدُ وأنايَ جاهداً عن عَجْدٍ * وأدعى وإن لم أنسب من عَجْدِ
هُم ما هُم من لم يقل بسواهُم * وإن كان ذارأي يلم ويقتد^(٢)
أريد لأرضيهم وأستُ بلائط * مع القوم ما لم أهد في كلِّ مفْعِدِ^(٣)
فقل لتغيب : لا أريد قتلكم * وقل لتغيب تلك : غيري أو عيدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً * وما كان عن جرٍّ لسانِي ولا يدي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدةٍ * نزاعٌ جاءت من سَهَامٍ وسُرُودِ^(٤)

قال : ولما بلغ إنشاده قوله : « من طردت كل مطرود » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : « أنت طردتني كل مطرود » .

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْرَانِ نزلهما عَشِيًّا ، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف ناره ، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر

(١) رواية البيت كما في ابن هشام ٤ : ٤٣ ، والبدابة ٤ : ٢٨٧ .

هدائي هادٍ غير نفسي ودائي * مع الله من طردت كل مطرود

(٢) في ج : « يلام ريفد » . (٣) لا نط : ملحق . (٤) النزاع : الضرب .

(٥) سَهَام كسحاب ، وسُرود بضم أوله وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة ، و يروى بضم أوله وفتح الدال الأول : موضعان من أرض عك .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن عبد المطلب : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عتوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : جلستُ على بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجتُ عليها حتى جثتُ الأراك^(١) ، فقلت : لعل أجد بعض الخطابة أو صاحب كبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عتوة .

ذكر مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وإسلام أبي سفيان ، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يحدون خبرا أو يسمعون به ، فوالله إني لأسير على بئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتمس ما خرجتُ له ، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبديل ابن ورقاء وهما يتراجمان ، وأبوسفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا ، فيقول له بديل : هذه والله خراقة قد حمستها الحرب ، فيقول أبوسفيان : خراقة أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، قال العباس : فعرفتُ صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : يا أبا الفضل ، قلت : نعم ، قال : مالك فذاك أبي وأمي ! قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله في الناس ، واصباح قريش والله !

(١) الأراك : واد قرب مكة .

(٢) حمسها بالمهمل : انتنت عليها ، رفج ، وابن هشام : « حمسنا » بالمجعة ، أى أحرقتا .

قال : فإلى الحيلة فذاك أبى وأتى ! ، قال : قلت : والله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك ، فأركب في تجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ، ورجع صاحبه ، قال : بختت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر ابن الخطاب .

قال ابن سعد : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عمر تلك الليلة على الحرس ، قال العباس : فقال عمر : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على تجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة فسبقته ، فأقتحمت عن البغلة ، ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني أضرب عنقه . قال العباس ، قلت : يا رسول الله ، قد أجزته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت برأسه وقلت : والله لا يتاجيه الليلة رجلٌ دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من رجال بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال عمر : مهلا يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فاعني به " ، قال : فذهبت به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت

به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 ” ويحك يا أبا سفيان، ألم يأتك لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله “، قال : بآبى أنت
 وأمى ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره
 لقد أغنى شيئا بعد ؟ قال : ” ويحك يا أبا سفيان، ألم يأتك لك أن تعلم أنى
 رسول الله “؟ قال : بآبى أنت وأمى ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما والله هذه
 فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا، فقال له العباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله
 إلا الله، وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك ؟ قال : فشهد شهادة الحق ،
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فأجعل له شيئا .
 قال : ” نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ،
 ومن دخل المسجد فهو آمن “، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : ” يا عباس ، احبسْه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله
 فيراها “ . قال : فخرجت به حتى حبسته حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن أحبسْه ؟ قال : ومررت القبائل على راياتها كلما مررت قبيلة قال : يا عباس ،
 من هذه ؟ . فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القبيلة ، فيقول : من هذه ؟
 فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى مررت القبائل ، فأتت قبيلة إلا
 سألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ! حتى مر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فى كتيبه الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار - وإتت سميث بالخضراء
 لكثرة الحديد وظهوره فيها - وهم لا يرى منهم إلا الحديد من الحديد ، فقال :
 سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ألم يأتك : ألم يحزن .

(٢) خطم الجبل : آفة النادره .

في المهاجرين والأنصار، فقال : ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغدَّة عظيماً . قلت : ويحك ! إنها النبوة ، قال : فنعيم إذاً، ثم قلت : التَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ ^(١) ، فسار حتى إذا جاءهم صَرَخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا عهد قد جاءكم فيا لا قِبَل لَكُمْ به ، فمن دخل دار أبي سُفْيَانَ فهو آمن ، فقامت إليه هندُ بنتُ عتبة فأخذتُ بشاره ، فقالت :
 • أَقْتُلُوا الْحِمِيَّةَ الدَّيْسِمَ الْأَحْمَسَ ، قُبِحَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ ! قال : ويلكم ! لا تفرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لَكُمْ به ، فمن دخل داري فهو آمن ، قالوا :
 قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . ففترق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد . والله يؤيد بنصره من يشاء .

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة

شرفها الله تعالى صلحاً ، ودخول خالد بن الوليد

ومن معه من القبائل عنوة

قال : ولما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ذِي طُوًى ^(٢) ، وقف على راحته مُعْتِجِراً بِشُقَّةٍ بُرْدِجِيَّةٍ حمراء ، وإنه لبضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرم به من الفتح ، حتى إنَّ عُثْنُونَهُ لِيَكَادِ يَمَسُّ وَاسِطَ الرَّحْلِ ، ثم فرق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الجيش من ذِي طُوًى ، وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مع سعد بن عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فأمر رسول الله صلى الله

١١٢
١٥

(١) التجاء : السرعة . (٢) الحمية في الأصل : زق السنن . والدسم : الكثير الودك .

والأحمس : الذي لا خير عنده ، من قولهم : عام أحس إذا لم يكن فيه مطر . (٣) ذو طوى ، مثله الباء : موضع قرب مكة . (٤) الاعتجار : التسميم بغير ذؤابة . والحيرة : ضرب من ثياب اليمن .

عليه وسلم الزبير بن العوام، وكان على المحببة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كدى^(١)، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كداء^(٢)، فلما وجه سعد للدخول قال : اليوم يوم الملتحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، وفي رواية تستحل الكعبة ؛ فسمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : "أدركه نخذ الراية منه ، فأدخل أنت بها" . حكاه ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : إنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية من سعد ودفعها لأبنته قيس بن سعد .

وذكر يحيى بن سعيد الأُموي في السير : أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مرة على أبى سفيان ، فقال سعد إذ نظر إليه : اليوم يوم الملتحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشا ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كنية الأنصار حتى إذا حاذى أبى سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم الملتحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشا ، وإنى أئسُّدك الله في قومك ، فانت أبر الناس وأوصلهم وأرحمهم .

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، والله ما نأمن سعدا أن تكون منه في قريش صولة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبى سفيان ، اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشا" . وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ :

(١) كدى كقرى = جبل أسفل مكة .

(٢) كداء . كسا . : جبل بأعلى مكة .

يا نجي الهدى إليك لجامي^(١) قريش ولات حين بلاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرز * ض وعاداهم إله السماء
وألقت حلقنا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم^(٢) الصلاء
إنا سعدا يريد قاصمة الظهر * ير بأهل الحجون والبطاء
تخرجني لو يستطيع من الغي * حظ رمانا بالنسر والعواء^(٣)
وغير الصدر لايهم بشيء * غير سفك الدماء وهتك النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوء السواء
إذ ينادى بذلك حتى قريش * وآبن حرب بدا من الشهداء
فأنت أحقم اللواء ونادى * بأحماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من يوم الخز * رج والأوس أنجم^(٤) الهنجال
لنكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع في أكف الإماء^(٥)
فأنهنته فإنه أسد الأسد * يد لدى الغاب والنق في الدماء
إنه مطيرق يربد لنا الأرم * ير سكونا كالحية الصماء^(٥)

قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سرد بن عباد فترع اللواء من
يده ، وجعله بيد فوس أخته ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الداء لم يخرج

(١) « لجام » ممدوز ، وتركه هنا الوزن .

(٢) ألقت حلقنا البطان : مثل في بلوغ الأمر . البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير . والصيلم :

الداهمة الشديدة .

(٣) النسر والعواء : كوكبان .

(٤) الفقعة (كسر القام) : ضرب من الكعكة ، وهي أيضا الرخوة ، يشبه بها الرجل الدليل . وفقعة

القاع : مثل يضرب في الدل ، لأن الفقعة أردأ الكعكة .

(٥) الحبة الصماء : التي لا تنفع منها الرقية ، وهي نخب الحيات وأضرها .

عنه إذ صار إلى أبيه ، وأبى سعد أن يُسلم اللواء إلا بأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهامته ، ففرقها سعد ، فدفع اللواء إلى أبيه ليس .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وكان على المجنبة اليمنى ، أن يدخل ببعض الناس من اللَّيْط أسفل مكة ، وكان معه : أسلم ، وسليم وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وقبائل من العرب ، وأقيل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر^(١) حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قُبسة ، ونهى عن القتال ، وعبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأماكن التي أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا منها ، لم يلقوا كيدا ، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعا من قريش ، ووقفوا بالحنندمة ليقاتلوا خالد بن الوليد ، ويمنعوه من الدخول ، وشهروا السلاح ورءوا بالنبل ، فصاح خالد في أصحابه وقتلهم ، فقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ، وأربعة نفر من هذيل ، وانهزموا أقبح هزيمة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية أذخر رأى البارقة فقال : " ألم أنه عن القتال " ؟ فقيل : يا رسول الله ، إن خالد بن الوليد قتل مقاتل ، فقال : " قضاء الله خير " ، وقتل من المسلمين رجلا كان سلكا طريقا غير طريق خالد فقتلا ، وهما كُرُز بن جابر الفِهْرِي ، وحُبَيْش بن خالد الخُزَاعِي . قاله محمد بن سعد .

١١٣
١٥

(١) أذخر : ثنية بين مكة والمدينة « الكبرى ج ١ : ١٢٨ » .

(٢) الحنندمة : جبل بمكة يوم معروف . (٣) البارقة : السيوف .

(٤) في ابن سعد « حاله الأشقر الخُزَاعِي » ، وفي ابن هشام : « خنيس » .

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً. وقال:
وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدّ سلاحاً ويُصلح منه قبل دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال:
لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء؛ قال: والله إنى
لأرجو أن أخدِمَك ببعضهم، ثم قال:

إن يُقبلوا اليوم فإلى علة * هذا سلاحٌ كاملٌ ^(١) وأله
* وذو غرارين سريع ^(٢) السلة *

ثم شهد يوم الخندق، فلما أنهزم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقت على بابي؛
قالت: فأين الذى كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندق * إذ فتر صفوان وفتر عكرمة
وأبو يزيد قائمٌ كالنوم ^(٣) * وأستقبلتهم بالسيوف المسامية
يقطعن كل ساعدٍ ومُجمعة ^(٤) * ضرباً فلا تسمعُ إلا نغمه
لهم نهبتُ خلفنا وهممة ^(٥) * لا تنطق في اليوم أدنى كلمة
قال ابن هشام: ويروى للرّعاش المذلى.

(١) الألة: جميع أداة الحرب.

(٢) كذا في ج وابن هشام ج: هـ، والى في «القتلة» وذو غرارين: ذو حدين.

(٣) المؤتمّة: التكلّى.

(٤) النغمّة: أصوات غير مفهومة.

(٥) النهيت: زهز الأسد. واغممة: تردد الزئير في الصدر.

وكان ممن فز يومئذ هيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم،
وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي لأبيه، فأسلمت، وهرب هيرة
إلى نجران، وقال معتذرا من فراره :

لعمرك ما ولّيت ظهري محمداً • وأصحابه جُنبا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد • لسيفي غناء إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلما خفت ضيعة موقفي • رجعتُ لعمركم كالخيل بر إلى الشبل

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
فتح مكة وحنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج :
يا بني عبد الله، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله ؛ وكان الفتح يوم الجمعة لعشر
يقرين من رمضان .

ذكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم
فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر
وأربع نسوة، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم : عكرمة بن أبي جهل، وهبار
ابن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صُبابة اللبني،^(١) والحويرث
ابن نُقيذ بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة،
وسارة مولاة عمرو بن هشام، وقرنثي، وقرينة .

فأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآمنته ، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

- ٥ . حكى الزبير بن بكار قال : لما أسلم عكرمة قال : يا رسول الله ، علمني خيراً شئاً تعلمه أقوله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله " ، فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا ، وأشهد بذلك من حضرني ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي ، فأستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عكرمة : والله لا أدع قفّة كنت أنفقها في صدّ عن سبيل الله إلا أنفقتُ ضِعْفَهَا في سبيل الله ، ولا قتالا فأنفقتُ إلا فأنفقتُ ضِعْفَهُ ، ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتى استشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام ، وقيل : استشهد في آخر خلافة أبي بكر ، قيل : في يوم اليرموك . وقيل : في يوم مرج الصفر^(١) ، وقيل : أجنادين^(٢) . والله أعلم .

١١٤
١٥

- ١٥ . وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فإنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتدّ ورجع إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثان بن عقان رضي الله عنه ، وهو أخوه من الرضاعة ، فآمنه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمن له بعد أن أطمأن الناس ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمّت طويلاً ، ثم قال : " نعم " ، فلما انصرف عنه عثان قال لمن حوله من أصحابه : " لقد صمّت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه " ،

٢٠ . (١) مرج الصفر : موضع بالشام كانت به وقعة فسمين مع الروم ، وهو بالقرب من غوطة دمشق .
(٢) أجنادين : موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم .

فقال رجل من الأنصار : فهَلَّا أومأت إلى^١ يا رسول الله ؟ فقال : ” إن النبي لا يقتل بالإشارة “، ثم أسلم عبد الله بن مسعود بعد ذلك .

وأما مقيس بن صُبابَة ، فإن أخاه هشام بن صُبابَة كان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسِع ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ ، فقدم مقيس هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأظهر الإسلام ، وقال : يا رسول الله ، جئتُك مسلماً ، وجئتُك أطلب ديةً أُنِي ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه ، فأقام غير كثير ، ثم دعا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرثداً ، فنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله لذلك ، فقتله عُلميلة بن عبد الله ، رجل من قومه .

وأما الحويرث بن ثقيف فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بقرتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأمّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة ، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض .

وأما عبد الله بن خَطَل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وهو مسلم ، فقتل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام وأستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فقتله ثم أرتد ، وكانت قرأتي وقُريسة قَيْنَذَه تُقْبِيَان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل ابن خَطَل

(١) مصدقاً . تشديد النون : جامعاً للصدقات ، وهي الزكاة .

سعيد بن جريث المخزومي ، وأبو برزة الأسلمي ، اشتراكاً في دمه ، وقتلت إحدى قتيبه وهربت الأخرى ، حتى آستؤمن لما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنها .

وهند بنت عتبة أسلمت . ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، ومن الشرط فيها ألا يسرقن ولا يزنين ، قالت : وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : " ولا تقتلن أولادكن " ، قالت : قد ربيناهم صغاراً ، وقتلتهم أنت بيدركاراً ، أو نحو هذا من القول ، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان شحج لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال : " خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك " .

وأما سارة فآستؤمن لها ، فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما هبار فإنه هرب فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه .

ذكر إسلام أبي حنيفة عثمان بن عامر بن عمرو بن

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذي طوى قال أبو حنيفة لأبنته له

من أصغر ولده : أي بنية ، أظهرى بنى على جبل أبي قبيس — قالت : وكان قد كُف بصره — فأشرفت به عليه فقال لها : أي بنية ؟ ماذا ترين ؟ قالت : أرى

سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : أي بنية ، ذلك الوازع ، — يعنى الذى يأمر الخيل ويتقدم إليها — ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذا دفعت

الخيل ، فأسرعى بنى إلى يتي ، قالت : فأحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل

إلى بيته ؛ قالت : وفي عتي الجارية طَوق من ورق^(١) ، فتلقاها رجل فاقتطعه من عتقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ”هَلَا تَرَكَتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ“؟ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ، فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : ”أسلم“ ، قالت : فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبو بكر وكأَن رَأْسَهُ تَغَامَةُ^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”غَيَّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ“ ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ؛ فلم يجبه أحد ؛ قالت : فقال : أَى أَخِيَّةَ ، أَحْتَسِبِي طَوْقَكَ ، فوالله إِنْ الْأَمَانَةُ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقَلِيلٌ .

وأسلم عبد الله بْنُ الزَّبْعَرَى عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الأذى في الجاهلية ، فأسلم وأعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل عذره ، وكان شاعرا مجيدا ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : وله في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره ، منها قوله :

مَنْعَ الرِّقَادِ بِلَابِلٍ وَهَمُومٌ * وَاللَّيْلُ مُتَعَلِّجُ الرِّوَاقِ بِهِمِ^(٣)
مِمَّا أَنَانِي أَنْتَ أَحَدًا لَامِنِي * فِيهِ فِتْنَةٌ كَأَنِّي مُحْصُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا * عَيْرَانَةٌ سُرْحَ الْبِدِينِ غَشُومٌ^(٤)

(١) الورق : القضة ؛ وقيل : الذهب والقضة (السان) . (٢) التغامه : نبت أبيض الزهر والنثر ؛ شبه بإبيض الشيب به . (٣) اللابل : الوسوس المخططة ، ومتعلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواق الليل : مقدمه وجانبه . والهمم : الذي لا ضياء فيه . (٤) العيرانة من الإبل : السريعة في فئاط . وسرح البدن : سريره . وغشوم : لا ينهها عن مرادها شيء .

إني لمعتذر إليك من الذي * أسديت إذ أنا في الضلال مُقيم
 أيام تأمرني بأغوى خُطية * سَهَمٌ، وتأمرني بها مخزوم
 وأمد أسباب الردى ويقودني * أمرُ النُفوة، وأمرهم مشئوم
 فاليوم آمنَ بالنبى محمد * قلبى ومُحطى هذه محروم
 مضت المداوة وأتقضت أسبابها * وأتت أواصرُ بيننا وحُلوم
 فأغفر فدى لك والذى كلالها * وأرحم فأنك راحم مرحوم
 وعليك من سِمة الملك علامة * نورٌ أغرَّ وخاتمٌ محتوم
 أعطاك بعد محبةٍ برهانه * شرقاً وبرهانُ الإله عظيم

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وطوافه بالبيت
 ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأطماق الناس ، خرج
 حتى جاء البيت ، فطاف به سبعة على راحلته يستلم الركن بحجرٍ في يده ، فلما قضى
 طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد
 فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده وطرحها ، ثم وقف على باب الكعبة فقال :
 ” لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده
 الا كل مأثرة أو ديم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سيادة البيت وسقاية
 الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة ، مائة من
 الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب
 عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب “ ، ثم تلا قوله

١١٦
١٥

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١١ ﴾ ثم قال : ” يا معشر قريش ، ما ترون أتى فاعل فيكم ؟ “ قالوا : أخ كريم وأبن أخ كريم ، قال : ” اذهبوا فانتم الطلقاء “ ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفتح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، فقال : ” أين عثمان بن طلحة “ ؟ فدعى له ، فقال : ” هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء “ ، حكاه محمد بن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح وقال : ” خذوها يا بني أبي طلحة نعمة خالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم “ ، ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب .

قال عبد الملك بن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزرار يستقيم بها ، فقال : ” فاتلهم الله ، جعلوا شيئا يستقيم بالأزرار ، ما شان إبراهيم والأزرار ، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٥ ﴾ ” ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال : ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح ، فأمره أن يؤذن ، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس فناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه ، فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لأتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا .

لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "قد علمت الذي قلت"، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : ننهده أنك رسول الله ، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح على راحته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالزصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ^(١) 》 ، فما أشار صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لِقْفَاهُ ، ولا لِقْفَاهُ إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع .

قال محمد بن سعد : كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما ، وكان أعظمها هُبَلٌ ، وساق الحديث نحو ما تقدم ، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :
وفي الأصنام معتبر وعِلمٌ * لمن يرجو الشواب أو العقابا

قال : ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر فقال : "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام إلى يوم القيامة ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، ثم رجعت لحرمتها بالأمس ، فليبلغ شاهدكم غائبكم ، ولا يحل لنا من غنائمها شيء" ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين ، وبث السرايا ، ثم خرج إلى حنين .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العُزرى وهدمها

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزرى ليهدمها ، وذلك بعد الفتح ، لخمس ليال يقين من شهر رمضان سنة ثمان ، فخرج في ثلاثين فارسا

من أصحابه حتى آتوها إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "هل رأيت شيئا؟" قال: لا، قال: "فإنك لم تهديها، فارجع إليها فأهدمها"؛ فرجع خالد وهو متغيظ، بفرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء، نورة الرأس ^(١) بفعل السادن يصيح بها، فضربها خالد بفرد سيفه، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "نعم، تلك العزى، وقد ينسئ أن تعبد ببلادكم أبدا"، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع وكسره

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بمد الفتح أيضا إلى سِوَاع، وهو صنم هذيل ليهدمه؛ قال عمرو: فأتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه، قال: لا تفدر على ذلك؛ قلت: لم؟ قال: ثمّنع؛ قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك! وهل يسمع أوبيصر؟ قال: قد نوت منه فكسره، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مَنَاة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان أيضا إلى مَنَاة — وكانت بالمشلل للأوس والخزرج وعُصَان — ليهدمها، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مَنَاة؛ قال: أنت وذلك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء نورة الرأس تدعو بالويل

(١) نورة الرأس: منقورة شعر الرأس.

(٢) المشلل: جيب هبب منه إلى قد يد من ناحية النجر.

وتَضَرَّب صدرَها ؛ فقال السائد : مناة دونك بمَضَّ غضبانك ؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها ، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه ، ولم يجدوا في حِزانتها شيئا ، وأنصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر أبن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغُمَيْصَاء

قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة ، بعثه في شِوَال إلى بني جذيمة بن عامر ، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يَلَمْلَم ، داعيا إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلا ، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سليم ، فأتهى إليهم خالد بن الوليد ، فقال : ما أتمم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صَلَّينا وصدَّقنا بمحمد ، وبَيَّنَّا المساجد في ساحاتنا ، وأذنا فيها ؛ قال : فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا : إن بَيْنَنَا وبين بعض العرب عداوة ، نخفنا أن تكونوا هُم ، فأخذنا السلاح ؛ قال : فضعوا السلاح ؛ قال : فوضعه ، فقال لهم : استأثروا ؛ فاستأثر القوم ، فأمر بعضهم فكتف بعض وفزقه في أصحابه ، فلما كان في السَّحَر نادى خالد : من كان معه أسير فليُدْفَنه .
أى فليجهز عليه بالسيف .

فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسارهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد ، فقال : ” اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد “ ؛ وبث على بن أبي طالب قودى^(١) لهم قتلهم وما ذهب منهم .

١١٨
١٥

وقد حكى أبو الفرج علي بن الحسين الأصمغاني ، خبر هذه المعرية في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتله ، وذكر خبره مع حبيشة ، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يقة : دون المحتلم ، لتور جارة لها ، وكانت لها بنت يقال لها : حبيشة إحدى بنات عامر بن عبد مناة ، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقف في نفسه ، فأنصرف وترك أمه عند جارتها ، فبقيت عندها يومين ، ثم أتاها ليرجمها إلى منزله ، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحى ، فآزادها بها عجباً ، وأنصرف بأمه في غداة تمطر ، فبشى معها وجعل يقول :

فما أدري بلى إني لأدري * أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والذي خلق الهدايا * وما إن عندها للصب عيش^(١)

قال : فسمعت ذلك حبيشة ، فتغافلت عنه ، وكهت قوله ، ثم مضى ملياً فإذا هو بظلي على ربوة من الأرض ، فقال :

يا أمتا خبرني غيب كاذبة * وما يريد مسؤل الحق بالكذب
أأنت أحسن أم ظبي براية * لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

قال : فزجرته أمه ، وقالت : ما أنت وهذا ، أنا مزوجتك بنت عمك ، فهي أجل من تلك ، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت : زيني أبئك له ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فلما رآها أطرق ، فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

(١) الخبر في الأدب ٧ : ٢٨٠ (صح دار الكتب المصرية)

(٢) رواية الأناج : ١٠٠ . و . عن صديها للصب عيش *

إِذَا غَيَّبَتْ عَنِّي حُبِيْشَةَ مَرَّةً * من الدهر لم أملك عزاءً ولا صبراً
كَأَنَّ الحِشَاءَ حُرَّ السَّعِيرِ يَحْتَشِيهِ^(١) * وقود الغضى فالقلب مضطربٌ جحراً
فال : وجعل يرسل الجارية وتراسله ، حتى علقته كما علقها ، وكثر قوله الشعر
فيها ، فمن ذلك قوله^(٢) :

حُبِيْشَةُ هَلْ جَدَى وَجَدَكَ جَانِعٌ * بِسَمْلِكُمْ شَمَلَى وَأَهْلِكُمْ أَهْلَى ؟
وهل أنا ملتف بشوبك مرة * بصحراء بين الأيكتين إلى النخل ؟
ومررتش من ريق نغرك مرة * كرايح ويسيك خالطاً عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره ، حجبوا عنه مدة ، وهو يزيد غمها بها ، ويكثر قوله الشعر
فيها ، فأنوها فقالوا لها : عِديهِ السَّرْحَةُ ، فإذا أناك فقول لي : تَسِيدُكَ اللَّهُ إِنْ
أَحْبَبْتَنِي فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغِضَ إِلَيَّ مِنْكَ ، ونحن قريب نسمع ما تقولين ؛
فواعدته ، وجلسوا قريباً يسمعون ، وجلست عند السرحة ، وأقبل عبد الله
لموعدها ، فلما دنا منها دعت عيها ، وألقت حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم
قريب ، فرجع ، وبلغه ما أمرها به أن تقوله ، فأنشأ يقول :

فَلَوْ قُلْتُ مَا قَالَ الْإِذِيْتُ جَوَى جَوَى^(٣) * عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ يَسْتَرْ وَلَا صَبْرُ
وَلَمْ يَكْ حَبِيٌّ عَنِ نَوَالٍ يَذَلُّهُ * فَيُسَلِّينِي عَنْكِ التَّجَلُّدَ وَالْمَهِجَرَ^(٤)
وما أنس من الأشياء لم أنس دمعها * ونظرتها حتى يغيبني الغبر

(١) حتى النار : أرقدها . (٢) في الأغاني خلاف في رواية بعض الأبيات .

(٣) رواية الأغاني :

* لو قلت ما قالوا لذت جوى بك *

(٤) رواية الأغاني :

* فيسليني عن التجهيم والمهجر *

قال : وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى
 بنى عامر ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا قاتلهم ، فصبحهم
 خالد بالقميصاء وقد علموا به وخافوه ، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه
 الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك
 ابن خالد بن صخر بن الشريد ، وإخوته كُرُز وعُمرُو والحارث ، وكانوا قتلهم
 في موطن واحد . فلما صبحهم خالد ورأوا معه بنى سليم زادهم ذلك نفورا ،
 فقال لهم خالد : أسلموا ، فقالوا : نحن مسلمون ؛ قال : فآلقوا سلاحكم وأنزلوا ،
 قالوا : لا والله ؛ فقال لهم يحيى بن الحارث أحد بنى أقرم : يا قوم ، لا تُلْقُوا
 سلاحكم ، فوالله ما بعد وضع السلاح إلا القتل ؛ قالوا : والله لا نُلقي سلاحنا
 ولا نزل ، فما نحن لك ولا لمن معك بأمنين ؛ قال خالد : فلا أمان لكم ؛ فتركت
 فرقة منهم فآسروهم ، وتفترق بقية القوم فرقتين ؛ فأصعدت فرقة وسفلت أخرى .
 قال ابن دأب : فأخبرني من لا أتهم عن عبيد الله بن أبي حذرد الأسلمي
 قال : كنت يومئذ في جند خالد ، فبشنا في إثر طلعين مُصعدة يسوق بها ننية ، فقال :
 أدركوا أولئك ؛ فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم ، فمضوا . ووقف لنا غلام على
 الطريق ، فلما آتينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول :

أرْخِيزِ اطْرَافَ الذُّبُولِ وَأَرْتَعِ * مَتَى حَيَاتِ كَأَنْ لَمْ يَفْزَعْ
 * إِنْ يُنْعَجِ الْيَوْمَ نِسَاءُ مُنْعَمِ *

فقاتلنا طويلا ، فقتلناه ومضينا ، حتى لحقنا الظلمن ، فخرج إلينا غلام كأنه
 الأول ، فجعل يقاتلنا ويقول :

(١) م في الأصلين يوافي ما في الإصافة . وفي ابن هشام : « جدي » . وفي الأعشى « جذية » .

(٢) في الأعشى : * بين أطراف الذبول وأربس *

* وحسب أقيال المروط وأربس *

أَفِيمُ مَا لَيْتَ خَادِرُ ذُو لَيْبَدَةٍ ^(١) * يَسْرِي مِثْلَ أَيْكَةِ وَهْدَةٍ ^(٢)
يَفْرِسُ نُفَيَاتَ الرِّجَالِ وَحَدَّةً * بِأَصْدَقِّ الْفِدَاةِ مِثِّي تَجَدَّةً

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّننَ ، وإذا فيمن غلام وضى به صُفْرَةٌ في لونه
كالمنهوك ، فربطناه بحبل ، وقدمناه لنقتله ، فقال : هل لكم في خير ؟ قلنا :
ما هو ؟ قال : تدركون بي الظنن أسفل الوادي ثم تقتلونني ؟ قلنا : نفع ؛ فخرجنا
حتى نعارض الظُّننَ أسفل الوادي ، فلما كان بحيث يسمعون الصوت ، نادى
بأعلى صوته : اسلمى حَيْشٌ ، عند فقد العيش ؛ فأقبلتُ إليه جاريةً بيضاءً حسناء ؛
فقال : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ؛ قال : سلام عليك دهرًا ،
وإن بقيت عصرا ؛ فقالت : وأنت سلامٌ عليك عشرا ، وشقعا وموترا ، وثلاثة تترى ؛
فقال :

إِنِّي يَشْتَلُونِي بِأَحْيَشِ فَلَمْ يَدْعُ * هَوَاكِ لَمْ مِثِّي سَوَى فَلَّةِ الصَّدِيرِ
فَأَنْتِ أَتَيْتِ أَخْلِيَّتِ لَحْمِي مِنْ دِمِي * وَعَظْمِي وَأَسْلَبَتِ الدَّمْعَ عَلَى نَحْوِي
فقالت له :

وَنَحْنُ بِكِنَا مِنْ فَرَاكِكَ مَرَّةً * وَأُخْرَى وَأَسِينَاكِ فِي الْعَسِيرِ وَالْبَسِيرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَتَّبَعْدِ فَنِعْمَ فَنِي الْمَوَى * بِجَمِيلِ الْعَفَافِ وَالْمَوْدَةِ فِي مَسَرِّ
فقال لها :

أَرَيْتِكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ * بِمَجْرَةٍ أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَاتِقِ ^(٣)
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ * تَكَلَّفَ لِإِدْلَاجِ السَّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٤)

(١) في الأصل : « ذورله » . وما أثبتناه عن ابن هشام والأغاني . (٢) في الأغاني « بزأر » .

(٣) في الأغاني والرواهب (٣ : ٥) : « بحلة » . (٤) الخواتق : موضع بهيمة .

(٥) الودائق : جمع وديفة . وهي شدة الحر في الظهيرة .

فقلت : بلى والله ، فقال :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ • أَتَيْتُ بُوْدَ قَبْلِ إِحْدَى الصَّفَاتِي^(١)
أَتَيْتُ بُوْدَ قَبْلِ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى • وَتَنَائِي الْخَلِيْطُ بِالْحَبِيْبِ الْمَفَارِقِ

قال ابن أبي حنْدَرْد : فَقَدِمْنَا فَنَضْرِبُنَا عُنْفَهُ ، فَأَقْتَحَمَتِ الْجَارِيَةُ مِنْ حُدْرَهَا
حَتَّى أَهَوَتْ نَحْوَهُ ، فَأَلْتَقَمَتْ فَاهَ ، فَفَرَعَا مِنْهَا رَأْسَهُ ، وَإِنَّمَا لَتَتَّبِعُ نَفْسَهَا حَتَّى^(٢)
مَاتَتْ مَكَانَهَا ، وَأَفَلَتْ مِنَ الْقَوْمِ غُلَامٌ مِنْ بَنِي أَقْرَمَ يُقَالُ لَهُ السَّمِيتُ دَعِ حَتَّى أَقْتَحِمَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ مَاصِنَعُ خَالِدٍ وَشَكَاةُ . قَالَ ابْنُ دَأْبَ :
فَأَخْبَرَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” هَلْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ مَاصِنَعٍ ؟ “ قَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ أَصْفَرُ رُبْعَةً ، وَرَجُلٌ طَوِيلٌ أَحْمَرٌ ، فَقَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا وَاللَّهِ بَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ أَعْرَفُهُمَا ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ أَبِي ، وَأَمَّا الْآخِرُ
فَقَوْلِي أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ أَمَرَ كُلَّ مَنْ أَسْرَأَسِيرًا أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَأَطْلَقَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَرَسُولَهُ ، وَوَلَّى أَبِي حُذَيْفَةَ أَسِيرَيْنِ كَانَا مَعَهُمَا ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ قَرَأْغِهِ مِنْ حُنَيْنٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِزِيلٍ وَوَرِقَ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَدِينَهُمْ ، فَوَدَاهُمْ . وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ :
قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا هَذَا بَعْدَ مَا أَصِيبَ مِنْكُمْ مِنَ الْقَتْلِ
وَالْجُرْحِ ، وَتَحْمِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَّا عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ ؟ ، فَقَالُوا :
نَعَمْ ، قَالَ : فَدَفَعْنَاهُ إِلَيْهِمْ ، وَجَعَلَتْ أَدْيُهُمْ حَتَّى لَمَّى لَأْدَى مِيسَلُ الْكَلْبِ^(٣) ،

(١) الصَّفَاتِي : الخطوب ، واحداً صفيقة . وفي الأغاني : « البوائق » .

(٢) في الأغاني : « لكسع يفسد » .

(٣) الرزمة من الرمال : الذي بين الطويل والقصير .

(٤) المبلغ : الذي بلغ فيه الكلب .

وَفَضَلْتُ فَضْلَهُ نَدَفْعَتُهَا إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَقْبِلُوهَا “ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : ” فَوَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ لَئِنْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ حُرِّ النَّعَمِ “ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضًا بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ ، قَالَ : قَالُوا : يُرَوَّى
أَنْ خَالِدًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيَّلَ عَنْ غَزَاتِهِ بَنِي جَذِيمَةَ ، فَقَالَ :
إِنْ أُذِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَدَّثْتُ ، فَقَالَ : ” تَحَدَّثْ “ ، فَقَالَ :
لَقَيْنَاهُمْ بِالْعُمَيْصَاءِ بَعْدَ وَجْهِ الصَّبِيحِ ، فَقَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى كَادَ قَرْنُ الشَّمْسِ يَغِيبُ ،
فَمَنَحَنَا اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ أَكْثَانَهُمْ ، فَانْتَبَهَانَا نَظْلِبُهُمْ ، فَإِذَا غَلَامٌ لَهُ ذَوَائِبُ عَلَى فَرَسٍ
فِي أَتْرَابَاتِ النَّاسِ ، فَبَوَّاتُ لَهُ الرَّيْحَ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ كَيْفَيْهِ . فَقَالَ : لَا إِلَهَ ، فَقَبِضْتُ
الرَّيْحَ ، فَقَالَ : إِلَّا الْآلَاتُ أَحْسَنَتْ أَوْ أَرَاءَتْ ، فَهَشِمْتُهُ هَشْمَةً أَرَادَيْتُ بِهَا ،
ثُمَّ أَخَذْتُهُ أُسِيرًا ، فَشَدَدْتُهُ وَثَاقًا ، ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فَلَمْ يَكَلِّمْنِي ، وَأَسْتَخْبَرْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ؛
فَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ رَأَى نِسْوَةً مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ يَسُوقُ بَيْنَ الْمَسْلُومِينَ ، فَقَالَ :
يَا خَالِدُ ، فَقُلْتُ : مَا تَنَاسَى ؟ فَقَالَ : هَلْ أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَى هَذِهِ النِّسْوَةِ ؟ فَأَبَيْتُ ، فَأَلَى^(١)
عَلَى أَصْحَابِي ، فَفَعَلْتُ ، وَفِيهِمْ جَارِيَةٌ تَدْعَى حُبَيْشَةَ ، فَقَالَ : لَهَا : نَاوِلْنِي يَدَكَ ،
فَنَاوَلْتُهُ يَدَهَا فِي ثَوْبِهَا ، فَقَالَ : اسْمِي حُبَيْشٌ - قَبْلَ نَفَادِ الْعَيْشِ . فَقَالَتْ : حُبَيْشَتُ
عَشْرًا ، وَتَسْمَا تَثْرَى ، وَثَمَانِيَا أُخْرَى ، فَقَالَ :

أَرَيْتَكَ إِذَا طَالَيْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ • تَبْتَخَلَّةُ^(٢) أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يَنْوَلَّ عَاشِقٌ • تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَانِقِ

(١) الْأَغَانِي ٧ : ٨٩

(٢) بَرَأَ لَهُ الرِّيحُ : سَدَّدَهُ .

(٣) كَذَا فِي جَوَالِ الْأَغَانِي ، وَفِي أ : « أَنْف » .

(٤) آوَى عَلَى أَصْحَابِي ، أَيِ حَفِظُوا .

(٥) هِيَ تَبْتَخَلَّةُ الْيَمَنِيَّةُ ، وَفِي الْأَغَانِي : « حَلْبَةُ » - وَطَلِيَّةُ مَوْضِعُ بَيْتَانَةٍ .

فقلت : بلى ، فقال :

فقد قلت إذ أهلك جيرة * أنبيي يؤد قبل إحدى الصفائق
أنبيي يؤد قبل أن تسحط النوى * وينأى الأمير بالحبيب المفازي
فإني لا ضيعة سر أمانة * ولا راق عيني بعد عينك رائق^(١)

قال خالد : ففاظنني ما رأيت من غزله وشعره في حاله تلك ، فقدّمته فضربت عنقه ، فأقبلت الجارية تسمى حتى أخذت برأسه فوضعت في حجرها ، وجعلت ترشقه وتقول :

لا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا * ولا يبعدن المدح مثلك من مثلي^(٢)
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا * فقد عشت محمودا لنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل نُسَجَّر بالقتنا * وللتحر يوما عند قرقرة البزل^(٣)

فما زالت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت ، وإن رأسه لقي حجرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد وقفت لى يا خالد وإن سبعين ملكا لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتله " . والله أعلم .

ذكر غزوة حنين ، وهى إلى هوازن وثقيف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجرة . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، مشى أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض ، وحشدوا وأوعبوا وبتوا ، وجمع أمرهم مالك بن عوف النضرى ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وأمرهم بخاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس ، وجعلت الأمداد تأتيهم .

(١) فى هذا البيت إتياء . (٢) كذا فى الأصلين ، وفى الأغانى :

* لئن يحس المدح مثلك من مثلي *

(٣) شجر : نخل . البزل : جمع بزل : وهو البيرق السعة التاسعة ، والقرقرة : دما . الإبل : وهو أيضا هدير الفعل . (٤) أوطاس : وادى بلاد هوازن .

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قل: ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم؛ قال: وفي بني جشم دريد بن الصّمة، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التّين برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سبدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو النحر سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه. وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النعلبي: كان على ثقيف كنانة بن عبد ياليس بن عمرو بن عمرو بن النقي. قل: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

- ١٠ قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصّمة، والصّمة: معاوية الأصغر بن بكر ابن علقمة، وقيل: علقمة بن خزيمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن في شجار له يقاد به - والشجار الهودج - فلم نزل دريد قال: بأيّ واد أتتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخليل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهنس، ثم قال: مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الجبر، وبكاء الصغير، ويغار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الجبر، وبكاء الصغير، ويغار

١٢١
١٥

(١) في ابن هشام ٤: ٨٠ «وأخوه أحر بن أحرث».

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: نصب من الحجارة. والدهس: المكان السهل.

(٣) يداو الشاء: صوته.

الشاء ؟ قال : سفت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، قال : فأَقْصَصَ به ، — أي صباح — ثم قال : راعى ضايرُ والله ! وهل يرد المنزَمَ شيء ! إنما إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكراب ؟ قالوا : لم يشهدنا منهم أحد ، قال : غاب الحدُّ والحدُّ ؛ ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكراب ، ولوددتُ أنكم فعلتم كما فعلت ، فمن شهدنا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الحدَّان من عامر لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك : إنك لم تصنع بتقديم ^(١) البيضة ، بيضة هوازن إلى نخور الخيل شيئاً ، ادفعهم إلى منتهى بلادهم ، وعُيَا قومهم ، ثم ألقى الصباء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألقاك ذلك ، قد أحرزت أهلك ومالك ، قال : لا والله ، لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتطبعنني بامعشر هوازن أو لا تتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر ورأى ، قالوا : أطعناك ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني .

بالبقي فيها جدع * أخب فيها وأضع
أفسود وطفاء الزرع * كأنها شاة صدع ^(٢)

(١) الجدع بالتحريك : الشاب الحدث .

(٢) بيضة هوازن : أصلهم ومجتمعهم . (٣) في الأصلين : « الفبا » تحريف . صوابه من ابن هشام . والصبا في الأصل : جمع صاب ، وهو من خرج من دين إلى دين . وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا . وفي اللسان في حديث هوازن : « وألقى الصبي » (بضم الصاد وقشد الهمزة المفتوحة) أي الذين يشبهون الحرب ويميلون إليها (٤) الخب والوضع : ضربان من السير . والوظف : الطويلة الشعر . والزرع : شعر الذي فوق مريض قيد الدابة ، يربد مراراً صفاً هكذا والمراد بكثرة الوعر . وصدع ، أي دغل بين الوعرين ليس بالعظيم ولا بالحقيق (الخشق) .

ثم قال مالك بن عوف للنس : إذا رأيتمهم فأكبروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد ، قال : وبعت مالك بن عوف عيوناً من رجاله ، فاتوه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضا ، على خيل بُقي ، فوالله ما تماسكا أن أصابنا ما ترى ، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عليهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ؛ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى هوازن لقتالهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أذراعا وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : " اعزنا سلاحك نلقى به عدونا " ؛ فقال : أغضبا يا محمد ؟ فقال : " بل عارية مضمونة حتى تؤذيها إليك " ؛ قال : ليس بهذا بأس ؛ فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في آتخي عشر ألفا من المسلمين : عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة ، وألفان من أهل مكة .

قال الثعلبي : قال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفا ونحوهمائة .

وقال الكلبي : كانوا عشرة آلاف ، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن نُغلب اليوم من قلة " ، حكاه ابن إسحاق . وقال محمد بن سعد : قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه . قال الثعلبي : ويقال : بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له : سلمة بن سلامة .

قال ابن سعد : وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية .

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان الكفار قريش ومن سواهم من العرب ^(١) سِدْرَةَ عَظِيمَةً يقال لها ذات أنواط . يأتونها كل سنة يَمْلُقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عليها ، ويزججون عندها ، ويعكفون عليها يوماً ، قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةَ خَضْرَاءَ عَظِيمَةً ، فننادينا من جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ : يا رسول الله . جِئْنا لِنَاذَاتِ أَنْوَاطِ كَمَا لَمْ نَاذَاتِ أَنْوَاطِ ، فقال : " الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١﴾ إِنَّا السُّنَنُ ، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " ، قالوا : وآتتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال ، فلما كان من الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين ، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حملة واحدة ، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه في السَّحَرِ . وصفهم صُفُوفًا ، ووضع الأثوية والرايات في أهلها مع المهاجرين : ولواء يحمل على بن أبي طالب ، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص ، وراية يحملها عمر بن الخطاب ، ولواء الخزرج يحملها حُباب بن المنذر — ويقال : سعد بن عباد — ولواء الأوس مع أشيد بن حضير ، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمى . وكذلك قبائل العرب فيها الأثوية والرايات يحملها قوم منهم مسمون ، وكان رسول الله صلى الله عليه

(١) السدرة : شجرة البق

(٢) الأعراف : ٨٠

وسلم قد قدم سُلَيْمًا من يوم خرج من مكة، وأستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قَدِمَ الجِعْرَانَةُ. قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين على تعبته ، وركب بذلته البيضاء «دُلْدُل» ، ولبس درعين والمِغْفَر والبيضة ، فأستقبلهم من هوازن شئ لم يَرَوْا مثله قط من السواد والكثرة ، وذلك في غَيش الصبح ونحرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعته ، فحملوا حملة ، وأنكشفت الخيل خيل بني سليم مولىة ، وتبعهم الناس منهزمين ، وأخاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، وجعل يقول : يا أنصار الله وأنصار رسوله ، أنا عبد الله ورسوله ، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان وأسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وإيمن بن أُمِّ إيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته وأصحابه .

قال الكلبي : كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين ، وأنهم سائر الناس عنه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس : ناذ ، يامعشر الأنصار ، يا أصحاب السُّمرة^(٢) ، يا أصحاب سورة البقرة ، فنادى - وكان صيتا - فأذنوا كأنهم الإبل إذا حنَّت على أولادها يقولون : يا بَيْك ... يا بَيْك ! فحملوا على المشركين ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال : «الآن حَمَى الْوَطْيسُ»^(٣) .

أنا النسيبُ لَا كَذِبُ * أنا ابنُ عبد المطلبُ

(١) غيش الصبح : طلبه آخر الليل ، وفي ابن هشام : « عماية الصبح » .

(٢) السمرة : شجرة الطلع ، وهي التي كانت عدها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٣) الوطيس : النور بخيريه . وفيه : هو حجارة توقد العرب تحمى الأروابشور وبها الحم ، وقبل غير ذلك .

ثم قال للعباس بن عبد المطلب : فاولى حصيات ، فناولته حصيات من الأرض ، ثم قال : "شاهت الوجوه" ورمى بها وجوه المشركين ، وقال : "أنهزموا ورب الكعبة" وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وأنهزموا لا يلوى أحد منهم على أحد .

قال محمد بن إسحاق : لما أنهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفأة مكة الهزيمة ، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأضلام لمعه في بكائه ، وصرخ جيلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : أسكت أض الله فاك ! فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن ، وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة : اليوم أدرك ثأري من محمد - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمدا . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شيء حتى غشي فؤادي ، فلم أطلق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني .

وفي رواية أخرى ، قال شيبة بن عثمان : استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة . فاطلع الله رسوله على ما في نفسي ، فألقت إلي وضرب في صدري وف : "أعذك بالله بأشيبه" ، فأرعدت فرائصي ، فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما في نفسي .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكمة بغلته البيضاء ، وقد شجرتها بها ، وكنت أمراً جسيماً شديد الصوت .

(١) يربني : يكون . إلى : مني .

(٢) الحكمة بحركة . أحمر عسك القرمز مرغمة .

(٣) شجرتها بها : أي وضعته في شجرته . وهو مخنق العير .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس ^(١) " [أين] أيها الناس " ، فلم أر الناس يَلُوبُونَ على شيء ، فقال : " يا عباس ، اصرخ ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السُّمرة " قال : فأجابوا لييك لييك ، قال : فذهب الرجل ليفني بعيره فلا يقدر على ذلك ، وبأخذ دِرْعَه فيقذفها في عنقه ، وبأخذ سيفه وترسه وبقصم عن بعيره ويحلى سبيله ، فيؤتم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فأقتلوا ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركبته ، فنظر إلى مجتلد القوم ، فقال : " الآن حمى الوطيس " .

قال جابر بن عبد الله : فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وألّفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سلم ابنة ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها يبرد لها ، وإنها لحاميل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أم سليم ؟ " قالت : نعم ، بأبي وأمي يا رسول الله ! أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقتلونك فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو يكفي الله يا أم سليم ؟ " قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بمعجته به .

(١) انظر من غير مشهور .

(٢) مجتد القوم : مكان حلالهم بالسيف .

(٣) معجته بفتح : شفته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير ابن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجباد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرتُ، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملا الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم تكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما أنهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(١)، وتبعته خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيعة بن أهبان - وهو ابن الدغنة - دريد بن الصمة وهو في شجار له أى هودج، فاخذ يخطام جملته وهو يظن أنه امرأة، فأناخ به، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دريد : ما تريد بي ؟ قال : أفنك ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربته بسيفه فلم يئن فيه شيئا، فقال : بش ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل في الشجار، ثم أضرب به، وأرفع عن العظام، وأخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنتُ أضربُ الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة . فرب والله يوم قد منعتُ فيه نساءك ؟ فقتله . ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت : أما والله لقد اعتق أمتها لك ثلاثا .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي قتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قتيع ابن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة، قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبيل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك بعض من أنهزم، فناوشوه القتال، فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام

(١) الجباد : الكساء، وجمعه جدد بصماتين . (٢) يريد نخلة بينية .

ويقول : اللهم أشهد ، ثم برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله . واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أغفر لأبي عامر وأجعل من أعل أمتي في الجنة " ، ودعا لأبي موسى .

وقال ابن هشام في خبر أبي عامر : إنه قبل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم أشهد عليه ، فيقتله أبو عامر ، ويبقى العاشر ، فحمل كل منهما على صاحبه ، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال : اللهم أشهد عليه ، فقال الرجل : اللهم لا تشهد علي ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ، ثم أسلم بعدُ بخسن إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : " هذا شريد أبي عامر " ، ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جُثَم ابن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه . والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى فحمل عليهما فقتلتهما .

وقال أبو الفرج الأصفهاني : إن الذي رمى أبا عامر فُصاب ركبته هو سلمة ^(١) ابن دريد بن الصَّمة . وإنه أرتجز فقال :

١٥ إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَأَنْتَ سَلَمَةٌ * إِنْ تَسْأَلُونَ عَنِّي فَأَنْتَ سَلَمَةٌ
* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

قال : وخرج مالك بن عوف عند الغزيرة فوقف في فوارس من قومه على نذية من الطريق ، وقال لأصحابه : ففوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أنحراكم ، فوفى حتى مضى من لحق بهم من منهزمة الناس .

(١) في كلا الأصلين : « ريد » .

(٢) سمادير : امرأة دريد بن صمة .

١٢٤
١٥

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوما واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بؤادهم فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا على خيلهم ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلخوا طريق بني سليم . ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباذ واضعا رمحاه على عاتيقه . عاصبا رأسه بملاء حمراء ، فقل : هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللات ليخالطنكم ، فأتيتوا له ، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية ، أبصر القوم فصمدهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

قالوا : ولما أنهزم القوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من قُدر عليه ، فحقيق المسلمون عليهم ، فقتلوا الذرية والنساء ، فتر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بأمرأة قد قتلها خالد بن الوليد ، فقال : " ما هذه " ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : " أدرك خالد بن الوليد فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدا أو امرأة " ، وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدِيرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُنُودًا لَهُمْ تَرَوُهَا وَعُدَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾

(١) النبوة : جمع نباد . وهو ماطر القصد .

(٢) الأعداء : جمع عير . وهو الذي لا علامة . يريده نهب . يملو نهبه نبي . يعررونه

(٣) سورة التوبة ٢٥ - ٢٦

قال الثعلبي : قال سعيد بن جبير : أمد الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم
بخمسة آلاف من الملائكة ^(١) مسومين .

وقال الحسن ومجاهد : كانوا ثمانية آلاف .

وقال الحسن : كانوا ستة عشر ألفاً ، قال سعيد بن جبير : حدثني رجل كان
في المشركين يوم حُنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يبقوا لنا حلبة شاة ، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم ، حتى إذا آتينا إلى
صاحب البغلة الشَّيباء — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — تلتفنا رجال يبيض
الثياب حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شامت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبوا
أكافنا ، فكانت إياها . يعني الملائكة .

قال : وفي الخبر أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للؤمنين بعد القتال :
أين الخيل الباق ، والرجال عليهم ثياب بيض ؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة ،
وما كان قتلنا إلا بأيديهم ، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : ” تلك
الملائكة “ .

وقال محمد بن سعد : كان سبعمائة الملائكة يوم حنين عمائم حمراء قد أرخوها
بين أكافهم .

قال ابن إسحاق : وأستشهد من المسلمين يوم حُنين من بني هاشم أئمن بن
عُبَيْد ، ومن بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود ، ومن الأنصار سراقه بن الحارث
ابن عدي ، ومن الأشعرين أبو عامر .

وقال ابن سعد : ورقم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان ، واستحز القتلى في بني نصر

ابن معاوية ، ثم في بني رثاب ، فقال عبد الله بن قيس ، وكان مسلماً : هلك

(١) مسومين ، أي مملين .

بنو رثاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أجبر مصيبتهم ". قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال بضمعت، وحُدِرت إلى الجعرانة ، وعليها مسعود بن عمرو الغفاري ، فوقف بها بالجعرانة حتى أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظلون بها من الشمس ، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر سرية الطُفيل بن عمرو الدؤسي إلى ذي الكُفَين

بمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ عند منصرفه من غزوة حُنين، وتوجَّه به إلى الطائف ليهدم ذا الكُفَين صنم عمرو بن حُمة الدؤسي، وأمره أن يستمذ قومه ويأتيه بالطائف، فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكُفَين وجعل يحشُّ النار في وجهه ويقول :

بإذا الكُفَين لست من عبادكا * مـلادنا أقدم من مـلادِكا
١٢٥
١٥
" إني حَشَشْتُ النارَ في فؤادِكا "

وأخبر معه من قومه أربعائة سراعا ، فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدِّمه بأربعة أيام ، وقدم الطفيل معه بدبايةً ومنجنيق .

ذكر غزوة الطائف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ من مهاجره ، وذلك أنه لما أنهزمت هوازن وتقيف يوم حُنين، وجمعت السبايا والغنائم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من حُنين يريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته ،

(١) حش النار : وقده . (٢) الدباية : آلة تخرق في الحروب يدخل في جوفها الرجال ثم تدفع في أصل الحصن فيبقوه وهم في جوفها .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقد كانت تقيف رءوا حصنهم ، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما أنهزموا من أوطاس ، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتميثوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على الملح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ، فأبتنى بها مسجدا يصلّي فيه .

- ٥ . قال ابن إسحاق : وأقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بحرة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أفيده به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلا من هذيل فقتل به ؛ قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بمحصن مالك ابن عوف ، فهدم ، ثم سلك في طريق يقال لها : الضبيقة ، فسأل عن اسمها . فقال : "ما اسم هذه الطريق" ؟ فقالوا : الضبيقة ، فقال : "بل هي اليسرى" ، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها : الصادرة ، قريبا من مال رجل من نيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : "إما أن تخرج وإما أن نخزب عليك حائطك" ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه ؛ ثم مضى حتى نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلا .

- ١٥ . قال ابن إسحاق : ^(٣) وهم سعيد بن سعيد بن العاص ، وعمر فطمة بن جناب ، حليف لهم من أسد بن الغوث .
وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، رمى فاندمل جرحه ، ثم انتقض ^(٤) بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه .

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .

- ٢ . (١) هذه أسماء مواضع بالطائف . (٢) نخب : (فتح ثم كسر) : واد بالطائف (ذقون) .
(٣) في ابن هشام : "من فربن ثم من بني أمية بن عبد شمس سعيد..." . (٤) في ابن هشام : "ومن بني تميم بن مرة عبد الله ..." . (٥) يقال : انتفض الجرح إذا فسد .

ومن بنى كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم .
ومن بنى سعد بن ليث جليحة بن عبد الله .
ومن الأنصار ثابت بن الحذع ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة ،
والمزدر بن عبد الله ، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسى .
قال : فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم ،
وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين .
وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوما ، ويقال : خمسة عشر يوما ،
ونصب عليهم المنجنيق ، ورعى عليهم به ، وأهل الطائف أول من رُمى بالمنجنيق
في الإسلام .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة^(١) دخل نفر من المسلمين تحت
دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سيكك الحديد
محمأة بالنار ، فخرجوا من تحت ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتل منهم رجال ، فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناقهم وتحريقها ، فقطع المسلمون قطعاً
ذريعاً ، ثم سألوه أن بدعهم الله وللرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”إني أدعها لله وللرحم“ ، وندى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أيما عبد
نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر“ ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً ، منهم : أبو بكر ،
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين
يمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في فتح الطائف ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : ”ما ترى“ ؟ فقال :
نعالب في حجر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضررك .

(١) سمى يوم الشدخة لما شخ فيه من النار . والشدخ : كسر كل شيء أجوف ، (المواهب

قال محمد بن إسحاق : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : " يا أبا بكر ؛ إني وأيت أتى أهديت لي قبة مملوءة زُبدا ، ففقرها إليك فهوراق ما فيها " ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأنا لا أرى ذلك " .

١٢٦
١٥

- قال : ثم إن خويلدة بنت حكيم بن أمية السامية ، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، [أعطني ^(١)] إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان ابني سلمة ، أو حلي الفارعة بنت عقيل ، وكنتا من أحلى نساء قريش . قال : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : " وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلدة ؟ " فخرجت خويلدة فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدثتني خويلدة فرعمت أنك قد قلته ؟ قال : " قد قلته " . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : " لا " ، قال : أفلا أؤذن بالرجل ؟ قال : " بلى " قال : فأذن عمر في الناس بالرجل ؛ فضجّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأعدوا على القتال " ؛ فعدّوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا قاتلون إن شاء الله " ؛ فمروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرتحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وقال لهم : " قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ؛ فلما أرتحلوا وأستقلوا قال : " قولوا آيئون تائبون عابدون ، لربنا حامدون " ؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أدع على ثقيف ؛ فقال : " اللهم آهد ثقيفا وأت بهم " .

(١) النكلة عن ابن هشام ج ٤ : ١٢٧

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة

وقسم مغانم حنين ، وما أعطاه المؤلفة

قال ابن إسحاق : ولما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف
رجع إلى الجعرانة فأنهى إليها ليلة الخميس ثلاث خلون من ذى القعدة ، فأقام
بها ثلاثة عشر يوما ، وقسم النقي .

قال محمد بن سعد : كان السبي ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف
بصير ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، والوَرِق أربعة آلاف أوقية فضة ،
فأستأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم ، وبدأ بالأموال
فقسمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس .

قالوا : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال :
وأبى يزيد ؟ قال : ” أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل ” ، قال : وأبى معاوية ؟
فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ،
ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إيها ، وأعطى النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة
مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية النقي مائة من الإبل ، وأعطى السلاء
ابن جارية النقي خمسين بصيرا ، وأعطى نخمرة بن نوفل خمسين بعيرا ، وأعطى
الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل ،
وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدى مائة من الإبل ،
وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل ،
وأعطى حو يظب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامري

نحسين من الإبل، وأعطى الأفرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عينة ابن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، وقيل : أربعة ، فقال في ذلك :

كانت نهباً ثلاثيتها * يكرى على المهر في الأجرع^(١)

وإيقاطي القوم أن يردوا * إذا جمع الناس لم أهجع^(٢)

فأصبح نهي ونهب العبيد * يد بين عينة والأفرع^(٣)

وقد كنت في الحرب ذاتدرا * فلم أعط شيئا ولم أمتنع^(٤)

إلا أفائل أعطيتها * عديد فوائدها الأربع^(٥)

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في التجمع^(٦)

وما كنت دون أمرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقطعوا عني لسانه " ، فأعطوه حتى رضى .
قيل : أعطاه مائة من الإبل .

قال ابن سعد : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الخمس ، وهو أثبت الأفاويل عندنا ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم قضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل ، وأربعون شاة ، فإن كان فارسا أخذ أخى عشر من الإبل ، أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد .

(١) النهاب : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويبنم . والأجرع : المكان السهل .

(٢) العبيد : اسم فرس عياض بن مرداس . (٣) ذاتدرا ، أى ذا دفع عن قوى .

(٤) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيال . (٥) في رواية ابن هشام « شبنى » ،

بنى أباه مرداسا . ويرى : « شبنى » بتشديد الاء ، يعنى أباه وجدّه .

(٦) يقال : فض الشيء على القوم : إذا فرقه وقسمه .

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال : وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي .

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو : إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل عشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يتخف عليك ، فآمنن علينا .

قال : وقام رجل من هوازن ، أحد بني سعد بن بكر يقال له : زهير ، يُكنى بأبي صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عمائك وخالاتك وحواضك اللاتي كن معك يكفلنك ، ولو أنا ملحننا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا مثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن أبا صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك :
أمنن علينا رسول الله في كريم * فإناك المرء نرجوه وننتظر^(١)
أمنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها ، في دهرها غير^(٢)
يا خير طفيل ومولود ومتحجب * في المالمين إذا ما حصل البشر^(٣)
إن لم تداركهم نماء تنشرها * يا أرحم الناس جلمنا حين يُختبر^(٤)

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهي الزوب الذي يصنع للإبل والنعم يكفها .

(٢) بذر : ملأه لعل أي أرضعاه . وانظر اللسان (ملح) . (٣) في الاستيعاب :

« ويدر » (٤) البيضة هنا : مجتمع الدار .

فَأَمْنٌ عَلَى نَسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا * إِذْ فُؤِكَ يَمْلُؤُ مِنْ مَحْضِهَا دِرُّرُ
إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا * وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلُنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ^(١) * وَأَمْتَبِقِي مِنَّا فَإِنَّا مَعْنَرُ زُهْرُ
بِاخِيرٍ مِنْ مَرَحَتِ كُنْتُ الْجِيَادُ بِهِ * عِنْدَ الْهَيَاجِ إِذَا مَا أَسْتَوْقَدُ الشَّمْرُ
إِنَّا لِلشُّكْرِ آلَاءٌ وَإِنِّ كُفِّرْتُ * وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَذْنَرُ
إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوًا مِنْكَ تَلْبَسُهُ * هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَنْصَرُ
فَأَغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ وَاهِبُهُ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظُّفْرُ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبناءؤكم ونساءؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فرد إلينا أبناءنا ونساءنا فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر فتوموا فقولوا: إنا نستشفيع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فأسألكم عند ذلك وأسأل لكم، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: "أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم"، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقالت الأنصار: مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو قزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: يقول عباس لبني سليم: وهتهموني ^(٢)؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) يقال: شالت نعامتهم إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية، والعامية: الجماعة

وانظر اللسان (شول).

(٢) وهتهموني: أضغفتموني.

”إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت أستاذيت بسببهم ، وخيرتهم فلم يعدلوا
بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك ،
ومن أبى فليرد عليهم ، وليكن ذلك قرضا علينا ، فله بكل إنسان ست فرائض
من أول ما يؤتي الله علينا“ قالوا : رَضِينَا وَسَلَمْنَا ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
ولم يتخلف منهم أحد غير عَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ ، فإنه أبى أن يرده عجزوا صارت في يده
منهم ، ثم ردها بعد ذلك .

$\frac{128}{10}$

وقد حكى محمد بن إسحاق سببَ تَمَسُّكِ عَيْنَةَ بِهَا وَرَدِّهَا ، قال : فقال حين
أَخَذَهَا : أرى عجوزا إنى لأحسب لها في الحى نسبا ، وعسى أن يعظم فداؤها ؛
فلما ردت الناس السبايا بست فرائض أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صُرد : خذها
عنك ، فوالله ما فوها بيارد ، ولا نديها بناهد ، ولا بطئها بوالد ، ولا زوجها بواجد
ولا دُرَّها بما يكدي^(١) فَرَدَّهَا بَسَتْ فَرَائِضَ حِينَ قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ مَا قَالَ . وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد كسا السي قُبْطِيَّةَ قُبْطِيَّةً ، والقباطى : ثياب بيض تتخذ
من الكتان بمصر .

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عينة بن حصن في هذه
القصة قال : لما قدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد عليهم
السي ، كان عينة قد أخذ رأسا منهم ، فنظر إلى عجوز كبيرة فقال : هذه أم الحى ، لعلهم
أن يفعلوا بفدائها ، وعسى أن يكون لها في الحى نسب . فجاء أبنها إلى عينة فقال :
هل لك في مائة من الإبل ؟ قل : لا ، فرجع عنه ، ففكر ساعة ، وجعلت العجوز
نقول لآبئها : ما إربك في مائة ناقة ، أتركها فما أسرع ما بتركنى بغير فداء ؛

(١) الدر : الابن . والمساك : العريز .

فلما سمعها عينة قال : ما رأيت كالיום خدعة ، والله ما أنا من هذه إلا في غرور ، ولا جرم والله لأبعدن أثرك متى ، قال : ثم مر به أبناها فقال له عينة : هل لك فيما دعوتني إليه ؟ ، فقال : لا أزيدك على نحسين ، فقال عينة : لا أفعل ، ثم لبث ساعة ، فمر به وهو معرض عنه ، فقال له عينة : هل لك في الذي بذلت لي ؟ ، قال له الفتى : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة ، قال عينة : والله لا أفعل ، فلما تخوف عينة أن يتفرق الناس ويترحلوا قال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ : فقال الفتى : هل لك إلى عشر فرائص ؟ قال : لا أفعل ، فلما رحل الناس ناداه عينة : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ ، قال الفتى : أرسلها وأحمدك ، قال : لا والله مالي حاجة بمحمدك ، فأقبل عينة على نفسه لا تما لها ويقول : ما رأيت كالיום أمرا أنكد ، قال الفتى : أنت صنعت هذا بنفسك ، عمدت إلى عجوز كبيرة ، والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فورها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ، فقال له عينة : خذها لا يبارك الله لك فيها ، قال : فيقول الفتى : يا عينة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة ، فهل أنت كاسيها نوبا ؟ قال : لا ، والله ما لها ذاك عندي ، قال : لا تفعل ، فافارقه حتى أخذ منه سمل ثوب ، ثم ولى الفتى وهو يقول : إنك تغير بصير بالفرض ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قُبْطِيَّة قُبْطِيَّة ، والقباطى : ثياب بيض تُتخذ من الكَنَان بمصر .

قال محمد بن إسحاق : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال : "أخبروا ما لكا إن هو أتاني مسلما رددتُ إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل" ، فأخبر بذلك ،

نفرج من الطائف فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم لحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشداً:

ما إن رأيت ولا سمعتُ بيشلي * في الناس كلهمُ بمنلي محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا أجتدى * ومتى تشأُ بجزرك عما في غد
وإذا الكتيبةُ عرّدتُ أنيابها * بالسّمهريّ وضرب كلّ مهنيّد
فكانه لبثٌ على أشباله * وسط المباءة خادِرٌ في مرصِد^(١)

فأسعّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثُمالة، وسَلَمَة، وقهم، فكان يقاتل بهم تقيفاً؛ لا يخرج لهم سرح^(٢) إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو التميمي في ذلك:

هابت الأعداءُ جانبنا * ثم تفرّضونا بنو سَلَمَة
وأنا مالِكٌ بهم * ناقضاً للعهد والحُرمة
وأتّوينا في منازلنا * ولقد تكأ أولي نَقَمه

ذكر تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قريش وغيرها عند قسم مغنم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجُرانة من غنائم حنين: أبو سفيان ابن حرب، وعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد

(١) الهابة: الغيار يثور عند اشتداد الحرب. والغادر: الأسد في غريته، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً لظوه على أشاله، يصغره بالقوة. والمرصد: المكان يرقب منه، يصغره باليقظة.

(٢) السرح: المال السائم.

- (١١) ابن أبي العيص، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السائب بن بَعَكَّ بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَة، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم، والعدويان، وصفوان بن أمية بن خلف الجُمَحِي، وأُحِيحة بن أمية بن خلف، وعُمَيْر بن وهب بن خلف، وعدى بن قيس ابن حُذافة السُّهْمِي، وحُوَيْطِب بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل ابن معاوية بن عروة بن صخر الدَّيْل، وعلقمة بن عُلائة بن عوف، ولَيْسَد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن هُوَذَة ابن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن ربوع، وعباس بن مرداس السُّلَمِي، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأقرع بن حابس بن عقال المُجاشمي.

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم النِّزَاء، وما أجابهم به

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورَضَاهُم به

- قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :
 لما أُعْطِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أُعْطِيَ من تلك العطايا في قریش
 وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وَجَدُوا في أنفسهم حتى كثرت
 بهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة
 فقال : يا رسول الله ، إن هذا الخي من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم لما
 صنعتَ في هذا أنفَى الذي أَصْبَتْ ، قسمتَ في قومك ، وأعطيتَ عطايا عظاما

في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : " فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ " قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ؛ قال : " فأجمع لى قومك في هذه الخطيرة " ، فخرج سعد بجمعهم فيها ، فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : " يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغتنى عنكم ، وريدةً وريدةً ، وها في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم " ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمنُّ وأفضل ثم قال : " ألا تحببوننى يا معشر الأنصار ؟ " ، قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ ، لله ورسوله المثل والفضل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما والله لو شتمت لقاتم ولصدقم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، وغدولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وأوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لأعاعية ^(١) الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم ! فوالذى نفس محمد بيده أولا الهجرة لكنت أمراء من الأنصار ، ولو سلكت الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار " ، قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضيانا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً وحظاً ؛ ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفترقوا ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرانة معتمراً ، وذلك ليلة الأربعاء لثنتى عشرة ليلة مضت من ذى القعدة ، فأحرم بعمرة ، ودخل مكة ، فطاف وسعى وحلق رأسه ، ورجع إلى الجمرانة من ليلته .

(١) الأعاعية : جرة من الماء يريد الشئ اليسير .

(٢) أى بلوها بدموعهم .

(٣) الشعب بكسر الشين : الطريق بين جبلين .

ذكر استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد

على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

قال ابن هشام : لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام يخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاج الله كيد من جاع على درهم ، قد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فلبست بي حاجة إلى أحد .

قال : وخرج عتاب بالناس في سنة ثمان على ما كانت العرب تحج عليه .

قال ابن سعد : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك في وادي الجعرانة ، حتى خرج على سرف ، ثم أخذ الطريق إلى مرة الظهران ، ثم إلى المدينة ، فقيدهما صلى الله عليه وسلم في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . وقال ابن هشام : لست بقين من ذي القعدة . والله أعلم .

ذكر سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة تسع من هجرته إلى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجرون ولا أنصاريون ، وكان يسير الليل ويكنن النهار ، فهجم عليهم في صحراء — وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم ، وقد

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة (يقول) .

(٢) مرة الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

حلّوا وسرحوا ما شئتهم ، فلما رأوا الجمع ولّوا — وأخذَ منهم أحد عشر رجلا ؛
 ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا ، بلغهم إلى المدينة ، فأمر
 بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم
 عدة من رؤسائهم : عطارِد بن حاجب ، والزَّيرِ قَان بن بدر ، وقيس بن عاصم ،
 وربّاح بن الحارث بن مجاشع ، والأفرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم
 ابن سعد ، وعمرو بن الأَهم ، وربيعة بن رُقيع ، وسبرة بن عمرو ، والقَعَقَاع بن معبد ،
 ووردان بن مُحَرِّز ، ومالك بن عمرو ، وفِراس بن حابس ، وكان من شأنهم وكلام
 خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى ،
 وذلك في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة ^(١) .

قال : ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يومئذ من بني النضير : عبد الله وأخوان له
 بنو وهب ، وشَداد بن فراس ، وحَنْظَلَة بن دَارِم . وكان ممن سبي يومئذ أسماءُ
 بنتُ مالك ، وكَأْس بنت أري ، ونَجْشوة بنت نَهْد ، وجميعُ بنت قيس ، وعمرة
 بنت مطر .

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة
 ابن أبي معيط إلى المصطلق من نزاعة يصدقهم ، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد ،
 فلما سمعوا بدنو الوليد نخرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحوا به ،
 فلما رأهم ولّوا راجعا إلى المدينة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه

بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم من بغزوهم ، وبلغ ذلك القوم ، فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر على وجهه ، فترى في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءَكُمْ فَأَسْقِ بِئَا فْتَبِينُوا أَن تَصِيدُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا قَعَلْتُمْ تَادِبِينَ ﴾^(١) ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وبعث معهم عباد بن بشر بأخذ صدقات أهلهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، وقرنهم القرآن ، ففعل ، وأقام عندهم عشرة ، ثم أنصرف إلى المدينة .

١٣١
١٥

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع من هجرته إلى حث من خثعم بناحية تبالة في عشرين رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبصرة يمتقبونها ، فأخذوا رجلا ، فسأله فاستعجم عليهم ، وجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم ، فضربوا عنقه ، ثم أهملوا حتى ذم الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فأقتلوا قتلا شديدا ، وساق المسلمون النعم والثاء والنساء إلى المدينة ، وجاء سيل خال بينهم وبين قطبة ، فسا يجدون إليه سبيلا . وكانت سهامهم بعد الخمس لكل رجل أربعة أبصرة ، والبعير يعدل بعشرة من الغنم .

ذكر سرية الضحّاك بن سفيان الكلّابي إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة .

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء عليهم الضحّاك^(٢) ابن سفيان بن عوف الكلّابي ، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط ، فلحقهم بالزج^(٣) ،

(١) سورة الحجرات : ٦ (٢) القرطاء : بطن من بني بكر واسمهم عبيد بن كلاب .

(٣) زج : لآوة : موضع مجد .

زُجْ لآوَة ، فَدَعَوْهُم إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا ، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَبُوا ، فَلَحِقَ الْأَصِيدُ أَبَاهُ سَلَمَةَ ،
وسَلَمَةُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي غَدِيرِ الزُّجْ ، فَدَعَا أَبَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ ، فَسَبَّهَ
وَسَبَّ دِينَهُ ، فَضْرَبَ الْأَصِيدُ عُرْقُوبِي فَرَسَ أَبِيهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عُرْقُوبِيهِ
أَرْتَكَرَ سَلَمَةُ رَحْمَةً فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَمْسَكَ بِهِ ، حَتَّى جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ
أَبْنُهُ ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ فِي الضُّحَاكَ بْنُ سَفْيَانَ يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ :

إِنَّ الَّذِينَ وَقَفُوا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ * جَيْشٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضُّحَاكَ
أَمْرَتُهُ دَرَبَ اللِّسَانِ كَأَنَّهُ * لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْفِدْوُ يَرَاكَ
طُورًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً * يَقْبِرِي الْجَاهِمَ صَارِمًا بَتَاكَ^(٢)

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عُلُقَمَةَ بْنِ مُجَزَّزٍ الْمُذِلِّحِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ

كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَخْرَسَةِ تَسْعَ مِنْ الْحِجْرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَاهُمْ أَهْلُ جُدَّةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
عُلُقَمَةَ بْنَ مُجَزَّزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَتَتْهُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمْ ، فَهَرَبُوا
مِنْهُ ، فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حُدَافَةَ السَّمْنِيُّ ، فَأَمَرَهُ عُلُقَمَةُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ ، فَتَزَلُّوا بِبَعْضِ
الطَّرِيقِ وَأَوْقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُمْ : عَزِمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَاتَيْتُمْ فِي هَذِهِ
النَّارِ ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ حَتَّى طُنَّ أَنَّهُمْ وَاتَّبَعُوا فِيهَا ، فَقَالَ : اجْلِسُوا ، إِنَّمَا كُنْتُ
أَخْشَاكُمْ مَعَكُمْ ، فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ” مَنْ أَمَرَكُمْ
بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ “ .

(١) فِي ابْنِ هَنَافٍ ٤ : ١٠٣ » رَجُلٌ بِهِ ذَرْبُ الْمَلَايِكَةِ « .

(٢) الْبَيْتُكَ وَالْفَتَاكَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(٣) أَيْ أَرَادُوا الرَّجُوعَ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ .

ذكر سرية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طييّ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلس (صنم طييّ) ليهدمه - (والفُلس بضم الفاء وسكون اللام) - بهم على مائة بعير وخمسين فرسا، ومعه راية سوداء ولواء

أبيض، فشَنُوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلس وخرّبوه ومَلَأُوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال:

ووجدوا في حِرَازَةِ الفُلس ثلاثة أسياف: وسُوب، والمِخْذَم، واليَمَان؛ وثلاثة

أدرُع، فلَمَّا نزلوا رَكَّكَ^(١) أَقْسَمُوا الفَنَانِمَ، وعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

صَفِيْهِ: رَسُوب، والمِخْذَم، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر، وعزل الخُمُسَ وعزل

آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قَدِمَ بهم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٣٢
١٥

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجَنَاب

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجرة

إلى الجَنَاب، أرض عُذْرَة وبَلِيّ، ولم يذكر أبْنُ سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غَزْوَةُ تَبُوكَ

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من مهاجرة رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت

جموعا كثيرة بالشام، وأن هِرَقْلَ قد رَزَقَ أصحابه لِسَنَةً، وأجلبت معه لَحْمٌ،

(١) رَكَّكَ (بالحرّك): محلة من محال سلمى أحد جبل طييّ.

(٢) الصنم هنا: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفرو. قبل القصة.

وَجُدَام ، وَعَامِلَةٌ ، وَغَنَان . وَقَدَمُوا مَقْدَمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلَاءِ ، فَغَدِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ ، وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لَذَلِكَ ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قِبَاةِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ ، وَذَلِكَ فِي حَرْشٍ شَدِيدٍ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَمَلُّوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً ، وَقَوُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

قال ابن هشام : أنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اللهم آرض عن عثمان فأتى عنه راض “ .

وجاء البكاءون وهم سبعة : سالم بن محمير ، وهرم بن عبد الله أخو بني واقف ، وعُلب بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني ، وعمر بن عنة ، وسلمة بن صخر ، والعرباض بن سارية النزارى .

قال : وفي بعض الرواة من يقول : إن فيهم عبد الله بن مغفل المزني ، ومغل ابن يسار ، وبعضهم يقول : البكاءون بنو مقرن السبعة ، وهم من مزينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجملونه ، فقال : ” لا أجِدُ ما أحِلُّكم عليه “ ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ، فعذرهم الله تعالى .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجمعون في بيت سويلم اليهودي ، ينتظون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فأقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فأنكسرت رجله ، وأقتحم أصحابه فالتوا ، فقال الضحاك في ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحاك وابن أبيريق

فَظَلْتُ وَقَدْ طَبَقْتُ كَيْسَ سَوَيْلِمَ • أَنُوْءُ عَلَى رَجُلٍ كَسِيرًا وَمِرْفَقِي^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوذُ لِيْلَيْهَا • أَخَافُ، وَمَنْ تَسْمَعُ بِهِ النَّارُ يُحَوِّقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير
علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا •

- وجاء المَعْتَرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَأَعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَمْنَحْهُمْ،
وَهُمْ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلًا؛ ذَكَرَ أَنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْ
سَلُولٍ قَدْ عَسَرَ عَلَى ثَنِيَةِ الْوَدَاعِ فِي حُلْفَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَكَانَ يُقَالُ: لَيْسَ
عَسْرُهُ بِأَقْلَ الْعَسْكَرِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَخْلِفُ عَلَى عَسْكَرِهِ
أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ
١٠ سَلَامَةَ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَلَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْ، وَمَنْ كَانَ
مَعَهُ، وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا أَرْتِيَابٍ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ،
وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمُرَادَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَأَبُو خَيْشَمَةَ مَالِكُ بْنُ قَيْسِ السَّامِيِّ، وَأَبُو دُرْ
الْغِفَارِيِّ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ بَطْنٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْقَبَائِلِ مِنَ
الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لَوَاءً أَوْ رَابِعَةً، وَمَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَجْهِهِ يَسِيرُ بِأَصْحَابِهِ
حَتَّى قَدِمَ تَبُوكَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ، وَالْخَيْلِ عَشْرَةَ أَلْفٍ فَرَسٍ، فَأَقَامَ بِهَا
١٥ عَشْرِينَ لَيْلَةً يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وَلَحِقَهُ بِهَا أَبُو خَيْشَمَةَ وَأَبُو دُرْ.

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيشمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه جاء يوما إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما في يوم

(١) طَبَقْتُ: عَلَوْتُ. وَالْكَبْسُ بِكَسْرِ الْكَافِ: الْبَيْتُ الصَّغِيرُ.

حاز ، فوجد أمرأين له في عريشين لما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبزدت له فيه ماء ، وهيات طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى أمرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله في الضح والزيح والحز ، وأبو خيصة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وأمرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكأ حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبهتتا لى زادا ، ففعلتا ، ثم قدم ناصحه فأرتمته ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

قال : ولما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كن أبا خيصة " ، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيصة ؟ فلما أناخ أقبل فنسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : " أوى لك يا أبا خيصة " ! ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال : خيرا وذعا له .

وأما أبو ذر الغفارى ، فإنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ، وكان بعيره قد أبطأ عليه ، فحمل متاعه على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبيت وحده " فكان كذلك . قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وهرقل يومئذ يجمص ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر .

(١) العريش : شبه الخيمة . والحائط هنا : البستان .

(٢) الصبح يكسر الصاد ونشد به الحباب : الشمس .

(٣) الصبح : البعير يستق عليه ، وأرتمته : شق عليه الرجل .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك

- قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنوك خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً سريةً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: "إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقْرَ". فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من الهجرة حتى كان من حصن أكيدر بمنظر العين في ليلة مقيمة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه أمرأته، فبأثت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له أمرأته: ما رأيتُ مثلاً هذا قط؟ قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فامر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقاهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشدت عليه، فأستأمر أكيدر، وأمنع أخوه حسان، وقاتل حتى قُتِل، وكان عليه قباء من ديباج غوص بالذهب، فاستلبه خالد، وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمتأذيل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا". قال: وما أسر أكيدر وقتل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفياً خالصاً، ثم أخرج الخمس، وقسم

(١) التخييص بالذهب: أن يجعل الشيء صندوقاً من الذهب على قدر عرض خصوص النحل

ما بقي بين أصحابه ، ثم خرج خالدٌ ماكيدر وبأخيه مُصاد - وكان في الحصن - وبما صالحه عليه فأقلا إلى المدينة ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكيدر ، فأهدى له هدية ، وصالحه على الجزية ، وحقن دمه ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال بجبر بن بجرة :

تبارك سائق البقرات إني * رأيت الله يهدي كل هاد

فمن يك حائدا عن ذي تبوك * فلانا قد أمرنا بالجهاد

قال محمد بن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أناه يُحنة ابن ربيعة صاحب أيلة^(١) ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح^(٢) ، فأعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنة كتابا ، وهو : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة ، سُفُنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ، ومن كاد معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن . وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدا فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وإنه طيب لمن أحده من الناس ، وإنه لا يعل أن يمتنوا ماء يردونه ، ولا طريقا يردونه من بر أو بحر" .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على حريه بنبوك عبدا ابن بشر . ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا .

(١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم على الشام .

(٢) جرباء : موضع من أعمال عمان بالقرب من أرض الشام (يافوت)

(٣) أذرح : من أعمال القلزم - على ساحل القلزم (يافوت)

وقدِم المدينة في شهر رمضان من السنة، وجاءه من كان قد تخلف عنه ،
خلفوا له ، فعذرهم ، واستغفرَ لهم ، وأرجأ أمرَ كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت
توبتهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الفقرة .

قال : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد أقطع الجهاد ،
فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم ، وقال : ” لا تزال عصابةً من
أمتي يماهدون على الحق حتى يخرج الدجال ” .

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدمناه ، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع .
منها خبر مرور رسول الله بالجحجر .

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين .

ومنها خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل من توبتهم .

ذكر خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحجر

وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره إلى تبوك
بالجحجر من مَدْيَن ، نزلها ، وأستقى الناس من بُرْهَاء ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم . ” لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا يُتوضأ منه للصلاة ، وما كان من
عجرين عجشموة فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة
إلا ومعه صاحب له ” ، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره له ،
فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنيق على مَدْيَه ^(١) ؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره

(١) خنيق : صرع . الذهب هنا : الموضع الذي يقضى فيه المراجعة .

فَأَحْدَثَهُ الرَّيْحُ حَتَّى طَرَحَهُ بِجَبَلٍ طَيِّبٍ ، وَأَخِيرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ
فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكُمُ إِلَّا بِخُرْجِ مَنْكُمْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ » ! ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ^(١)
فَنُفِئِي ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنْ طَيَّبْنَا أَهْلَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

قال ابن هشام : بلغني عن الزُّهري أنه قال : لما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بِالْمَدِينَةِ بِأَخِيهِ تَوْبَةَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَأَسْتَحْثَّ رَاحِلَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « لَا تَدْخُلُوا
بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ بِأَكُونِ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » .

قال ابن إسحاق : لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فَدَعَا ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَحَابَةِ فَاَمْطَرَتْ حَتَّى آرَتْ رُؤُوسَ النَّاسِ
وَأَحْتَمَلُوا حَاجَتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ .

وفي هذه الغزوة ضَلَّتْ ثَاقِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ^(٢)
مَا قَالَ ، وَأَخِيرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ ، فَأُخْبِرَ بِشَأْنِهَا ، وَوُجِدَتْ
كَمَا وَصَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ الْمُنَافِقِينَ .

ذَكَرَ أَخْبَارَ الْمُنَافِقِينَ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ

كَانَ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا أَنْزَلَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ الْجَدُّ
ابْنُ قَيْسٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُذَنِّ لِي وَلَا تُفْتِنَنِي ؟
وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبَرُهُ مَعَ أَخْبَارِ الْمُنَافِقِينَ .

(١) عبارة الزرقاني ج ٣ : ٨٧ : « ثم دعا للذي خشي على مذهبه » .

(٢) يحيى : غطى توبه وضعت على موضع قدال : على وجهه .

(٣) ويقال فيه للصيت (مالئ) . والحق في ابن هشام : ٤ : ١٠٦ .

وقال قوم منهم: لا تَتَفَرَّوْا فِي الْحَرْزِ هَذِهِ فِي الْجِهَادِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ:
 ﴿وَقَالُوا لَا تَتَفَرَّوْا فِي الْحَرْزِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُوْنَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
 وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(١)﴾، وقال رَهط من المنافقين: منهم ودِيعَةُ
 ابْنِ ثَابِتٍ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ، حَلِيفٌ لِبَنِي سَامَةَ يُقَالُ لَهُ:
 مَحْشٌ بْنُ مَحْشٍ - وَقِيلَ: مَحْشَى^(٢) - وَغَيْرُهُمَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْحَسِبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ
 كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَاللَّهُ لَكَأَنَّهُمْ غَدًا بِهِمْ مَقْرَنِينَ فِي الْحَبَالِ، يَقُولُونَ ذَلِكَ
 إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ مَحْشَى: وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنْ أَقْضَى عَلَى أَنْ يَضْرِبَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهَا مِائَةَ جَلْدَةٍ،
 وَأَنَا تَنْفِلْتُ أَوْ يَتْرَلُ فِينَا قِرْآنُ لِفَاتِنِكُمْ هَذِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَامِرِ بْنِ
 يَاسِرٍ: "إِدْرِكَ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَحْرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا؛ فَإِنْ أَنْكَرُوا قَتَلْ لَهُمْ: بَلَى
 قَدْ قَتَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا"، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَنُورَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ يَبْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضٍ وَنَلْعَبُ .
 وَقَالَ مَحْشَى: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَدَّ بِي أَسْمَى وَأَسْمَ أَبَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ:
 ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبَايَ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ
 تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ
 طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ^(٣)﴾ . فَكَانَ مَحْشَى بْنُ مَحْشٍ مِنْ عَفَى عَنْهُ، فَتَقَسَمَى
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَقْتُلَ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ مَكَانَهُ، فَقَتَلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَلَمْ يَوْجَدْ
 لَهُ أَثَرٌ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

(١) سورة التوبة ٨١ - ٨٢

(٢) كذا ضبط هذا الاسم بالعبارة لا ينحسب المتنبه لا ينحسب الإكمال لا ينحسب ما كولا .

(٣) سورة التوبة ٦٥ - ٦٦

ذكر خبر الثلاثة الذين خُلفوا ، وما أنزل فيهم

وفي المعذرين من الأعراب

والثلاثة الذين خُلفوا لم يتخلفوا عن شك ولا نفاق ، وهم : كعب بن مالك ،
ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكان من خبرهم ما حدثنا به الشيخان
المعمران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى - الحجار ،
وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى
التنوخية الدمشقيان قراءة عليهما ، وأنا أسمع في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة
وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزية ، قالوا : حدثنا الشيخ سراج الدين
أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدى ، قال : حدثنا أبو الوقت
عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : حدثنا
الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودى ، قال : أخبرنا أبو محمد
عبد الله بن أحمد بن حنويه السرخسى ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
ابن مطر القريرى ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى ،
قال : حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك ،
— وكان قائد كعب من بني حنينة عَمَى — قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين
تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة غزاهما إلا في غزوة تبوك ، غير أنى كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يأتني
أحدًا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع
الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة العقبة حين توافقتا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكّر في الناس منها .

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما أجدت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا ، بخلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان .

١. قال كعب : لما رجع يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطيفقت أعدو لكي اتجهز معهم ، فأرجع ولم أفيض شيئا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ، فلم يزل يتنادى بي حتى شتم بالناس الجحد . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، ولم أفيض من جهازي شيئا ، فقلت : اتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لا تجهز ، ورجعت فلم أفيض شيئا ، ثم غدوت ، ثم رجعت ، ولم أفيض شيئا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتوسط الغزو ، وهممت أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالتفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكروني

(١) أي فأت رسولاً .

(٢) مضموم : مطروحة إليه في دية ، منها والتفاق . وفي ابن هشام ٤ : ١٠٦ « وفي التفاق » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك :
 "ما فعل كعب" ؟ فقال وجل من بنى سلامة : يا رسول الله ، حبسه برُدهاء ونظره
 في عِطْفِيهِ . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما علمتُ
 عليه إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرنى هَمَى ، وطفقت
 أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سَخَطه غدا ، وأستعنت على ذلك بكل ذى
 رأي من أهلى ، فلما قبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظَل قادما راح عنى
 الباطل ، وعرفت أنى لم أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ،
 وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ،
 فركع فيه ركعتين ، ثم يجلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطيفقوا يعتذرون
 إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم علايتهم وبايعهم وأستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، بغفته ، فلما
 سلمت عليه تبسم تبسم الغضب ، ثم قال : "نعال" ، بغفت أمشى حتى جلست بين
 يديه ، فقال لى : "ما خلقك ؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك" ؟ فقالت : بلى والله ،
 إنى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت أنى سأخرج من سَخَطه بعذر ، ولقد
 أُعْطيتُ جدلا . ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى
 به عنى لبوشكن الله أن يُسَخِّطك عني ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عني فيه
 إنى لأرجو فيه عِقْبَى الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أفوى

(١) كفى هنا عن إعجابه بنفسه وزعمه وتكبره . (٢) أظَل : قرب وأشرف .

(٣) أعطيت جدلا ، أى فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلى بما يقبل ولا يرذ .

(٤) نجد : تنضب .

ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك " ، فقامت ونهر رجال من بني سامة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون أعذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أعذر إليه المتخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، فقل لهما مثل ما قيل لك ؛ فقلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الربيع العُمري ، وهلال بن أمية الوافقي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة ؛ فمضيت حين ذكرهما لي .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه ، فأجتنبنا الناس وتفروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي إلا أن أعيرف ، فليتنا على ذلك خمسين ليلة .

فأنا صاحبى فاستكنا وقعدا في بيوتهم ما يبكيان ، وأنا أنا فكنت أشبَّ الفوم وأجلدهم ، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، فلا يكلمني أحد ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفثي برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي ، فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله . هل تعلمي أحب الله ورسوله ؟

سكت . فعدت له فشده ، سككت ، فعدت له فشده ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

قال : فينا أنا أمشى بسوق المدينة إذا نبطى من أنباط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلى على كعب بن مالك ؟ ، فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابا من ملك غسان ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفناك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضية ، فالحق بنا نؤايدك » . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيممت بها التنوير ، فسجرت بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل أمرأتك . فقلت : أطلقتها ؟ أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل أعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك ، فقلت لأمرأتى : الحق بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .

فإن كعب : بعثت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم : فهل تكره أن أخدمه ؟ فقال : « لا ، ولكن لا يقربتك » قالت : إنه والله ما به حركة إلى نى ، والله ما زال يبكى مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لى بعض أهل : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمرأتك ، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله ، وما يدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ! فلبثت بعد ذلك عشر

ليالٍ حتى كُلت خمسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبحَ نحسين ليلة، وأنا على ظهور بيت من بيوتنا، فيينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت على نفسي، وضاقت على الأرض بما رُحبت، سمعت صوت صارخ أَوْقَى^(١) على جبل سَمِعَ بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: نغمرت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وأَذَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قَبْلُ^(٢) صاحبي يبشرون، وركض رجل إلى فرسا، وسعى ساع من أسلم فأرَقَ على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى، نزع ثوبي فكسوته بإيها بيشراه، والله ما أملك غيرها يومئذ، واستمرت ثوبين فلبستهما، وأنطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلتقاني الناس فوجا فوجا يبشرونني بالتوبة، يقولون: لَيْسَ^(٣) توبَةُ الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاغني وهتاني، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"، قال: قالت: أَمِنْ عِنْدِكَ يا رسول الله؟ قال: أَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قال:

(١) أَوْقَى: أشرف.

(٢) قَبْلُ: في ابن هشام: «وذهب نحو صاحبي يبشرون».

” لا، بل من عبد الله“ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ استنذر وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبى أن أخليص من مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك “ ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخبره ، وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما يجاني بالصدق ، وإن من توبى ألا أحدث إلا صدقا ما يقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بيني ، فأرسل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانا الإسلام أعظم في نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكون كذبت فهاهيك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا : حين أنزل الوحي شرا ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) في كلا الأصلين : « جئت » وما أتينا عن ابن هشام .

(٢) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩

لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ .
يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(١) .

قال كعب : وكنا نخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قيل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلّفوا فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ .
وليس الذي ذكر الله مما خلّفنا تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

انتهت غزوة تبوك ، فلنذكر ما سواها من السرايا .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المطلب بنجران

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من هجرة ، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن

يقال : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من هجرة صلى الله عليه وسلم ، وعقد له لواء ، وعممه بيده ، وقال :
” إِيضًا لَا تَلْفِتْ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ فَلَا تَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُوكَ “ ، فخرج في ثلثمائة فارس ، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، وهي بلاد مذحج ، ففرق أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك ، وجعل على الغنائم بريدة بن الحَصْبِيب الأَسْلَمِيّ ، فجعل إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم

(١) سورة التوبة ٩٥ - ٩٦

(٢) عبارة ابن هشام ج ٤ : ١٨١ : « حين خلّفوا له فندرم » .

فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم على رضى الله عنه أصحابه فقتل منهم عشرين رجلا، فتفرقوا وأنهمزوا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبأيمه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله، وجمع على الغنائم نفقسها، وقسم على أصحابه بقية الغنم، ثم قفل، فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين قديها للحج سنة عشر^(١). حكاه ابن سعد.

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع على بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحلنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك"، قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت؛ قال: "فارجع فأحل كما حل أصحابك"، قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرم: اللهم إني أهلت بما أهلت به نبيك وعبدك ورسولك عهد، قال: "فهل معك من هدى؟" قال: لا؛ فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى. قال: ولما أقبل على من اليمن تعجل إلى رسول الله، وأستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البر الذي كان مع على، فلما دنا جيشه خرج ليقاهم، فإذا عليهم الحلال؛ قال:

(١) القسم الأول من الجزء الثانى : ١٢٢

(٢) بئى أنه أنكر عليها ما فعلت .

وبلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس ؛ قال :
 انزعها وبلك ؛ قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأتزع الحلل
 من الناس فردّها في البرّ ، فأشتكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خطيباً ، فقال : ” أيها الناس ، لا تستكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله “
 أو ” في سبيل الله “^(١) .

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض

الشراة ناحية البلقاء^(٢)

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل
 إتمامها ، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن
 ١٠ أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلم بن أسلم بن حريش ، فتكلم
 قوم وقالوا : نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ، فغضب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه فطيفة ،
 فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ” أما بعد أيها الناس ، فما مقالة
 ١٥ بلفتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم
 في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً ، وإن أبنته من بعده
 خليف الإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإنهما ليخيلان لكل خير ،
 فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم “ ، ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت
 لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى الجُرف ، فتوفي رسول الله صلى

(١) في ابن هشام ٤ : ٢٥٠ : « في سبيل الله من أن يشتكى » .

(٢) الشراة : شراة الشام ، وهي أرض معروقة ، وبها الكهف والرقيم . (ياقوت) .

الله عليه وسلم قبل خروج هذه السرية ، فلما ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان أول ما بدأ به بعث أسامة .

هذا ما أمكن إirاده من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه .
فلنذكر حجّه وعمره صلى الله عليه وسلم .

ذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره

قالوا : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة ختتين ، ولم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع ، وهى فى السنة العاشرة ، وكانت فريضة الحج نزلت فى السنة السادسة من الهجرة ، وفتح مكة فى سنة ثمان ، فاستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد ، فحج بالناس تلك السنة ، وفى السنة التاسعة حج أبو بكر الصديق رضوان الله عليه بالناس كما قدمنا ذكر ذلك فى مواضعه ، فلما كان فى السنة العاشرة أذن فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كأنهم يلتمس أن ينضم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل عمله ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مغتسلا مذهنا مترجلا متجزدا فى ثوبين محاريين : إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال يقين من ذى القعدة سنة عشر من هجرته ، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى — ويقال : سباع ابن عرقطة الغفارى — قالوا : وصلى الظهر بذى الحليفة ركعتين ، وأخرج معه نساء كلهن فى الموادج ، وأشعر هديه وقلده ، ثم ركب ناقته ، فلما استوى عليها باليداء أحرَم من يومه ، وكان على هديه ناجية بن جندب ، وقيل : إنه أهل بالحج مفردا ، وقبل : قرنه بعمره ، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير المنازل ويؤم أصحابه فى الصلاة فى مساجد له قد بناها الناس ، فكان يوم الاثنين بمصر الظهران ، فغربت له الشمس بصرف ، ثم أصبح فأغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحته القصواء ، وكان تحته

صلى الله عليه وسلم رَحَلَ رَثَ عَلَيْهِ قَطِيفَةً لَا تَسَاوِي أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا مُنْعَةَ"، فَدَخَلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ بَنِي سَيْبَةَ، فَلَمَّا رَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مَحَنَ حُجَّهِ وَأَعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَتَعْظِيمًا وَبِرًّا"، ثُمَّ بَدَأَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ، وَرَمَلَ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ مِنَ الْحِجْرِ إِلَى الْحِجْرِ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْمَتَيْنِ، ثُمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ مِنْ قُوْرِهِ ذَلِكَ، وَكَانَ قَدْ اضْطَرَبَ بِالْأَبْطَحِ، فَرَجَعَ إِلَى مَتَلِهِ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ يَوْمِ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ خَطَبَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الظُّهْرِ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ إِلَى مَنًى، فَبَاتَ بِهَا، ثُمَّ غَدَا إِلَى عَرَفَاتٍ، فَوَقَفَ بِالْهَضَابِ مِنْهَا، وَقَالَ: "كُلُّ عَرَفَةٍ [مَوْقِفٌ إِلَّا بَطْنَ عُرْنَةٍ] (١)"، فَوَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَدْعُو، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ دَفَعَ بِفَعْلٍ يَسِيرُ الْعِثْقَ حَتَّى جَاءَ الْمَزْدَلِفَةَ، فَتَرَلَ قَرِيبًا مِنَ الْغَارِ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا، فَلَمَّا بَرَقَ الْفَجْرُ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَوَقَفَ عَلَى قُرْنٍ (٢) وَقَالَ: "كُلُّ الْمَزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ إِلَّا بَطْنَ مَحْسَرٍ (٣)"، ثُمَّ دَفَعَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى مَحْسَرٍ أَوْضَعَ، وَلَمْ يَزَلْ يَلْبِي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ نَحَرَ الْهَدْيَ وَحَلَّقَ رَأْسَهُ، وَأَخَذَ مِنْ شَارِبِيهِ وَعَارِضِيهِ، وَقَلَمَ أَظْفَارَهُ، وَأَمَرَ بِشَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ أَنْ تُدْفَنَ، ثُمَّ أَصَابَ الطَّيِّبَ، وَلَبَسَ الْقَمِيصَ، وَنَادَى مُنَادِيَهُ بِمَنًى: لَهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرْبٍ وَبَاعَةٍ، وَجَعَلَ يَرَى الْجَمَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، ثُمَّ خَطَبَ الْعُدَّ مِنْ يَوْمِ التَّخَرُّعِ بَعْدَ الظُّهْرِ

(١) رمل : هرول . (٢) اضطلع برده : أدخله تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره

وأبدي منكبه الأيمن وظل الأيسر . (٣) الزيادة عن ابن سعد ج ٢ : ١٢٥

(٤) العثق بالتحريك : ضرب من السير . (٥) قرح كعمر : جبل بالمزدلفة .

(٦) بطن محسر : واد بالمزدلفة . (٧) من الوضع محركة ، وهو أهون سير الدواب .

على ناقته القَصْوَاء ، ثم صَدَرَ يَوْمَ الصَّدَرِ الآخَرِ ، وقال : ” إِنَّمَا هُنَّ ثَلَاثُ بَقِيمَةٍ
المهاجر بعد الصَّدَرِ “ ، يعنى بمكة ، ثم ودَّعَ البيت ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ذكر الخطبة التى خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التى رُبِنَ
فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

” أَيُّهَا النَّاسُ ، اِسْمَعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَلَى لَا أَلْفَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا
الموقف أبدا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ
كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ ذَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّكُمْ سَنَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤْذِهَا إِلَى مَنْ آمَنَتْهُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كُلُّ
رَبٍّ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ لَكُمْ رِءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ، قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ
لَا رِبَا ، وَأَنْ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، وَأَنْ كُلُّ دِمٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
مَوْضُوعٌ ، وَأَنْ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعُ دَمِ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ — وَكَانَ
مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ ، فَقَتَلْتُهُ هَذَبِلَ — فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ “ .

” أَمَا بَعْدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَسَّ أَنْ يُعْبِدَ بَارِضَكُمْ هَذِهِ أَبَدًا ،
وَلَكِنَّهُ إِنْ يَطْعَمَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ قَدْ رَضِيَ بِهِ ، فَمَا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَأَحْذَرُوهُ
عَلَى دِينِكُمْ “ .

” أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ النَّسِيَّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَامًا
وَيُحْزَمُونَ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحْزَمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ،
وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّ عِدَّةَ
الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ ، وَرَجَبُ مُضَرَ
الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ “ .

”أما بعد أيها الناس، فإن لكم على أنفسكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين باحشية ميمنة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن آتتهن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وأتوصوا بالنساء خيراً، فإتتهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحلتم فروجهن بكلمات الله، فأعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بأتت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه“ .

”أيها الناس، اسمعوا قولي وأعقلوه، نعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئى من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت“، فقال الناس : اللهم نعم، فقال : ”اللهم أشهد“ .

وقال ابن إسحاق أيضاً : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”فل يأيتها الناس إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : هل تدرون أى شهر هذا؟ فيقول له لم، فيقولون : الشهر الحرام، فيقول لهم : ”إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا“، ثم يقول : ”فل يأيتها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرون أى بلد هذا؟“ قال : فيصرخ به، قال : فيقولون : البلد الحرام، قال : فيقول : ”قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا“، ثم يقول : ”فل يأيتها الناس، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرون أى يوم هذا؟“

فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : "قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا" .

وعن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فباغته ، ثم وقفت تحت ناقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لغمامها ليقع على رأسي ، فسمعتنه وهو يقول : "أيها الناس ؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا نجوم ووصية لوارث ، والولد للفراس ، وللعاشر الحجر ، ومن أذع إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً" .

وأما عمره صلى الله عليه وسلم

فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمر الحديبية ، وهي عمر الحضر ، وعمر القضاء من قابل ، وعمر الجعرانة ، والرابعة التي مع حجتة .

وعن قتادة ، قلت لأنس بن مالك : كم أعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعاً ، عد منها عمرته مع حجتة ، وقد قدّمنا ذكر عمر الحديبية مع الغزوات ، ودّكنا عمر الحيزانة عند ذكرنا لقسم مفاتم حنين ، وعمرته مع حجتة قد اختلف فيها .

وأما عمره القضاء

فقد أوردها بعض أهل السير في الغزوات ، وترجم عليها : « عمر القضية » ، وحجة من أوردها في الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح ، ولم يخرج به

صلى الله عليه وسلم لقصد الغزاة ، وإنما خرج به احتياطا . وكان من خبر هذه العمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استهل هلال ذى القعدة سنة سبع من مهاجرة أمر أصحابه أن يعتصموا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها بالحديبية ، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف منها إلا من مات أو قُتل بغيره ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عمّارا . ممن لم يشهد الحديبية ، فكانوا في عمرة القضية ألفين ، وأستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري ، حكاه ابن سعد - وقال ابن إسحاق : عوف بن الأضبط الدبلي - وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة ، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي .

- ١٠ قال ابن سعد : وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والبيض والدروع والرماح ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى إلى ذى الحليفة ، قدم الخيل أمامه ، عليها محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، وأستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد ، وأبى والمسلمون معه يلبون . ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مرّ الظهران فوجد بها نفرا من قريش ، فسألوه ، فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَبِّحُ هذا المنزل غدا إن شاء الله ، فأنوا قريشا بالخبر ، ففزعوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الظهران ، وقدم السلاح إلى بطن يأجج حيث [يَنْظُرُ^(١)] إلى أنصاب الحرم ، وخلف عليه أوس بن خَزَلَةَ الأنصاري في مائتي رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى رؤس الجبال ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه ، فقبس بذى طوى ، وخرج على راحته القصواء

والمسلمون متوشحون السيوف ، محدقون به صلى الله عليه وسلم يلبون ، فدخل على
الثبة التي تطامع على الجحون ، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحته وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمنٌ بقبيله * أعرفُ حقَّ الله في قبوله

نحن قتلناكم على ثاويله ^(١) * كما قتلناكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : قوله « نحن قتلناكم على ثاويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر
في غير هذا اليوم .

قال ابن سمد : ولما أرتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب : إياها ^(٢)

يا ابن رواحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر ، إن أسمع » ، فأسكت عمر ،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياها يا ابن رواحة ! ، قل لا إله إلا الله وحده ، نصر

عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » ، فقال ابن رواحة . ولم يزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن فمُحَجَّته مضطجعا بثوبه ، وطاف

على راحته ، والمسلمون يطوفون معه وقد أضطجعوا بئابهم ، ثم طاف بين الصفا

والمروة على راحته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة

قال : « هذا المنحر ، وكلَّ فحاج مكة منحر » ، فنحر عند المروة ، وحلق هناك ، وكذلك

فعل المسلمون ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم

يبطن يأجج فيقيموا على السلاح ، ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ، ففعلوا ، وأقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا . وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، فلما

كان عند الظهر من اليوم الرابع أماته جميل بن عمرو وحوطعاب بن عبد العزى

(١) في ج : « ضربناكم » . (٢) إياها : كلمة استزادة راسنطاق .

فقالا : قد آتقضى أجلك ، فأخرج عتاء ، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال : لا يمسين
 بها أحد من المسلمين ، وأخرج عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة ، وركب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بئير وتنام الناس إليه ، وأقام أبو رافع بمكة
 حتى أمسى ، فحمل إليه ميمونة ، فبنى عليها صلى الله عليه وسلم ببئير ، ثم أذبح فصار
 حتى قدم المدينة ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .



كمل الجزء السابع عشر من كتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري
 رحمه الله . ويليه الجزء الثامن عشر وأوله : (وفادات العرب على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم) .

جزوب
 معين التاريخ
 لأهل التاريخ

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء بنسخة ١]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » الإمام
النويري رحمه الله ، وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الأولى من شهر
سنة سبع وستين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين العاملي
بلدا ، الشافعي مذهبا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عبوبه ، ولمن يدعو له بالمغفرة
والرحمة والوالديه . آمين » .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء أيضا بنسخة ج]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » على
يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التيمي
القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم ، ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاثنين
المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة أحسن الله
نقضها بالقاهرة المعزية . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس عشر :
ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .



فهرس المراجع

- الاسنياب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
 أسد الغابة في معرفة الصحابة ، الروية ١٢٨٠
 الإصابة في تمييز الصحابة ، الشرفية بمصر ١٣٢٥
 الأغاني ، طبع بولاق ١٢٨٥
 الأغاني ، طبع دار الكتب المصرية .
 الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ١٧ مصطلح حديث
 إمتاع الأصابع للفريزي ، طبع لجنة التأليف والترجمة ١٩٤١
 البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة بمصر ١٣٥١
 تاريخ ابن الأثير ، لندن ١٨٩٥
 تاريخ الطبري ، لندن ١٨٨٩ م .
 تفسير الطبري ، بولاق ١٣٣٠
 تفسير الفرطبي ، طبع دار الكتب المصرية .
 دلائل النبوة للبيهقي ، مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٢ حديث
 ديوان الأعشين ، بيته ١٩٢٧ .
 ديوان حسان بن ثابت ، الرحانية ١٣٤٧
 ديوان الحماسة ، طبع بن ١٨٣٨ م .
 الررض الأنف السبيل ، الجمالية ١٣٣٢
 السيرة النبوية لابن هشام ، طبع الحلبي ١٣٥٥
 شرح السيرة لأبي ذر الخشني ، هندية بمصر ١٣٢٩
 شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، بولاق ١٢٧٨
 صحيح البخاري ، بولاق ١٢٩٦
 صحيح مسلم ، بولاق ١٢٩٠
 طبقات ابن سعد : لندن ١٣٢٢
 الكشف والبيان للعلبي ، مخطوطة دار الكتب برفي
 ٢٥٦ ، ٧٩٧ تفسير .
 عيون الأثر ، القدس ١٣٥٦
 معجم البلدان ، جوتيجين ١٨٩٩ م .
 معجم ما استعجم للبكري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
 ١٩٤٥ م .
 معاني الواقدي ، كلكتا ١٨٥٥ م .

استدراك

ورد في صفحة ٥٣ سطر ٦ البيت الآتي كما في الأصلين :

ولسنا على الأدبار تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدما

وصوابه هكذا :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وهو للخُصين بن الحُمام المُرّي من قصيدة له أولها :

تأثرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

يقول : نحن لا نولّى فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ؛ ولكن نستقبل

السيوف بوجوهنا ؛ فإن إصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا . انظر لسان

العرب (مادة دى) ، والحمامة للتبريزي ص ٩٣ ، والشعر والشعراء ص ٦٣٠

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	س	ص
المحففة	المحففا	١٥	٤
غُدْر	غُدُر	١٢	١١
غَيْرَة	غَيْرَة	١	١٣
جَدَع	جَدَع	٨	١٣
اَقْتَدَوْه	اَقْتَدَوْه	٥	١٤
مولى	مولى	٩	١٦
عمرو بن سرافة	عمر بن سرافة	١٣	٣٥
خرمة	نرمة	٣	٤٠
المنذر	المنذر	٢	٤١
ويقال : ودقة	ويقال : ودقافة	٢٢	٤١
١٩:١	١٩١١	٢٢	٤٧
عائد	عابد	٨	٤٩
والديش	والديش	٢٠	٥٠
أسر	أمر	١٥	٥٦
مُحَلِّين	مُحَلِّين	٣	٦٠
داود بن الحصين	داود ابن الحصين	١٨	٦٠
الإسلام	الإسلام	٨	٦٦

خطا	ص	خطا	ص
حَلَّتْ	٥	حَلَّتْ	٧١
هَنْد	١٩	بِهَنْد	٨٢
وَيَهَا أَمَا دَسَمَة	٦	وَيَهَا دَسَمَة	٨٣
تُدْجِجْ	١٦	تُدْجِجْ	٨٣
حَمَة	١٩	حَمَة	٨٦
وَجَلَّتْ	١٢	وَجَلَّتْ	٨٨
وتواعده	٤	وتواعده	٩٠
وقال صاحب لسان العرب	١٩	وقال لسان العرب	٩٠
غِير	١٩	هَى	٩٠
وَتَكُونُ	٧	وَيَكُونُ	١٠٢
بَدَيْتَه	٢	بَدَيْتَه	١٠٥
مَتَه	٦	مَتَه	١١٢
٢٣٠	٢٤٠	٢٢	١١٥
لَا يَنْفَى	٤	يَنْفَى	١٢٤
(يُؤْتَمُّ)	١٣	(يُؤْتَمُّ)	١٤٠
(يُخْرِجُونَ)	٤	(يُخْرِجُونَ)	١٤٢
الْفَسَادُ	٤	الْفَسَادُ	١٤٣
خَالِصَة	١٠	خَالِصَا	١٤٤
وَأَبَى عَمْرُو	٢١	وَأَبَى عَمْرُو	١٤٧
تُخْرِجْ	١٥	تُخْرِجْ	١٨٨

المصواب	الخطأ	س	س
طُليم	طليم	٤	٢١٠
صلى الله	صلى الله الله	٥	٢١١
محرش	محرش	١١	٢١٢
أن يحبثوا	أن يحبثوا	٥	٢٢٠
الخللاء	الخللاء	٢٠	٢٢١
بالاثنتين	بالاثنتين	١٨	٢٢٥
(قَتَحَا)	(قَتَحَا)	١٣	٢٣٤
سورة « مع حذف الرقم »	سورة هـ	٢٠	٢٣٤
يا رسول الله	يا رسول	١٦	٢٣٨
(كَفَرُوا)	(كَفَرُوا)	١٣	٢٤٠
تَحَرَّبْ	تَحَرَّبْ	١٤	٢٥١
المجنبة	المجنبة	٤	٣٠٥
غَزِيَّة	غَزِيَّة	١٢	٣٢٤
رسول	رسول	١٣	٣٤٠
الجد	الجد	١٥	٣٥٩
بدر	بدر	٢	٣٦٣

بإذن الله وحيل توفيقه قد تم طبع الجزء السابع عشر من كتاب
"نهاية الأرب في فنون الأدب" بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر رمضان
سنة ١٣٧٤ (مايو سنة ١٩٥٥ م) ٦

عبد الحميد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية.